

٢٠٠٨

سلسلة الفكر



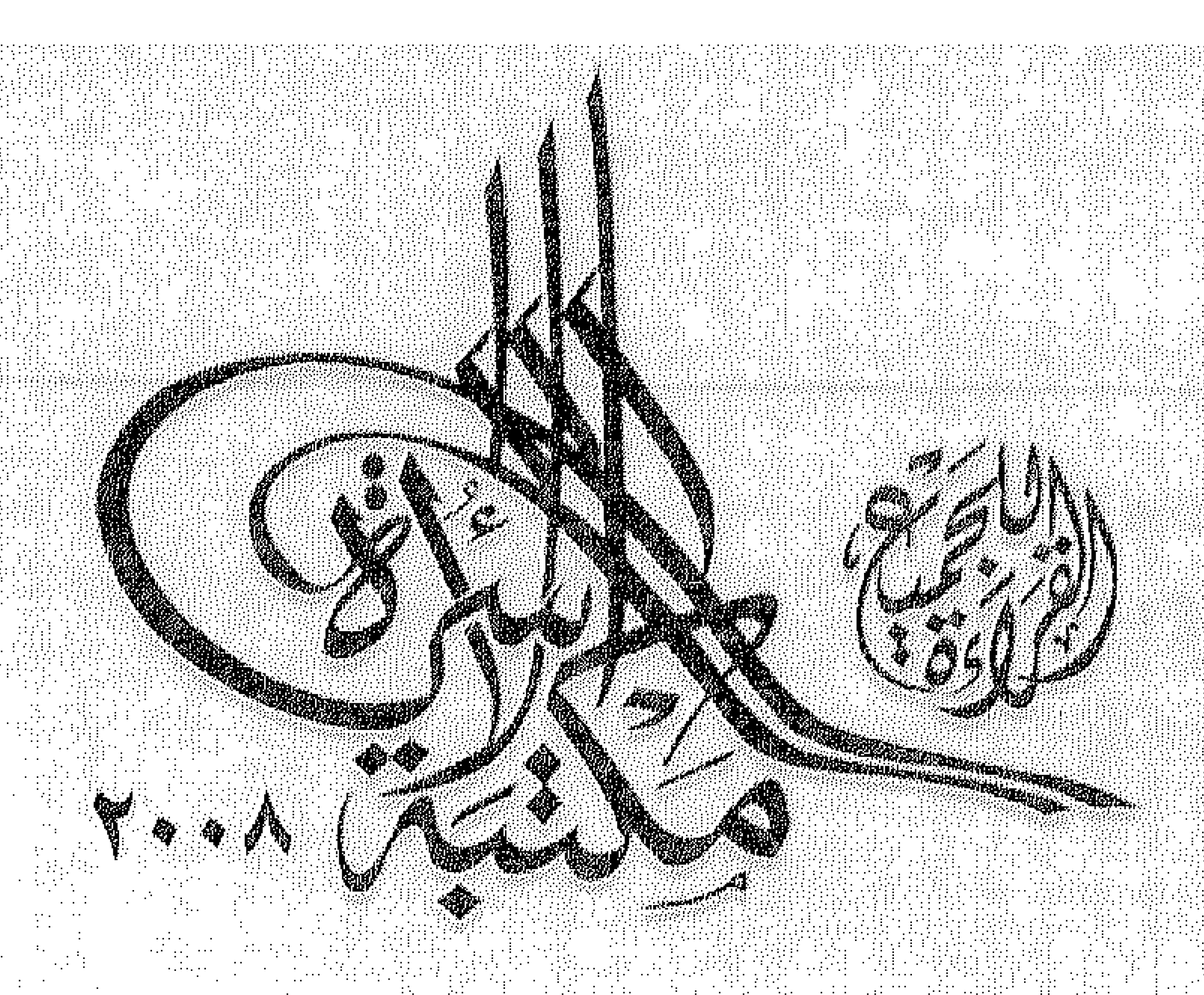
رؤية عربية إسلامية مسيحية

المحرر الأب وليم سيدهم اليسوعى



لاهوت التحرير

رؤية عربية إسلامية مسيحية



برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام

د. ناصر الأنصارى

تصميم الغلاف

د. إيناس حسنى

الإشراف الفنى

على أبو الخير
ماجدة عبد العليم
صبرى عبد الواحد

الجهات المشاركة

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

لاهوت التحرير

رؤية عربية إسلامية مسيحية

المحرر الأب وليم سيدهم اليسوعي

المشاركون :

دكتور أنور مغيث	جمال البنا	دكتور حسن حنفي
دكتور حيدر إبراهيم	ريتا أيوب	سليمان شفيق
دكتور عاصم الدسوقي	فريدة النقاش	سمير مرقص
الأب كريستيان فان نيسبان	لونا فرحات	دكتورة ماجي عبد المسيح
دكتور محمد السيد السعيد	الأب وليم سيدهم اليسوعي	دكتور يسري مصطفى



٢٠٠٨

لوحة الغلاف للفنان: عمر عبد الظاهر

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب.

وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.

لاهوت التحرير: رؤية عربية إسلامية مسيحية/ تحرير وليم سيدهم اليسوعى . ــ القاهرة: مركز الجزويت الثقافى ـ المركز المصرى لدراسات وبحوث البحر المتوسط للتنمية، جمعية النهضة العلمية والثقافية، ٢٠٠٥ .

٢٨٠ ص ؛ ٢٤سم .

«ندوة لاهوت التحرير إشكاليات ورؤى كينج مريوط ٣ ـ ٥ مايو ٢٠٠٣»

تدمك ٦ ٣٥٤ ٤٢٦ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ الإسلام والمسيحية .

(أ) ـ اليسوعى، سيدهم . (محرر)

رقم الإيداع بدار الكتب ١١٧٩٨/ ٢٠٠٨

I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 354 - 6

ديوى ٢١٤,٢٧

توطئة

منذ ثمانية عشر عامًا انطلق مهرجان القراءة للجميع على جناح فكرة أن الكتاب هو عماد المعرفة الرئيسى، والثقافة الرفيعة، وأن الكتاب ينفرد عن غيره من أدوات التثقيف ومصادر المعرفة بقدرته على تنمية الفكر وصنع العقول المستنيرة، وتكوين الشخصيات المتميزة، وفتح آفاق الاستنارة أمام الملايين، والإسهام فى تشكيل وجدان الأمة، وحفظ تراثها، والوصول إلى رؤى مستقبلية لنهضتها.

ولقد حرصت مكتبة الأسرة طوال أعوامها السابقة كرافد رئيسى للمهرجان على تحقيق الهدف النبيل من تأسيسها.. ذلك الهدف الذى تحدد فى طرح العبقرية الإبداعية والفكرية والعلمية للمجتمع المصرى المعاصر، وفتح نوافذ على الفكر والإبداع العالمى، وإقامة جسور بين الحضارات المختلفة، والتعرف على ثراء التاريخ الفرعونى والإسلامى، وأخيرًا تحفيز الأجيال الجديدة على القراءة حتى تصبح عادة، بل ضرورة ملحة تترسخ أهميتها فى الأذهان من خلال كتب عظيمة الفائدة، تباع بأسعار رمزية فى متناول الملايين.

ولأن وصول الكتاب إلى كل مكان فى مصر سيظل حلم السيدة الفاضلة سوزان مبارك، راعية القراءة للجميع. فلقد أعلنت هذا العام مبادرتها الجديدة بإهداء مليون كتاب مجانًا للمجتمع، ولأن مهرجان القراءة للجميع يتخذ شعارًا مختلفًا كل عام يتواءم مع الرسالة التى يهدف إلى تحقيقها وتنوعها وتطورها عامًا بعد عام، فإن مكتبة الأسرة تتخذ توجهًا عامًا فى اختياراتها للكتب، يستهدف دائمًا تحقيق وعى عام متجدد يطور القوى الاجتماعية، ويقوم على

منظومة قيم تتلخص فى تعميق دور العلم والتفكير العلمى، وتعزيز الديمقراطية، والتعددية وترسيخ قيمة المواطنة والانتماء والمشاركة والمسئولية، ودور مؤسسات المجتمع المدنى، وتأكيد قيمة التسامح وثقافة السلام، وترسيخ قيمة دور المرأة، وقيمة التجدد الثقافى والتفكير النقدى والحوار والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى، وإبراز تواصل الإبداع المصرى. ولقد تم استحداث قيمة جديدة هذا العام هى تعزيز تجليات الوطن وقضاياه، وذلك لمواجهة متغيرات خرائط الصراع المضاد، الذى يسعى إلى التفتيت بإشعال الفتن والانقسامات التى تحول الانتماء الوطنى إلى ولاءات لأعراق وعقائد ومذاهب، وفق تصنيفات قاطعة تعمل على تعبئة الناس وقولبتهم لكى تضعهم فى موقف التضاد بعضهم لبعض على سبيل الاستبعاد والاستعداء للنيل من سيادة الدولة الوطنية، وانتهاك دعمها للمواطنة والديمقراطية والمجتمع المدنى ومشروعية التعايش؛ ولذا ستظهر تجليات الوطن وقضاياه وتتجسد فى الإبداعات التى ستطرحها مكتبة الأسرة هذا العام.

لقد نهض صرح مكتبة الأسرة على أعمدة المكتبة العربية، وثراء تحفها الإبداعية والفكرية، واكتشاف الأقلام الموهوبة الشابة، فالتف الجميع حوله كواحد من أكبر المشاريع الثقافية فى تاريخ مصر الحديث، نأمل دائمًا أن يحقق أحلامه العظمى، وأن يساهم مساهمة فعلية فى نهضة المجتمع.

مكتبة الأسرة

المهمة فى أمريكا اللاتينية، والإفادة منها فى واقعنا العربى الراهن الذى يواجه العديد من التحديات فى الداخل والخارج، لاسيما فيما يتعلق بممارسات أبنائه فى فهم الدين ودوره الاجتماعى ورؤية الآخر الملتبسة بكثير من الإشكاليات. وما نجم عن ذلك من تراجع فى حرية التفكير والتعبير وتبادل الاتهامات بالعمالة والتكفير بدلاً من فتح النوافذ لتيارات الإصلاح والتجديد. ومن ثم يذهب الأب «وليم سيدهم» محرر هذا الكتاب إلى أنه يتحتم على كل المستنيرين من مسلمين ومسيحيين الدفاع عن الحرية والدين التقدمى الذى يقف إلى جانب الفقراء والمسحوقين والمهمشين، باعتبار ذلك مسئولية وطنية وإنسانية وضرورة دينية وسياسية، وهو ما حدا بنخبة من المثقفين والباحثين إلى المشاركة فى هذا الحوار حول إشكاليات ورؤى لاهوت التحرير، لإرساء لاهوت تحرير عربى شرقى يتجاوز الفصل الزائف بين المفكرين وفق أديانهم ومذاهبهم لا حسب مواقفهم من القيم الجوهرية للأديان، فلم يكن موضوع لاهوت التحرير مقتصرًا على مصادره الأولى فى المسيحية، بل امتد أيضًا إلى الإسلام، كما أن المشاركات فى هذا الملتقى جاءت متجاوزة بحق لحدود وتصنيفات العقيدة النهائية التى تقود إلى التعصب والانحياز، والمهم أن تستمر المحاولة وتتعمق لا أن تتحول إلى مجرد عمل نخبوى بعيدًا عن الجماهير المتطلعة للتحرير.

ومكتبة الأسرة تحرص على تقديمه ضمن إصداراتها هذ العام عن طبعته الأولى الصادرة عام ٢٠٠٥م.

تقديم

يحق لنا أن نتساءل لماذا هذا الكتاب الآن ولماذا لاهوت التحرير بالذات والجواب لا يخفى على القارئ المتابع للأحداث التى عصفت ومازالت تعصف بمنطقتنا العربية الإسلامية بل فى العالم الثالث لقد سقطت ورقة التوت التى كنا نستتر بها نحن أبناء العرب مسيحيين ومسلمين بسقوط صدام حسين وما كان يمثله من عنجهية وعنترية أمام زحف تتار القرن الحادي والعشرين وتصدى الولايات المتحدة الأمريكية بالقطب الأوحد فى العالم ..ولابد أن نسأل أنفسنا لماذا كل هذا الهزال ومرض عدم المناعة الذى طغى على الحكومات والشعوب العربية من المحيط إلى الخليج !!لماذا هذا النفق المظلم الذى بدأت بوادره منذ أن قامت ثورات التحرير فى عالمنا العربى وانقلب جل حكامنا إلى جلد الذات العربية وإفراغ هذه الثورات من مضمونها الجماهيرى .

لقد سقطت شعارات القومية العربية والقيمة الليبرالية والاجتهادات اليسارية والآن دعاة الحكومات الإسلامية ..وتبارى حكامنا فى إصدار الأوامر لضرورة تطوير الخطاب الدينى من السعودية حتى المغرب من المحيط إلى الخليج ..إن الإجابة سنجدها فى ثنايا هذا الكتيب الذى اشترك فى صياغته مسلمون ومسيحيون من مصر ومن لبنان ومن السودان ..محاولين استنطاق خبرة " لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية من منظورنا عنه ..هذه خبرة إنسانية ولماذا لا

كل الشكر والتقدير للدكتور حيدر إبراهيم الذى قبل بكل محبة وتواضع التقديم لهذا الكتاب ...أود قبل أن أنهى أن أشكر الدكتور حسن حنفى شكرى الجزيل للأستاذ عادل الضوى الذى تجشم مشقة المراجعة والتنسيق مع أ .سليمان شفيق والأستاذ جمال البنا والدكتور

يسـرى مـصطفى والدكـتـور عـاصم الدسـوقى وأ .فـريدة النقـاش والدكـتورة لونا فـرحات ود .مـاجى عبـد المسيح و الأسـتـاذ أبو العـلا ماضى و أ .سمير مرقص ...والقائمة طويلة أشكرهم جميعا مسلمين ومـسـيـحـيـين على المجـهـود الجـبـار الذى بذلوه لشـحـذ أذهانهم ومـداخـلاتهم القـيـمـة ..ولا يغـيب عن فكرى شكر الأخ فـايز سـعـد اليسوعى الذى كان وراء الفكرة التى أصبحت واقعا .

الأب : وليم سيدهم اليسوعى

القاهرة ..صيف ٢٠٠٤

مقدمة

سيظل شوق الإنسانية إلى الحرية والعدالة والمساواة يحركها إلى الأبد . فقد كان هذا هو همها الأساسى منذ فجر عقلها ووعيها حين قرر الإنسان أن يجعل من هذه الأرض مكانا صالحا لوجوده وأن الحياة تستحق أن تعاش بجعلها أكثر سعادة وجمالا .والإنسان حيوان متأمل قبل أن يكون حيوانا سياسيا أو فنانا أو ضاحكا.

وكانت البداية سؤال الحرية مقابل الضرورة فالحرية هى فتح لمغاليق الطبيعة بالعلم والعلاقات مع الآخر بالحكمة والمعرفة لنظام الروح والنفس والعقل بالدين والفلسفة والفن .والحرية هى تحرر من الخوف حيث يمتلك الإنسان البيئة بتنويعاتها وأشكالها ويسيطر على الطبيعة :مادية وإنسانية بالفهم وامتلاك قوانينها .ولكن السيطرة ليست بالقوة سواء قوة العقل أو العضل بل ينزع عنها فوضاها وعشوائيتها وبالتالى يتوقع حركاتها .

ومن هنا كانت بداية التكنولوجيا ونظم الحكم وقيام المجتمعات وانطلق تطور الإنسان ولم يعد خاضعا لتقلبات الطبيعة وفى نفس الوقت لم يقم بتدميرها فى عملية الصراع وتعالت الدعوة لعلاقة محبة مع الطبيعة وكان لابد أن تمتد دعوة المحبة من الطبيعة الصماء إلى المحبة بين البشر أنفسهم .هذا هو خط الإنسانية منذ أن انبهم الكون أمام الإنسان فى هلامية ظل ينظم أجزاءها حتى وصل إلى القمر .

يعتبر الدين هو النشاط البشرى الذى حاول أن يضفى على كل شىء معنى (meaning) فهو لا يكتفى بالقوانين مثل العلوم الطبيعية فقط . ولذلك فالدين ملئ بالرموز والطقوس والمجاز والخيال والذوق وهذا سلاح تحرر شديد الفاعلية فى هذا الكون الذى مازال مجهولا فى بعض جوانبه ومازال الإنسان خائفا طالما ظل السؤال الميتافيزيقى يتابعه .إذ يكفى لغز الموت وفجائيته مصدر قلق الإنسان .وقد أقام البعض علاقة عكسية بين تقدم العلم وتطور الدين وقد توقع وضعيو القرن التاسع عشر تراجع الدين

وأن العلمانية ستحل محله نتيجة تغيرات المجتمع الصناعى الصاعد .وما حدث هو أن الدين وسع اهتماماته لكى يتوافق مع الحياة الجديدة ولم تعد المؤسسة والطقوسية الجافة قادرتان على إعطاء المعنى للأشياء والذى هو جوهر الأديان .وهذه علاقة جدلية مستمرة بين الدين والواقع لأن طريق علاقة السماء والأرض هو باستمرار ذو اتجاهين فالمقدس ينظم ويعلى المعنى ويعلى الأرضى أو ما يمكن أن يكون المدنس وفى نفس الوقت يزداد المقدس - المتعالى واقعية لكى يرتبط بالبشر ويقنعهم .فالدين يزيد روحانية الإنسان وهذا بدوره يزيد إنسانية الدين ولن يكون معزولا أو بعيدا عن خدمة الناس كما يخدمون هم الله .وفى هذه اللحظة تماما تنتفى فكرة (alienation) الاغتراب التي شجعت البعض على وصف الدين بأنه أفيون الشعوب لأنه ينزع عنهم اهتمامهم بالحياة وبالآخر وبالذات وينصب الاهتمام علي العالم الأخر ويوجه المرء كل جهده لغير الدنيوى -كما يقال - ويعتقد أن فى هذا السلوك الخلاص .

صار الدين يمثل الالتزام بالحياة وبالإنسان العادى وتخلت المؤسسة بحكم التطور عن ابتعادها عن اليومى ويعود ذلك إلى تسرب أبناء الطبقات العادية والمسحوقة إلى قمة مؤسسة الكنيسة بسبب كثرة أعداد الكنائس وانتشار التعليم بين فئات اجتماعية جديدة كانت بعيدة فى السابق عن التعليم عامة والتأهيل الدينى واكب ذلك التأزم فى الواقع الاجتماعى - الاقتصادى ليأخذ موضع الفقر موقعا متقدما فى أجندة التطور الاجتماعى ومشكلات النهضة وهذا تحول مهم فى المسيحية فى فهم ومعالجة الفقر فالفقر لم يعد يعتبر طبيعيا أى نتيجة فشل أو سوء حظ شخصى بل يفهم بنائيا - حسب اللغة الاجتماعية - أى هناك خلل فى البناء الاجتماعى وهذه البنى المسببة للفقر لابد أن تتغير .وهذا قلل بشدة من القيمة المعطاة تقليدا فى دور الكنيسة فى الإحسان والرعاية .وقد تغير المعنى الرمزى للفقر ليس فى القبول السلبى والتضحية فى الدعوى بالمساواة والعدل . وصارت للآية "الفقير سيرث الأرض "ظلال جديدة .هكذا كان بروز لاهوت التحرير سباقا فى أمريكا اللاتينية بسبب التفاعل الحقيقى بين الحركات الاجتماعية الماركسية والاشتراكية وبين الكنيسة الكاثوليكية . وهذا مفقود فى بعض مناطق العالم رغم وجود مشكلة الفقر ولكن الوعى بالمشكلة قاسا .وكان من نجاحات لاهوت التحرير هذا التقارب الذى ادخل القضية الاجتماعية إلى قلب الاهتمام الدينى .ويمكن تعميم القول الآن أن فكرة لاهوت التحرير هى باختصار جعل الدين أكثر اهتماما بالإنسان وبالمجتمع وهو يحاول القيام بمهمة مزدوجة تبشر بالفردوس فى الأرض

وفى السماء ولا يؤجل سعادة الإنسان كمطلب بشرى عادى .

صعد لاهوت التحرير فى فترة مقاومة حركات التحرر فى الاستعمار القديم فى أواخر أيامه فى بعض المناطق فى أفريقيا وصد الإمبريالية فى مرحلتها الرأسمالية العليا فى بعض بلدان أخرى وفى الحالتين كان للدين أن يختار بين الاستعمار والقهر والاستغلال أو الكرامة والحرية والعدل وانتصر الجانب التقدمى فى الدين رغم أن المؤسسة الدينية عموما كانت تميل إلى المحافظة سواء فى المسيحية أو الإسلام وكانت تلك هى الصحوة الحقيقية للدين رغم أن أثر لاهوت التحرير كان أكثر وأقوى فى المسيحية . والمهم أن القوة المحافظة داخل الأديان لن تعد قادرة على الاستفراد بفهم الدين .

يتحدث البعض عن انحصار موجة لاهوت التحرير ولكن هذا يعود إلى الانحسار فى الاهتمام بالسياسة العامة ولا يعود جزئيا إلى ما اصطلح عليه بنهاية الايديولوجيات كما أن للعولمة فى جانبها الاستهلاكى المعمم أثره فى تغيير نوعية القضايا التى تثير اهتمام البشر ويواجه لاهوت التحرير كشكل راق فى التدين مشكلات التحولات التى أصابت الدين والذى يعيش مأزقا صعبا .فمن الملاحظ زيادة أعداد المتدينين والمؤسسات الدينية مع تدين الأخلاق والقيم الروحانية فى السلوك والممارسة .وهذا يعنى أن مستقبل لاهوت التحرير مرتبط بعودة للتدين مخالفا للمظهر المزيف الذى ينتشر الآن .

يواجه الفكر الدينى الإسلامى إشكالية التجديد والإصلاح ومن الطبيعى ظهور مقاومة لأى تجديد فى الخطاب الدينى بعد فترة الثبات والاحتكار الطويلة فى العالم الإسلامى .

وكان أن قامت القوى المحافظة بإعداد ترسانتها الفكرية والسياسية للهجوم على أى دعوة جديدة .وبرزت اتهامات التكفير والإلحاد والعمالة لكى تجعل المجددين فى حالة دفاع عن الذات .وعوضا عن فتح النوافذ لكل تيارات التجديد والإصلاح حدث تراجع على مستوى حريات التعبير والتفكير لم يقف على المسلمين فقط بل ساد جو رجعى معاد للحريات بين الجميع مسيحيين ومسلمين وهذا وضع يحتم على المستنيرين من المسيحيين والمسلمين الدفاع عن الحرية وعن الدين التقدمى الذى يقف إلى جانب الفقراء -ملح الأرض والمسحوقين والمقهورين والمهمشين - هذه مسئولية وطنية وإنسانية لابد من تحملها فى هذه المرحلة الدقيقة .

فى هذا السياق كان لقاء نخبة من المفكرين المتميزين للحوار حول

لاهوت التحرير تحت رعاية الأخوة الجزويت سانحة جاءت فى وقتها لكى تلبى حاجة وضرورة دينية وسياسية وإنسانية .ولتضع قيمة الروحانية مجددا فى الفكر والسياسة ولكى تتجاوز الفصل المزيف بين المفكرين حسب أديانهم ومذاهبهم وليس حسب موقفهم من القيم الجوهرية للأديان المختلفة منذ بدأ الإنسان بحثه عن المتعالى والمقدس .

هذا الكتاب مساهمة فى إحياء الفكر الإنسانى فى عالمنا بعيدا عن الانتماءات والولاءات التى تقسم وتجزأ عوضا عن النظرة الشاملة .لأن موضوع لاهوت التحرير لم يقتصر على مصادره الأولى فى المسيحية بل امتد إلى الإسلام كما أن الحضور كان متجاوزا لحدود وتصنيفات العقيدة النهائية التى تقود إلى التعصب والانحياز .اتمنى أن تستمر المحاولة وأن تتعمق والأهم من ذلك أن تنتشر وألا تكون مجرد عمل نخبوى بعيدا عن الجماهير أصحاب المصلحة الحقيقية فى لاهوت التحرير .

د .حيدر إبراهيم

برنامج الملتقى الأول حول لاهوت التحرير
إشكاليات ورؤى

المحور الأول :إشكاليات فلسفية للاهوت التحرير (أمريكا اللاتينية) وتأثيره على الفكر اللاهوتي الغربي .

-إشكاليات المصادر الفلسفية للاهوت التحرر ..الأب /وليم سيدهم

- فلسفة التحرير ...الأب /كرستيان فان نيسبان

- التأثير على الفكر اللاهوتى الغربى "أسئلة متجددة

د /ماجى عبد المسيح

المحور الثانى :لاهوت التحرير من منظور إسلامى

- هل الإسلام فى حاجة إلى مثيل للاهوت التحرير ....أ /جمال البنا

- علم العقائد والتغيرات الاجتماعية ...د /حسن حنفى

- نحو لاهوت تحرير إسلامى ...د /حيدر إبراهيم

المحور الثالث :لاهوت التحرير وإشكاليات سياسية

- تجربة لاهوت التحرير :جدلية العلاقة بين دين المؤسسة ودين الحركة

أ /سمير مرقص

- لاهوت التحرير :التاريخ السياسة الهوية ....د /يسرى مصطفي

- لاهوت التحرير والماركسية ....د /أنور مغيث

المحور الرابع :تجارب وخبرات ميدانية نحو لاهوت التحرير

- تعليم المقهورات كأداة لتحرير النساء ....أ /فريدة النقاش

"تجربة باولو فيراراى "

-لاهوت التحرير الفلسطينى محاولة تستدعى الدراسة لكى تستمر

أ /لونا فرحات

- لاهوت التحرير رؤية مسيحية للحوار المسيحى الإسلامى من الواقع اللبنانى بعد الحرب ....أ /ريتا أيوب

المحور الخامس :نحو لاهوت تحرير عربى شرقى

- البحث عن لاهوت تحرير مصرى - مسيحى - إسلامى

د /عاصم الدسوقى

- لاهوت التحرير وقضية الأقليات .....أ /سليمان شفيق

إشكاليات المصادر الفلسفية للاهوت التحرير

الأب / وليم سيدهم

كانت فى سبعينات القرن العشرين تتنازع العالم فلسفتان رئيسيتان متعارضتان الفلسفة الماركسية بتطبيقاتها المختلفة ويحتل قطبها الرئيسى " الاتحاد السوفيتى "والفلسفة الليبرالية وقطبها الرئيسى تمثله "الولايات المتحدة الأمريكية "وإلى جانب هذين التيارين الفكريين كانت توجد الفلسفة الوجودية والبنيوية والمثالية ..إلخ

ظهر لاهوت التحرير فى هذه اللحظة التاريخية، حيث كانت الحرب الباردة على أشدها بين القطبين الرئيسيين كما ذكرنا سالفا فى قارة أمريكا اللاتينية (الجنوبية) التى تقع مباشرة على الحدود الجنوبية للولايات المتحدة الأمريكية ..والتى كانت تمثل لها خطرا ماثلا إذا نجح السوفيت فى اختراق هذه القارة .

تبدلت الأحوال بعد سقوط حائط برلين ١٩٨٩ وانهيار المنظومة السوفيتية .....

ويمكن تلخيص الأسس التى قام عليها لاهوت التحرير كالتالى :

١. الخبرة تسبق الفكرة .

٢. التغيير يبدأ من القاعدة الشعبية بمفهومها العريض بالوسائل السلمية وليس من طليعة البروليتارية بالثورة المسلحة .

٣. الدفاع عن كرامة الفرد يسبق الدفاع عن وجود المؤسسة .

٤. الوجود يسبق الماهية .

أولا : الخبرة تسبق الفكرة:

لقد استخدم لاهوتيو التحرير كلمة " Praxisالفعل المتغير "وهو إحدى الآليات الماركسية لكى يعبروا عن خبرة العبور من حالة العبودية إلى حالة الحرية كما جاءت فى سفر الخروج فى الكتاب المقدس .واعتبروا أن اللاهوت المحرر هو الذى ينطلق من الواقع المذرى الذى كانت مازالت تعيش

فيه دول أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى من معاناة وظلم وتعذيب وسجن وفقر وجهل ...الخ ويستند على الخبرة المؤسسة لخروج الشعب اليهودى من مصر بقوة الله المحررة للإنسان على كل المستويات :الروحية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وذلك فى مقابل اللاهوت التقليدى الغربى الوافد من مجتمعات الوفرة فى أوروبا وأمريكا الشمالية، والذى يصدر عن تحديات مخالفة تماما لظروف أمريكا اللاتينية ويسوده النزعة المثالية المتعالية المواكبة للهيمنة السياسية للقوى الرأسمالية.

ويمكننا بلورة الإشكالية التى تتمحور حولها ثنائية الخبرة /الفكرة بالنسبة لواقعنا فى الشرق الأوسط كالتالى :فى ظل ظروفنا السياسية والاقتصادية والروحية الراهنة، هل نستطيع أن نقوم بقراءة مكانية لخبرتنا التاريخية الخاصة بنا لنبلور لاهوتا مسيحيا إسلاميا، يساعدنا على التحرر من حال التبعية على كل الأصعدة للعالم الغربى، ويفجر طاقاتنا على ضوء إيماننا المسيحى والإسلامى بدور الله المحرر.

ثانيا : القاعدة الشعبية /الحزب الطليعى :

لقد أثبتت التجربة فشل الثورات المسلحة المبنية على حفنة من الضباط أو من الأحزاب الطليعية فى إحداث تغيير جذرى فى المجتمعات التى قامت فيها هذه الثورات فالثورة الحقيقية والتغيير الحقيقى فى المفاهيم وفى الظروف الاجتماعية والسياسية والعقلية لا يمكن أن يتما بدون مفهوم صحيح للإنسان وعلاقته بالكون وبالله تتبناه الجماهير نفسها حتى تستطيع أن تكون مشاركة وفاعلة فى المجتمع .هذا ما عبر عنه المفكر البرازيلى العظيم الذى ينتمى إلى لاهوت التحرير "باولو فريرى "فى كتبه المختلفة.

على أن يكون ذلك بالطرق السلمية والحضارية اللائقة، فالفلسفة التى تقوم على التغير من فوق تصبح فلسفة متبنى التغيير من القاعدة وبالآليات السليمة القائمة على التدريب على الممارسة الديمقراطية واحترام كل أفراد المجتمع وهذه هى الإشكالية الثانية: فى مصر والعالم العربى لدينا مؤسسات المجتمع المدنى ولدينا الرغبة فى التغيير فهل من الممكن استلهام هذه الفلسفة والعمل على ابتكار صيغة أو أكثر تناسبنا لإحداث القفزة النوعية المرجوة لتحرير الطاقات المعطلة لدى أمتنا وشعوبنا العربية مسيحية وإسلامية .

ثالثا :الفرد /المؤسسة :

يؤكد ليونارد بوف أحد مفكرى لاهوت التحرير أنه لا يمكن أن تكون

للمؤسسة سواء كانت دينية أم ثقافية ..الخ أى مصداقية أو فاعلية حقيقية إلا إذا كان الأشخاص الذين يمثلون هذه المؤسسة يتمتعون بالكرامة والاحترام والاعتراف بهم كأشخاص أحرار، والحال أن فى أمريكا اللاتينية كانت المؤسسات لها الأولوية على حساب الأشخاص ولذلك وجب قلب هذه البنية الخاطئة، والبدء بالدفاع عن حرية الفرد قبل الدفاع عن بقاء المؤسسة .فالإنسان الفرد خليقة الله أما المؤسسة فهى مرتبطة بالإبداع الإنسانى .

ونأتى هنا إلى الإشكالية الثالثة :فى عالمنا العربى كما فى بقية العالم الثالث علينا أن نجد آلية تحافظ على كرامة الفرد وحريته مع المحافظة على المؤسسة دينية كانت أم سياسية دون أن تتعدى أو تغفل حرية وكزامة الأفراد الذين يمثلونها أو الذين تتعامل معهم فى المجتمع .

رابعا :الوجود /الماهية

كانت الفلسفة التقليدية تركز على وضعية ستاتيكية للشخص وللمؤسسة بطريقة غير واقعية وبعيد عن واقع الفقراء ..فالأفراد أو المؤسسات لا تعبر عن كيانات مثالية بل متغيرة والانطلاق من الاعتراف بوجود مظالم وظروف اقتصادية مزرية ..والقيام بتحليل هذه الظروف واستخدام الآليات المناسبة لذلك ...سيحدد للفرد أو للمؤسسة الدور المناسب لها فى المجتمع هنا والآن ..حتى لا يصبح الوجود مفارق للماهيات الصماء .

نختم بهذه الإشكالية الرابعة كيف نوائم بين متطلبات التغيير الوجودى فى حياتنا اليومية على مستوى الأشخاص وعلى مستوى المؤسسات، دون أن نقع فى الفوضى وعدم النظام.

وختاما أترك الحديث للمشاركين الكرام فى الندوة على يقين أن تنوع المداخلات سيثرى كلا منا وينير لنا الطريق لنستفيد جميعا من الاهتداء إلى ما يمكن عمله انطلاقا من واقعنا المسيحى والإسلامى .وشكرا

فلسفة التحرير

الأب /كرستيان فان نيسبان

تعليم الكنيسة الاجتماعى هو الإطار الذى نبع منه لاهوت التحرير لأنه كفكر لم ينزل بمظلة، ولكن من ضمن العناصر التى سمحت بظهور هذا اللاهوت تيار فكرى تعليمى موجود فى الكنيسة الكاثوليكية وهذا التعليم بدوره ينطلق من الوعى الإيمانى فى نصوص العهدين القديم والجديد التى تلح على العدالة وواضح جدا منها أنه لا يمكن أن يكون الإنسان مؤمنا حقا بغير الالتزام نحو العدالة بكل معانى الكلمة ثم فى تاريخ الكنيسة كمواقف نقدية، مثلا بعض آباء الكنيسة من ناحية الموقف من الإمبراطورية الرومانية الإمبراطور ثيروزوس حينما حدث فى تسالونيكى تمرد واجتمع الشعب فى الملعب، أمر الإمبراطور الجيش أن يذبح الناس فقام أسقف ميلانو بحرمان الإمبراطور، أى أنه منعه من العبادة فى الكنيسة إلى أن يقوم بالتوبة، هذا الموقف يمثل نوعا من الاحتجاج الرسمى باسم الايمان على هذا الحاكم المسيحى وتوجد نصوص قوية عند آباء الكنيسة، عند يوحنا ذهبى الفم هناك نص صغير يقول "لابد أولا من تلبية مقتضيات العقل ويقول عندما نعطى الفقراء الأشياء التى لا غنى عنها لا نجود عليهم بهبة ولكن نعطى ما هو لهم إننا لا نقوم بفضل أكثر ما نقوم بفعل محبة . "

ثم فى التاريخ اللاهوتى هناك جوانب من التعليم الأخلاقى عند اللاهوتيين الأسباب على سبيل المثال، وبعد احتلال أمريكا وحدوث تصرفات غير إنسانية تجاه السكان الأصليين اللاهوتيين عبروا لاهوتيا عن كرامة هذه الشعوب غير المسيحية كذلك بعد القرن التاسع عشر على مستوى السلطة التعليمية فى الكنيسة الكاثوليكية تم اللقاء بين الرسالة والمجتمع الجديد أى المجتمع الصناعى وعلى مستوى فردى كان يوجد أفراد وعلى المستوى البابوات مثال البابا لار السادس عشر مثل رسالته أمور حديثة وتوجد عشر رسائل فى الأمور الاجتماعية حتى اليوم ومن أهم النصوص "الدستور الرعوى فى العالم المعاصر "المعروف "بالفرح والرجا.

«وتم تجميع هذه النصوص فى كتاب تعليم الكنيسة الاجتماعى وعنده القسم الخامس من الشئون الاجتماعية » شئون سياسية "الكنيسة والسياسة الماركسية والاشتراكية - الكنيسة والعنف - الكنيسة ولاهوت التحرر - الكنيسة والشرعية الدولية لحقوق الإنسان .أشير لبعض نقاط فى التعليم الاجتماعى التى أسموها كرامة كل شخص بشرى هو المبدأ والأساس والغاية لكل المؤسسات الاجتماعية .ونتيجة لذلك حقوق وحقوق لا تبدل .أى أن الشخص ليس وسيلة بل قيمته فى ذاته وذلك يؤدى لنقد اقتصاد السوق المؤسس فقط على قيمة تجارية والحرية الدينية ليست مجرد سماحه ولكن حقوق الضمير .الضمير البشرى مقدس والإنسان لا يصل للحقيقة إلا من خلال ضميره .

الطابع الجماعى للإنسان ودعوته .كذلك مبدأ ترجموها بالتسلسلية أى كل جماعة تأخذ مكانها أى الجماعة العليا لا تلغى ما تحتها .كل إنسان يلعب دوره فى الحياة العامة أى أنها ليست ملكية الأغنياء ومبدأ خيرات الأرض للجماعة البشرية يوجد حق مهم، الملكية الخاصة، لكنه ليس حقا مطلق بل حق نسبى .وتبقى الأولوية لخيرات الأرض مبدأ ألا تعارض.النظم السياسية حقوق الأشخاص الأساسية السلطة السياسية يجب أن تعمل للخير العام وأهمية دولة القانون، الخير العام يتضمن ثلاثة عناصر:

١ـ احترام الشخصى .

٢ـ الرفاهية والتنمية للمجموعة ذاتها .

٣ـ السلام أى دوام نظام عادل وأمان .

والإلحاح على أهمية المشاركة فى الحياة العامة مع المسئولية الشخصية تبدأ بالتربية والثقافة .

أى مجتمع يقوض شرعيته الأخلاقية الخاصة يفقد شرعيته الأخلاقية.

مبدأ المساواة يعنى ضرورة التضامن الإنسانى، والظلم الخطير يعنى عدم مواجهة المجاعات والظروف الاقتصادية المعاصرة التى لا تمنع الجوع تمثل ظلم .

رفض العبودية وأشكالها المعاصرة، وهذا التعليم يؤدى لمبادئ تفكير تمثل مقاييس للحاكم وتوجيهات للعمل.

هناك اهتمام كبير بالعمل البشرى والبابا الحالى يهتم بالعمل كقيمة مقدسة والعمل واجب والعمل من أجل الإنسان وليس الإنسان من أجل العمل .الحق فى المبادرة الاقتصادية ودور الدولة فى كل ذلك .

والأجر العادل للعمل والحق فى الإضراب والإلحاح على وجود آليات حديثة وبنى هيكليات الخطيئة .وهى توصل الناس إلى أوضاع خاطئة .

إلحاح على مسئولية الأمم الغنية لأن تتضامن مع الآخرين مطلوب إصلاح المسئوليات الدولية وأيضا عبارة مهمة يجب على الكنيسة الحكم التفصيلى للفقراء وكل هذه المبادئ توصل إلى معنى الإيمان الدينى فى مجتمعاتنا .

وفى العلاقة بين لاهوت التحرير والفلسفة .غدت هذه الأفكار اللاهوتية مهمة حينما يمارس الإنسان أى فلسفة بمعنى الاهتمام

« بالبراكيس » الممارسة والخبرة والفكر مثل (ديوسال) كتب فلسفة التحرير ويواجه تاريخ الفلسفة وكيف أن بعض المواقف الفلسفية تظهر بريئة إلا أنها تعكس مواقف ظالمة فى المجتمع وتأثرت لما أبت بعض المجهودات الإسلامية مثل الدكتور المفكر حسن حنفى حينما كتب تعبيرا عن الالتزام الإيمانى نحو العدالة مع أصحاب ديانات أخرى .

لاهوت التحرير - أسئلة متجددة

ماجى عبد المسيح

فى هذه الورقة أود أن أعرض باختصار تأثير لاهوت التحرير على اللاهوت المعاصر و الأسئلة المختلفة التى يثيرها.

١. السؤال الأساسى:

علم اللاهوت أو الانعكاسات اللاهوتية كانت منذ البداية محاولة للاستجابة للعديد من الأسئلة المطروحة سواء كانت الأسئلة نظرية أو عملية.

السؤال المطروح من مجموعة أمريكا اللاتينية يثير التساؤل حول الظلم و التعسف الواقع على الفقراء .هل يوافق الله على الظلم الذى نراه يوميا فى أمريكا اللاتينية، هل يوافق على فقدان الحياة و الطاقة بدون سبب؟ من و ماذا هو الله؟ هل الله اله حياة أم اله موت؟

الإجابات الكلاسيكية للأسئلة السابقة أصبحت بلا معنى إن لم تكن ميتة أيضا فمنها من يقول :الله دائما يسمح بالشر و لكن لا يصنعه أو ان هناك سبب، أو فلسفة عليا لما يحدث لنا أو أن الله يختبر إيماننا أو أننا سوف نأخذ أجرنا فى السماء منزلنا الحقيقى و الأصلى أو أننا يجب أن نقبل المعاناة و الألم على مثال يسوع المسيح.

بالنسبة لأمريكا اللاتينية هذه إجابات لم تعد مرضية بمعنى آخر هى الآن إجابات فى غير محلها و غير مجدية، و مع ذلك هذا ليس كل شيء فقد استخدمت لتبرير الشر و ليس لعلاجه أو تصحيحه .الله أصبح إذا، اله موت .

باختصار فان لاهوت التحرير هو نفس التساؤل القديم جدا كيف يمكننا أن نتحدث عن حب الله، رحمته و عدله و نحن مازلنا نختبر هذا المقدار الكبير من الشر فى العالم؟

إن هذا السؤال القديم يستلزم إجابات جديدة على أن هذه الإجابات لا

تأتى من فراغ و إنما من إعادة قراءة ودراسة قراءتنا الروحية، عاداتنا و تاريخنا .لا بد أن نتقابل مع المسيح مقابلة جديدة هذه المرة ليست من خلال وجهة نظر يوحنا ولكن من خلال رؤية مرقص، متي، لوقا، بل و أيضا المظلوم، و الاختلاف هنا أن اللاهوت يبدأ من خلال تجربة الشر.

طريقة عمل علم اللاهوت:

١. ٢. مركزية الخبرة:

إن السبب فى عدم جدوى النظرة الكلاسيكية هو أنها نظرية جدا عاقلة منفصلة عن الحياة اليومية .فاللاهوت ليكون عمليا، يجب عليه أن يرتبط بالتجربة لهذا يجب أن نبدأ من تجربتنا الشخصية.

ا- الخبرة المتباينة السلبية :

إذا كانت الخبرة مركزية للاهوت يصبح السؤال: بخبرة من نبدأ أو بأى نوع من الخبرة، ان لاهوت التحرير ينعكس على خبرات الظلم و الفقر لمن هم فى القاع ، لمن لا صوت لهم، المهمشون المنبوذون.. إنها تبدأ بخبرة من هم تحت المعاناة، إن هذا يتباين مع العقائد التى تبدأ بطرق و أساليب أخرى من الخبرة مثل الجمال، الطبيعة، العطش الروحى .....الخ

ب. المغزى :

مما سبق يتضح لنا أن المغزى فى غاية الأهمية، لا يستطيع الفرد أن يعمل بعقيدة واحدة كما أنه لا يستطيع أن يأخذ الإجابات بطريقة عامة، المغزى الذى يولد الأسئلة يعتبر مركزيا للأسئلة المطروحة.

ج. العلاقة بين الخبرة و ما تعكسه:

من المهم أن نذكر أن العلاقة بين الخبرة و اللاهوت أو الخبرة و انعكاساتها (تأثيرها) ليست هى العلاقة الكلاسيكية بين النظرية و التطبيق .إنها ليست الحالة العادية التى تتكون من النظرية العامة ثم تطبيق هذه النظرية فى موقف (حالة) معين بل بالأحرى أن النظرية تبدأ من انعكاسات الخبرة فى مجال معين و هو يحفز بعض ردود فعل محددة من خلال هذا الانطباع.

٢. ٢. العلاقة بين علم اللاهوت و العلوم الأخرى:

إذا كان اللاهوت هو انعكاس على الخبرات الإنسانية المختلفة فإننا نحتاج للأدوات المناسبة لتحليل هذه الخبرات، فهذه الأدوات تزداد الحاجة إليها لتحليل جذور أسباب الظلم، و ذلك إن كنا نريد أن نجد رد فعل عمليا و فعالا.

ففى النظرية الكلاسيكية الشريك الوحيد فى المنافسة، الفلسفة، هذا يرجع إلى أن النظرية الكلاسيكية كانت نظرية و عقلية بحتة .فقد قدم لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية شريكا آخر هو العلوم الاجتماعية و لا سيما الماركسية و ذلك لتحليل الطبقات الاجتماعية.

فكلما ازدادت الأسئلة و ظهر فى الأفق عدد من النظريات شركاء جدد تم اختيارهم و الاستناد إليهم إنسانية، اجتماعية، و علوم طبيعية فأصبحوا كلهم أطرافا فى الحوار .لذلك فان الجزئية الكلاسيكية من العلوم و الحق و الإيمان لم تعد تتحكم .إن كافة الانعكاسات الإنسانية، نظرية لاهوتية أو علوما اجتماعية، كلها تبغى تحسين الأحوال الإنسانية .لذلك فليس هناك تعارض أو منافسة بين الدين و العلم فى معناه الواسع.

٣. تأثير لاهوت التحرير فى علم اللاهوت.

إن تأثير لاهوت التحرير على اللاهوت المعاصر هو تأثير جذرى هذا التأثير كان بالطريقة العلمية اللاهوتية ومع ذلك، مع تغير الطرق العلمية، فإن ذلك هو الحال بالنسبة للبنية الكلية للاهوت، والعقيدة، إن التأثير يظهر فى تعاليم الإنجيل، العقيدة النظامية النفسية، فهذه كلها مجرد أمثلة .

٣. ١. لاهوت الإنجيل:

بعد دراسة لاهوت التحرير فإن هذه النصوص الإنجيلية سواء كانت من العهد القديم أو الجديد، قد لعبت دورا أساسيا ليس فقط فى تاريخ العبودية ولكن أيضا فى تاريخ التحرير .لذلك فإن هناك على الأقل طريقتين لقراءة أى نص ، مما يؤدى بدون شك إلى نتائج متضاربة .ولكن كيف يفرق الشخص بين النصوص المستعبدة والسؤال هنا :كيف نقرأ بطريقة تحليلية؟

إن لاهوت التحرير عامة ولاهوت تحرير أمريكا اللاتينية خاصة قد أوضح الخطوط العريضة للعديد من المستويات.

أولا ـ لابد أن نستخدم الانتقادات التاريخية، بمعنى آخر يجب أن نتعرف على النواحى التاريخية لخلفية النص الكاتب والمجتمع الذى وجه إليه هذا النص .

ثانيا ـ لابد أن نتعرض للنص ونحاول معرفة ماذا كان الكاتب يحاول أن يوضحه وكيف فعل هذا .

ثالثا ـ يجب أن يستخدم النقد الإيديولوجى لمستخدمى النص أيضا . أسئلة مثل :من المتحدث، من هم أصحاب النفوذ ومراكز القوة، لمصلحة من

التصريحات أو الألفاظ تخدم من؟ .....وغير ذلك .يجب أن تثار كل هذه الأسئلة .

بكل هذه الانتقادات يبدو واضحا أن المقصود وهمى مُن الظاهر فقط فهو يتطلب انتقادات للنص، للتاريخ، للعادات، للمجتمع وللشخص أيضا .

إن معنى النص الدينى لا يمكن أن يتضح أو يؤخذ فقط بقراءة حرفية للنص الديني، و هى العادة الأكثر تدميرا إن "كلمة الله "أو مشيئة الله

"لا توجد فى كلمات أو أسطر من النصوص الدينية (أى الإنجيل والقرآن) بل أنها توجد فيما بين السطور أى مستترة.

٣.٢. لاهوت التنظيم:

إن لاهوت التنظيم هو الناحية التى تتعامل مع الانعكاسات اللاهوتية التى تتعامل مع المنهج والمذهب .لقد تعرضنا سابقا إلى المنهج والآن أود أن ألقى الضوء سريعا على مذهب أساسى وهو مذهب السيد المسيح و مذاهب أخرى أيضا وذلك على هيئة أسئلة.

أ. مذهب يسوع المسيح:

إن مذهب يسوع المسيح يتعامل مع السؤال: من هو يسوع المسيح؟ فالإجابة الكلاسيكية التقليدية هى أن يسوع المسيح هو اله كامل وإنسان كامل ، إنه ابن الله، فبكلمات أخرى أن اللاهوتيين كانوا يجيبون على التساؤل الخاص بيسوع المسيح من خلال نشر مذهب the hypostatic union ومن ناحية أخرى فإن لاهوت التحرير يجيب على سؤال هوية يسوع المسيح بطريقتين

١. على المستوى epistemological المعرفة لا تبدو كمعلومات عن يسوع المسيح ممكن التوصل إليها عن طريق البحث العقلى ومن ثم يجب أن تقبل بالعقل أو حتى بدون عقل كما هى ولكن هى تجربة شخصية تتعمق أكثر من خلال الحياة والتجارب فالمعرفة هى حقيقة تجريبية معيشة.

٢. كيف يتم تطبيق ذلك على يسوع المسيح؟

أولا - يجب أن نعود إلى حياة يسوع الأرضية لنعرف شيئا عنه . فالشخص لا يبدأ برأى أو مذهب وإنما يجب أن نتعرف على خبرات يسوع ومعاملاته الشخصية .

ثانيا - إذا كنا نريد أن نعرف من هو يسوع فإننا لن نأتى بهذه الخبرة إلا إذا تتبعنا وعشنا فى خطواته خطوة بخطوة .إن جزء مهما من hermeneu-ticsالإنجيلية خاصة وعلم اللاهوت بشكل عام هو مسألة . normativity

فإجابة لاهوت التحرير تبدأ بحياة يسوع الأولى وأيضا الخبرة التى نتوصل إليها من خلال من هم فى القاع، إن معرفة يسوع والإجابة عن سؤال هويته هى حقيقة تجريبية وليس فكرة عقلانية.

ب ـ مذاهب أخرى:

بعض المذاهب الأخرى مثل مذهب الله أو الثالوث، النعمة، الإلهام، الاكليريكية ....على سبيل المثال وليس الحصر سوف تخضع إلى لتغيرات شاملة وجذرية فى ضوء لاهوت التحرير، من هو الله ماذا يريد الله؟ كيف نربط العلاقة بين مفهوم الله القوى وسؤال الشر؟ كيف نوضح علاقة الله والإنسان ، كيف يرتبط ذلك بمسئولية البشر؟ ماذا تعنى كلمة الإيمان .وما الفرق بين الإيمان والعقيدة؟ كيف يتصرف الله فى العالم؟ ما هو دور الكنيسة؟ هل دور الكنيسة روحانى تام أم أن لها دورا فى تغيير العالم فقد أدت كل هذه الأسئلة إلى إجابات جديدة من خلال لاهوت التحرير .

٣. ٣. النظرية النفسية (المعنوية) Moral Theology:

التغيير الأساسى فى النظرية النفسية هو وجود مستوى آخر للخطيئة للنظرية الكلاسيكية ركزت على الخطيئة الشخصية والمسئولية الشخصية. إن مشكلة الفقر المنظم وعدم المساواة والظلم المنظم التى لم تشملها التحليلات الماركسية رفعت مستوى الوعى بالمسئولية الاجتماعية والخطية الاجتماعية .كيف يمكننى أن أساند الجماعة التى تفرض عدم المساواة والفقر على مجموعات كبيرة من الناس، هل يمكننى كمسيحى أن أفصل حياتى الشخصية عن دائرة الحياة العملية؟ هل يمكن أن أقول مثل كثير من المصريين "هذه نقرة وتلك نقرة "

النظرية النفسية أيضا تتعامل مع نوع الحياة وكيفية الحياة التى يجب على الإنسان المسيحى أن يعيشها فى ضوء إيماننا .إن إجابة لاهوت التحرير تقول إن المسيحى يجب أن تكون حياته مركزا للتحرير، التحرير على المستوى الشخصى والجماعى.

٤. بعض الأسئلة الجديدة.

إن تأثير نظرية أمريكا اللاتينية على الأوقات المعاصرة مثل إلقاء الأحجار فى حوض سباحة، إن الأمواج ما زالت تبدأ فأسئلة جديدة تتم معالجتها ثم تظهر أسئلة أخرى ونظريات جديدة، فوجهة النظر بسيطة إذا كانت النظرة الكلاسيكية قد تمت عن طريق

(الأوروبى ـ الأبيض ـ المستقيم ـ الرجل ـ ذو المستوى المتوسط ـ الكهنوتى)
إذن هناك أصوات بعض الناس تم تجاهلهم ولم تؤخذ خبرتهم فى الاعتبار،

الأصوات الغير مسموعة هى أصوات الذين هم فى القاع والذين يحتاجون إلى التحرير.

لذلك فإن إدراك الحركة فى أمريكا اللاتينية بدأت برصد بعض هذه الاحتياجات والحركات التحريرية الأخرى مثل :تحرير السود الكوريين الأسيويين الفلسطينيين، حركات تحرير المرأة، النظريات العلمانية، تحرير اليهود، البيئة ....على سبيل المثال وليس الحصر.

٥. نظرية تحرير المرأة.

سوف نعرض باختصار حركة تحرير المرأة والتى يجب أن تكون إحدى النظريات المهمة فى التحرير، حيث أن الأغلبية فى الفقراء تكون من السيدات، بدلا من آن يكون الدين مصدر التحرير فإنه يستخدم لفرض مزيد من القوة والقهر على المرأة، فبالنظر إلى مسلسل "قاسم أمين "نجد أن العادات المسيحية ليس لها التزام مطلق تجاه هذا النوع من القهر.

إن من أهم المشاركات النظرية فى مجال اللغة والوصف .السؤال كيف نصف الله وكيف نتحدث عن الألوهية؟ تعد نفس الطريقة التى نوصف بها فى مجتمعنا ونتحدث عنه، بكلمات أخرى إن المجتمعات الدينية تبنى مثاليتها على الله: إذا كان الرجل هو الأكثر قدرة وقلقا على مجتمعه هو الأكثر قيمة والمنتصر هو الذى يحب بلده، فمن ثم يرى الناس الله على أنه رجل يحمى شعبه، ولكن هذا ليس كل شئ فبعد قليل يغير المجتمع الصورة التى رسمها لله ليعود لمجتمع بعقوبات إلهية، النظام الاجتماعى الذى يسيطر فيه الرجل يكون هو النظام الذى أمر به الله، فإن أى تغيير يطرأ على هذا النظام ينظر له على أنه تجديف، فالرجل هو صورة الله ليس فقط القادر على تمثيله، وهذا هو سبب عدم إمكانية المرأة من أن تكون كاهنا فى الكنيسة الكاثوليكية، نحن نبنى المجتمع بالطريقة التى نتحدث بها، فبكلمات أخرى إذا استخدمنا لغة مذكرة فى حديثنا مع الله الذى لا يحدده جنس معين فنحن إذا نؤله عن غير قصد الرجل .فأن لاهوت تحرير المرأة ليس يبحث فقط عن تحرير الرجل أيضا على المستوى النظرى والعملى.

فلاهوت التحرير سوف يستمر طالما هناك أناس يحتاجون إلى التحرير عقد ظهرت، وجهات نظر جديدة، وأيضا أسئلة جديدة لها إجابات اجتهادية، لو أن هدف اللاهوت والدين هو الفرح العميق والسعادة لكل مخلوق على هذه الأرض فإذن أمامنا طريق طويل للمضى فيه.

هل الإسلام فى حاجة إلى مثيل للاهوت التحرير

جمال البنا

تأثيرات متبادلة:

يظهر تاريخ الإسلام وتاريخ المسيحية عوامل الائتلاف والاختلافات كما يظهر أن الحروب والمعاهدات وعلاقات التبادل التجارى والثقافى أثرت عليها وأن الأديان - رغم أصلها السماوى - عندما تدخل دور التطبيق تصبح ظواهر اجتماعية تخضع لما تخضع له كل الظواهر من تداخل وتأثير انفعال، وتفعيل، فعل، ورد فعل وأن الظواهر الاجتماعية بدورها ليست قلاعا مشيدة أو حصونا مغلقة لأنها تعود فى النهاية إلى النفس الإنسانية وهى أصلا واحدة .. وإلى قوانين المجتمع ..وهى أيضا مما تخضع له الظواهر الاجتماعية ..

وهذا الكلام - رغم أنه يبدو - علمانيا خالصا فإنه لا يتعارض مع ما جاءت به الأديان .فالمسيحية اعترفت باليهودية التى سبقتها وألحقت العهد القديم بالعهد الجديد ولعلها أيضا بشرت بالإسلام، والإسلام بدوره اعترف باليهودية والمسيحية واقترب جدا من المسيحية عندما تحدث المسيح باعتباره "كلمة "من الله وأنه "روح منه "وأن الله أيده بروح القدس

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (٢٥٣ - البقرة)

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٤٥ - آل عمران)

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (١٢ - التحريم)

وقد أضاف إلى معجزات السيد المسيح معجزات لم ترد فى الأناجيل كتحدثه عند ولادته وأنه كلم الناس فى المهد فضلا عن أن الإسلام اعترف

بكل الأنبياء بمن فى ذلك أنبياء لم يقصص القرآن أسماءهم .

وقد تعامل الإسلام بصورة مباشرة مع اليهودية لأن فترة انتصار الإسلام فى المدينة أدت إلى الاحتكاك باليهود وأدى شنآن العداوة التى أضمرها اليهود للإسلام لأن يسوء رأيه فيهم، على نقيض المسيحية التى تحدث عنها بكلمات فيها الكثير من الرقة والعذوبة والتقارب .وأذن الرسول لوفد نصارى نجران بأن يؤدوا صلاتهم بالمسجد وظفر أقباط مصر بعاطفة خاصة من الرسول بعد أن أنجبت له ماريه القبطية ابنه "إبراهيم "الذى مات فى شهوره الأولى.

وعندما حقق الإسلام انتصاراته وأقام مدينته أولا فى دمشق البيزنطية بالانتماء أو بغداد الفارسية بالأصل تأثر الإسلام بالفلسفة اليونانية التى سادت هذه المنطقة قبل الإسلام وظهر هذا جليا فى علم الكلام الذى كان كله تقريبا يعود إلى أصول يونانية وإلى منطق أرسطو ..وقام فلاسفة الإسلام، ابن سينا والفارابى وابن رشد، وهم جميعا من أصول غير عربية ومن الذين تخصصوا فى الفلسفة اليونانية بإيجاد جسر ما بين الله فى الإسلام "وواجب الوجود "الذى توصلت إليه الفلسفة اليونانية بل إننا نجد أن أقسى نقاد الفلسفة وهو الغزالى يقيم أصول الفقه على أساس المنطق الأرسطى ويصرح فى كتاب المستصفى وهو من المراجع المعتمدة فى أصول الفقه، بأن من لا يحسنه لا يوثق بعلمه أصلا ..وقد قيل عن الغزالى إنه دخل الفلسفة ولم يخرج منها ..

وقد ظن فلاسفة علم الكلام أن الفلسفة اليونانية قدمت تدليلا منطقيا على وجود الله ..وأنهم بهذا خدموا الفكر الإسلامى وإن تجهم فريق كبير من العلماء الإسلاميين لهذا الاتجاه وضاقوا به وبعلم الكلام الذى ابتدعوه وطبقا لهم فإن علم الكلام جاء مخالفا للمنطق القرآنى فى إثبات وجود الله تعالى الذى يقوم على "الخلق "وعلى الاستدلال بالمخلوق على الخالق وأن هذا الكون العجيب بما فيه من دقة وتناسب وما فى الأرض والأشجار والأنهار وكيف تحيى الأمطار الأرض بعد موتها فتنبت من كل الثمار والفواكه الخ ...

﴿ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ﴿ ٤٠ - يس ﴾

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ﴿ ٣٥ - الطور ﴾

وقد كان من القضايا التى أثارت دهشة البعض أن ابن رشد الذى تجهم له بعض علماء الإسلام أثر أثرا عميقا فى فلاسفة اللاهوت المسيحى وظفر منهم بتقدير كبير عندما أعاد إلى الفكر الأوروبى فلسفة اللاهوت

المسيحى وظفر منهم بتقدير كبير عندما أعاد إلى الفكر الأوربى فلسفة أرسطو بعد أن كيفها بحيث تتفق مع الإسلام (ومع الأديان عامة) والحقيقة هنا هى أن ابن رشد حل للمسيحية إحدى مشاكلها ولكنه أوجد فى الإسلام مشكلة كان الفكر الإسلامى فى غنى عنها .

وهذا ما ينقلنا من فترة التأثر الإسلامى بالفلسفة اليونانية إلى تأثر اللاهوت المسيحى بالفكر الإسلامى وفلاسفة الإسلام، بن سينا والفارابى وابن رشد فى القرون الوسطى.

تأثير الفكر الإسلامى على المسيحية فى القرون الوسطى:

حاولت الكنيسة المسيحية فى الفترة الأولى لظهور الإسلام وانتصاراته تلويث صفحته وإذاعة روايات غريبة عنه كإحدى النحل المنحرفة عن المسيحية وانهالت الإهانات والمزاعم على رسول الإسلام إلا أن ازدهار الحضارة الإسلامية وقيام صلات وثيقة وعديدة ما بين العالم الإسلامى والعالم المسيحى غيرت الصورة وقد تحدث عن ذلك الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر فى الثلاثينات من القرن الماضى فى مقدمته لكتاب الشيخ أمين الخولى عن "صلة الإسلام بإصلاح المسيحية "فقال " .. فالحروب بين الإسلام والمسيحية فى الشرق والغرب وتبادل الأسرى والفتح وبسط رواق الحكم والسلطان الإسلامى فى الغرب وغزو الفرنجة بلاد المسلمين واختلاط الجند فى الشرق والغرب واستعانة المسلمين بغيرهم فى مرافق الدولة وأعمال الحكومة واستعانة غيرهم بهم فى ذلك والوفود التى تفد من الجانبين للصلح وتقرير العلاقات أو لرود البلاد والانتفاع بما فيها من مناخ وموارد وتبادل التجارات كل ذلك لايدع مجالا للشك فى هذا الاتصال المادى وقوته [1].

وقد امتد الإسلام وتوطن فى أسبانيا وجنوبى فرنسا وإيطاليا وفتح المسلمون نبل (نابولى) وجنوه وتغلبوا على رومية فى القرن التاسع حتى استنقذها البابا حنا بوعدهم جزية كبيرة واستنجد عليهم ملكى فرنسا وألمانيا، هذا إلى غارات لهم على مختلف المدن فى أنحاء إيطاليا .كما امتلكوا بعض شواطىء نهر ردونه (الرون) ووصلوا إلى لودون (ليون) وامتلكوا صخرة ابنيون. (افينيون) وأقاموا بها بضع سنوات وتلك الصخرة هى التى كانت فيما بعد مقر البابوية لمدة عشرات السنين فى القرن الرابع عشر وكانت منطقة "الالبيجوا "التى تنسب إليها شيعة مسيحية شهيرة ميدان غارتهم وتوطنوا الميم (سبتمانية) مما يلى جبال البرتات من جنوبى فرنسا وإذا ما خرجوا منه لم يلبثوا أن يعودوا إليه، وكذلك ظلوا فى بعض جهات

جنوبى فرنسا من أواسط القرن الثامن الميلادى إلى القرن العاشر على رأى بعض المؤرخين.

واتصلت بذلك الفتح المنظم حركات عصابات إسلامية قوية استوطنت فراكسينت على حدود فرنسا وإيطاليا ولبثت فى تلك المنطقة وما حولها حتى القرن العاشر الميلادى واحتلت مضايق الألب بحيث وقعت طرق الاتصال بين فرنسا وإيطاليا فى قبضتهم بل عوهدوا على الإذن بالمرور منها معاهدات منظمة وهكذا أقاموا فى سافواى وجالوا فى جميع أنحاء سويسرا بلا معارض .

وانتهى بهم الأمر إلى هذه المناطق من أوروبا والاستقرار فيها فزرعوا أو عمروا ونزحوا ونسلوا .

وألجأت السياسة المسلمين لأن يستنجدوا بالمسيحيين كما ألجأت المسيحيين إلى أن يستنجدوا بالمسلمين فحارب مسيحيون تحت لواء الإسلام كما حارب مسلمون تحت لواء المسيح وقامت حركة تزاوج لم يقف أمامها أن تتزوج بنت أمير مسلم من ابن أمير مسيحى كما تبادل الفريقان الأسرى والوفود وتجول التجار وهذه كلها كانت عوامل حراك وتأثير متبادل..

ودفعت الرغبة فى التبشير بالمسيحية بعدد من كبار الدعاة المسيحيين مثل سان فرانسيس الازيزى لأن يسافر لدمياط ويقابل السلطان الكامل سنة ١٢١٦ ويدعوه لاعتناق المسيحية .

وأدى هذا الحراك لأن يقوم عدد من الكهنة بترجمة الكتب الإسلامية بدءا من "القرن الثانى عشر "ونشطت حتى لنرى قسطنطين الأفريقى الملقب بمعلم الشرق والغرب فى القرن الحادى عشر الميلادى ذا نشاط عجيب فى ترجمة العلوم عن العربية .

ويطرد هذا النماء فنرى فى القرن الثانى عشر مثلا يوحنا بن داود الأندلسى اليهودى وجيرار الكريمونى الذى ترجم وحده ما لا يقل عن أربعة وسبعين كتابا علميا ما بين صغير وكبير وأفلاطون النيفولى يترجم المعارف الإسلامية عن العربية والعبرية. وهناك آخرون غيرهما.

بل نرى للترجمة دوائر منظمة يؤيدها ملوك شهيرون فى نواح مختلفة من أوروبا ففى صقلية ونابولى وطليطلة وقشتالة وفرنسا تقام تلك المعاهد ونرى ملوكا أقوياء يبذلون جاههم ومالهم لحماية تلك الحركة وزيادة نشاطها.

ومن أكبر هؤلاء الملوك الغربيين وأجلهم فردريك الثانى هوهنشتاوفن

الألمانى إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة وحاكم صقلية .والفونس الحكيم القشتالى، فتحت إشرافهما اشتغل مترجمون من أنحاء مختلفة فى أوروبا .وكان "سكوت ميخائيل الاسكتلندى "فى حاشية فردريك المذكور يشرف على الترجمة الجديدة لأرسطو وتفاسير فلسفته الإسلامية من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية مع آخرين من جنسيات مختلفة كما كان الحال كذلك تحت إشراف الفونس الحكيم فى القرن الثالث عشر الذى كان يصحح بنفسه ما يترجم إلى اللغة القشتالية كما كان منفرد بن فردريك هوهنشتاوفن يترجم بنفسه .

وقد يثير هذا نقطة هى مدى إلمام الأوربيين وقتئذ باللغة العربية وهناك دلائل عديدة تدل على انتشارها بين المعنيين، وقال روجر باكون فى القرن الثالث عشر إن الفلسفة مأخوذة عن العربية فلا تفهم كما يجب إلا إذا عرفت اللغة التى أخذت منها وكان البابا سلفيستر الثانى والفيلسوف البرت الكبير يعرفان العربية كما كان بعض ملوك أوروبا، مثل فردريك الثانى وروجاز ملك صقلية والمبشر الكبير ريموند لول يحسنون العربية.

وبذلك تعرف الأوروبيون على فكر فلاسفة الإسلام كالكندى وابن سينا والغزالى وظهرت تراجم فى تفكير المفكرين الأوربيين فكان يوحنا دنس سكوت الإسكتلندى يستوحى تأثير الارسطالية الإسلامية وبخاصة من ابن سينا كما يتأثر بابن سينا نفسه فى ألمانيا الفيلسوف إيكهارت وكان إسكندر الهاليسى الذى درس وتعلم فى باريس يعتمد على الشروح العربية لابن سينا وابن رشد والبرت الكبير يتأثر بابن سينا حتى ليقول رينان إنه مدين بكل شىء لابن سينا كما أن القديس توما الأكوينى فى إيطاليا مدين كذلك لابن رشد وهو فى الوقت نفسه ممن تأثر بالغزالي.

وذكر الأستاذ عمر فخورى فى كتابه آراء غربية فى مسائل شرقية (مطبعة المفيد دمشق سنة ١٩٣٥).

أن المستشرق الأسبانى آسين بلاسيوس فاجأ العالم عندما قدم سنة ١٩٢٩ بحثه عن "وصف العالم الأخروى عن المسلمين وأثره فى الكوميديا الإلهية "عندما قبل عضوا فى الاكاديمية الملكية الأسبانية إذ كشف بتفصيل دقيق لا يدع مجالا للمصادفة أو توارد الخواطر عن أن ما جاء فى الكوميديا الإلهية يشبه تماما ما جاء فى الكتابات الإسلامية وبوجه خاص ابن عربى فى الفتوحات الملكية أو الشاعر أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران والعجيب أن استكشافه هذا اهتدى إليه عندما كان بصدد اكتشاف آخر هو أثر الفيلسوف الإسلامى بن مسرة فى المذهب الفرنسيسكانى .

وقد تضمن كتاب عمر فاخورى بحثا آخر عن تأثر ديكارت بالغزالى نقلا عن كاتب فرنسى هو شارل سومان.

نتيجة لهذه الترجمات التى كانت تمثل تقدما فكريا بالنسبة لفكر أوروبا وقتئذ ظهرت اتجاهات تعكس أثر الإسلام على المسيحية مثل الحركة الفالدية التى أسسها بطرس فالدو فى ليون وارتأت أن الكنيسة الرومانية حائدة عن الإنجيل ويجب إعادتها إلى أصوله .ومن آراء هذه الطائفة: وجوب التعويل على الكتاب المقدس وأن الكتاب يتضمن كل ما يكفى للنجاة وأنه لا مقتضى للاستغاثة بالقديسين والاستشفاع بهم فى نوال النجاة كما يرون أن رياسة البابا يجب هدمها ...الخ.

كما ظهر من فرقة الفرنسيسكان والدومنيكان كثير من المفكرين والفلاسفة، مثل البرت الكبير والقديس توما الأكوريني من الدومنيكان والاسكندر إلهاس وروجر بيكون ودنس يكوت من الفرنسيسكان .

وعمليا تمثلت آثار هذا الفكر الإسلامى فى:

١. رفض السلطة الكنسية سواء كانت فى الباب أو المجامع وأنه يكفى للنجاة تصحيح العقيدة.

٢. النجاة وأنها منحة من الله يتلقاها كل إنسان من ربه بواسطة العقيدة دون توسط الكنيسة.

٣. الاعتماد على الكتاب المقدس وحرية قراءته وتفسيره لكل من يقدر عليه وعدم قصر ذلك على المرخص لهم من رجال الكنيسة .

٤. مسألة سر الشكر أو "الافخارستيا "إنكار الاستحالة الحقيقى مع الاعتقاد بوجود المسيح فى القربان إلى جانب الخبز والنبيذ دون أن تكون استحالة حقه .

٥. مسألة الصور والتماثيل والأيقونات الخ ...ومع أن هذه المسألة لها تاريخ فى المسيحية يسبق ظهور الإسلام فإن العلاقة الوثيقة بين ليون الثالث الأيساروى مكسر الأصنام والإسلام تبرز الأثر الإسلامى فى ذلك.

ويلفت الانتباه معالم الشبه بين هذه الاتجاهات والاتجاهات التى أدت إلى الحركة البروتستانية والكالفنية فى القرن السادس عشر ثم حركات تحرير اللاهوت فى الفترة المعاصرة .

وقد أبدى لوثر نوعا من التعاطف مع الإسلام وحاول بحكم نفوذه أن يحمل مدينة بازل على السماح بنشر نسخة لاتينية للقرآن قام بها نيودور ببليـاندر Bibliander Theadore فى الوقت الذى كان المجلس يميل لسجن

ببلياندر "لعمله الشيطانى "وكان لوثر يرحب بأى عمل يساعد المسيحية للتغلب على جهالتها وعدم اهتمامها بالإسلام وكان يلم بأعمال الرسول وابن سينا والفارابى وابن رشد وقال عن الإسلام "إن حماستهم (المسلمون) الدينية مثالية كما هى حكومتهم وقوانينهم وإخلاصهم هم يتركون الناس يعتنقون ما يؤمنون به ولا يجبرون أحدا على إنكار المسيح "وإن كان قد عدل هذا الحكم شيئا ما عندما علم أن الأتراك لا يتركون المسيحيين أحرارا فى الدعوة لدينهم أو ذكر شىء يمس النبى محمدا وكان يشعر بالأسى لأن الحرب على الأتراك تقام على أسس دينية وأن الطريقة الوحيدة لمجابهة التحدى الإسلامى هى التوبة إلى الله والاتجاه إليه .وقادته دراساته للإسلام والمسيحية لأن يؤمن أن خطر الإسلام وتهديده للمسيحية إنما هو أداة لمشيئة الله ردا على فساد ممارسات المسيحيين .وأن فساد المسلمين والمسيحيين معا يجب أن يدفعهم إلى أن يسلكوا السبيل الموصل لله.

وتأسست بتأثير المبشر المتحمس رايموند لول مراكز للدراسة الشرقية ـ وبوجه خاص الإسلام ووافق مجلسا فينا وباريس على تكوين كليات لدراسة اللغات العربية والعبرية والفارسية فى روما وبولونا وباريس وأوكسفورد وسالامنكا واختيار هذه الأماكن لم يأت عبثا بل لأنها كانت قبلا محلا لجاليات إسلامية .

ووصلت العلاقات إلى قمتها فى الحروب الصليبية التى جعلت الصليبيين يتعرفون على أنماط من السماح والمساواة لم تكن مألوفة فى أوربا القرون الوسطى فحملوا بذورها إلى أوروبا .

وكان من نتائجها أيضا أنها حولت أشخاصا مثل أجناسيوس دى ليولا وفرانسيس الأسيسى وريموند لول من اتجاه المقاومة العسكرية إلى الاتجاه التبشيرى [٢].

بعد الحروب الصليبية انكفأ الغرب على نفسه وبدأ مسيرته نحو تقدمه الخاص ولم يعد يعنيه الإسلام أو الشرق كثيرا خاصة بعد أن استكشف طريق رأس الرجاء الصالح ولم يعد به حاجة للمرور تجاريا بدول الشرق الإسلامى .بل إنه اتجه غربا واستكشف أمريكا وبدأت مراكز الثقل تتحول تدريجيا من البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلسى.

وارتاح الشرق لثلاثة أو أربعة قرون من التدخل الأوروبى ولكن ليبدأ بعد ذلك الزحف الأوروبى الطويل خاصة حملة نابليون على مصر ١٧٩٨ وما تلاها لتبدأ الحقبة الاستعمارية ولتأخذ المسيحية فى التأثير على الإسلام .

وعند مراجعة آثار الإسلام على المسيحية طوال القرون الوسطى التى

كان للإسلام فيه اليد العليا فإننا نجد ملامح شبه قوية بينها وبين اتجاهات لاهوت التحرير .فرغم كل الهجوم على الكنيسة المسيحية وسياساتها فإنها لم تفقد قوتها وسيطرتها مما تطلب حركة الإصلاح الدينى فى القرن السادس عشر وحتى هذا فإنه لم يغير جذريا سياسة الكنيسة بما فيها الكنيسة البروتستانتية التى بدأت الإصلاح ثم عدت عليها العوادى " المؤسساتية "التى لابد وأن تصيب أى مؤسسة مما تطلب فى النهاية لاهوت التحرير.

أثر المسيحية فى الإسلام:

قد يكون هذا التعبير غير دقيق فإن الخبرة والتجربة أوضحت لأوروبا فشل كل المحاولات التى بذلت لطعن الإسلام نفسه - كعقيدة - أو توهينه أو إثارة الشكوك فيه فتحولت إلى المسلمين وليس إلى الإسلام وهنا نجحت نجاحا كبيرا.

ويعجب الإنسان للروح التبشيرية القوية التى تكونت فى أوروبا وفيما بعد أمريكا وزحفت على كل بلاد الشرق آخذة صورتين هما التعليم والعلاج .

ويحدثنا أحد الكتاب عن "الخبرة اليسوعية "فى هذا المجال فيقول

"أسس اليسوعيون كلية بغداد فى عام ١٩٣٢ بناء على طلب مطارنة العراق الكاثوليك بموافقة الحكومة العراقية وبدأت جامعة الحكمة عملها فى عام ١٩٥٦ بموافقة الحكومة أيضا وخصصت لها الحكومة ٢٧٢ دونما من الأرض وجاءت المساعدة لأبنية الجامعة وتجهيزاتها من مؤسستى غولبنكيان وفورد ومن الجمعية الخيرية الكاثوليكية للشرق الأدنى وإلى حد أقل من وكالة المساعدات الأمريكية.

"وفى صيف ١٩٦٨ تولى زمام الحكم فى بغداد حزب البعث فأممت الحكومة الجديدة جامعة الحكمة .وفى شهر تشرين الثانى (نوفمبر) من العام نفسه طلب العراق من جميع اليسوعيين الأمريكين ممن لهم علاقة بالجامعة مغادرة البلاد .وفى صيف العام التالى أعلنت الحكمة جزءا من جامعة بغداد .وأغلقت المدارس التى كان يديرها البروتستانت الأمريكين فى البصرة فى جنوبى العراق وطلب من موظفيها الأجانب مغادرة البلاد.

"إن التجربة اليسوعية فى العراق كانت فاشلة .وكانت أسباب الفشل خارجية وسياسية بعيدة عن سيطرة الآباء اليسوعيين .وفى بعض المعاهد التعليمية المسيحية فى العراق كان حضور الطقوس الدينية المسيحية إلزاميا لجميع الطلاب حتى لو كانوا مسلمين .فأثار ذلك حفيظة الحزب الحاكم الذى يعتقد أن تعليم العرب لا يمكن أن يتولاه أجانب .وقد خلقت حرب عام

١٩٦٧ شعورا قويا بالريبة ومواقف معادية للأمريكيين فالأمريكيون الذين كانوا مقبولين نسبيا قبل قيام دولة إسرائيل باتوا منذ ذلك الحين وبمرور الوقت موضع شك جميع الوطنيين العرب ولاسيما الأحزاب العقائدية مثل حزب البعث .فكان فشل جامعة الحكمة ناجما عن الأسباب التالية:

١ـ جميع المدرسين كانوا من الأمريكيين اليسوعيين.

٢ـ الطلاب كانوا من العراقيين الناضجين والواعين جدا من الناحية السياسية.

٣ـ منذ ١٩٦٧ أصبح هؤلاء الطلاب معادين بشكل قوى جدا للأمريكيين.

٤ـ كان فى وسع الجامعات العراقية الوطنية أن تستوعب جميع هؤلاء الطلاب.

وقد فشلت أيضا التجربة اليسوعية فى سوريا إذ أن حزب البعث الذى تولى الحكم فى سوريا منذ عام ١٩٦٢ أمم جميع المدارس الخاصة واستولى على إدارتها.

أما فى لبنان فقد نجحت التجربة اليسوعية بفضل وجود جالية كاثوليكية قوية هى الموارنة التى تجاوبت مع اليسوعيين وأيدت مساعيهم. وتشدد جامعة القديس يوسف اليسوعية التى أسست قبل مائة عام على تدريس الحقوق الآداب العربية .وإليها يعود الفضل الأكبر فى إعداد طبقة المفكرين اللبنانيين والطبقة الحاكمة السياسية والبيروقراطية .ومع ذلك فإن هذه الجامعة تواجه حاليا مشكلات خطيرة من جانب الطلاب اليساريين الذين يدعون إلى تأميمها [٣].

أما عن الخبرة البروتستانية فيقول الكتاب "أنشأت الإرساليات الأمريكية الكلية السورية البروتستانية فى بيروت عام ١٨٦٦ وفى عام ١٩٢٠ استبدل اسمها فأصبحت الجامعة الأمريكية فى بيروت وهى الآن مؤسسة علمانية .ويمكن القول أن الجامعة الأمريكية فى بيروت وجامعة القديس يوسف قد تكونتا أصلا لأسباب تبشيرية وثقافية .أما السبب الأول فى نجاح هاتين الجامعتين فهو فى أنهما نشأتا - بمجرد المصادفة تقريبا - فى المكان المناسب وفى الوقت المناسب .ويمكن أن نعزو النجاح المستمر لهاتين الجامعتين إلى ظروف لبنان الخاصة والفريدة أكثر منه إلى أية خصائص بارزة أخرى تتميز بها هاتان الجامعتان .ولا يمكن أن نجد فى لبنان إلا جامعتين أجنبيتين لهما شأنهما ومازالتا مستمرين فى العمل بحرية تامة تقريبا خلال هذه المدة الطويلة.

وكانت هاتان الجامعتان ذروة النشاط البروتستانتى والكاثوليكى فى

المنطقة .وقد بدأت كلتاهما كمعهد دينى فى المناطق الجبلية فى وقت واحد تقريبا .ولم تكن أى منهما مهتمة فى البدء بالتربية العلمانية فركزتا بالدرجة الأولى على "رد العالم إلى الله "ثم ما لبثتا أن أخذتا تتنافسان معا فى كسب معتنقى مذهبيهما إلى صفوفهما .وتحقيقا لهذه الغاية كان على كل منهما أن تخاطب العقل والقلب .وأخيرا امتدت هذه المنافسة إلى ميدان التعليم العالى .

والعقبة الرئيسية فى سبيل نجاح معاهد التربية الأجنبية هى مثاليتها. فهى تحاول أن ترسخ فى العالم العربى نماذج منقولة عن ثقافات أجنبية. وهذا يتنافى مع الواقع وينبغى لهذه المعاهد أن تتعلم معنى التساهل .ولا تستطيع المعاهد التربوية الأجنبية أن تستمر إلا إذا كان فى وسعها أن تساعد فى عملية توحيد الشرق الأوسط .أما إذا أسهمت فى عملية التفرقة نالها الفشل (٤).

ولأ هذا الكتاب فيما يبدو اقتصر على سوريا ولبنان والعراق فإنه أهمل مصر والشمال الأفريقى حيث وصل النفوذ التبشيرى الذى سار يدا بيد مع الاستعمار الفرنسى إلى درجة كادت أن تطمس الشخصية العربية/ الإسلامية ولايزال أهل الجزائر وتونس والمغرب حتى اليوم يتحدثون الفرنسية بطلاقة لا يجدونها فى العربية أما فى مصر فإن تكوين الجامعة الأمريكية من ناحية وإقامة سلسلة عديدة من مدارس الجيزويت غطت القاهرة وعواصم المديريات أثرت تأثيرا كبيرا على تكوين شخصيات كثيرة من البنات اللاتى أصبحن أمهات والشبان الذين تقلدوا المناصب الرفيعة. ويمكن القول إن هذه المدارس سبقت التعليم الرسمى فى بعض الحالات وأنها كانت هى المدارس المفضلة من النخبة لما تميز بها التعليم من أخذ بالوسائل الحديثة ولأنها تعلم اللغة الأجنبية وخاصة الفرنسية التى كانت لغة "الصالونات "فى مصر مع أن بعض هذه المدارس كانت تحمل أسماء تكفى وحدها لعزوف المسلمين عنها مثل "أم الإله la mero de dieau وهى من أنجح المدارس "وأن بعضها أيضا لم يخف طابعه المسيحى بل لقد وجد فى سراى عابدين نفسها من ضمن الهيئة التى أشرفت على تعليم الأمير فاروق فى طفولته راهبة إنجليزية قالت بصراحة إن ضميرها يملى عليها أن تعلمه الروح المسيحية .أما تأثير البعثات التبشيرية فى أفريقيا - بعد الصحراء - فقد وصل من القوة إلى أن المدارس التبشيرية هى التى خرجت قيادات القارة بعد أن دخلوها أطفالا مسلمين فخرجوا منها مسيحيين وشغلوا المناصب الرفيعة بما فيها رئاسة الدولة والوزارات الخ ..ولم يعد

شاذا أن تكون الأغلبية العظمى لدولة أفريقية من المسلمين بينما رئيس جمهوريتها أو وزراؤها من المسيحيين الذين تعلموا فى المدارس التبشيرية واعتنقوا فيها الديانة المسيحية.

حركات التحرير فى المسيحية والإسلام:

إن استعراض المؤثرات الإسلامية على المسيحية فى القرون الوسطى وما انتهت إليه الأمور من قيام الإصلاح على يدى الحركة البروتستانتية. يوضح أنها كلها لم توهن من سلطة الكنيسة على أتباعها وأن الكنيسة البروتستانتية التى قامت كحركة احتجاج على السلطات الكبيرة للبابا على رعاياه لم تسلم هى الأخرى من مؤثرات انحرفت بها عن الفكرة التحريرية التى قامت لهاوقد يوضح ذلك مقاومة لوثر لثورة الفلاحين الألمان سنة ١٥١٥ ودعوته النبلاء لسحقها بكل قوة.كما يتضح من الحكم الإرهابى الذى بسطه ألفن على مدينة جنيف عندما هيمن عليها وإحراقه للطبيب سرفيتوس – وهو بالمناسبة الذى كان قد تعرف على كتابات الطبيب المصرى بن النفيس عن الدورة الدموية وعرض أول تصور لها، ووصل بها هارفى إلى الكمال.

وأدت التطورات الحديثة وشيوع الثقافة وانتشار أدوات الاتصال وغيرها لأن تتحرك الشعوب المسيحية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية للتحرر طريق حركة "لاهوت التحرير "التى استهدفت أن تذيب الجمود الكنسى وهيمنة الشكليات والطقوس والنزعة المركزية على الكاثوليكية والبروتستانتية وسيادة الجنس الأبيض .

وأثارت حركات "لاهوت التحرير "فى أفريقيا وآسيا موجة كبيرة فى البحيرة الآسنة وظفرت بإعجاب الملايين ويمكنها أن تحقق الكثير إذا عنيت بألا تقع فى محاذير تنحرف بها عن رسالتها مثل التورط فى الدراسات اللاهوتية التى تمثل أعلى درجة من درجات التخصص فى المسيحية وبالتالى فليس لها دور فى حركات التحرر الشعبية بل أن مجرد معالجة هذه النقطة يمكن أن توجد خلافات لا طائل منها بين هذه الحركات بعضها بعضا أو ما بينها وبين الكنيسة الأم كما أن عليها أن تحذر التورط فى استلهامات نظريات سياسية كالاشتراكية أو الماركسية أو غيرها أو التورط فى نشاط سياسى ما لم يأخذ هذا النشاط طابعا تحريرا لا يكون محل خلاف وعليها أن تقصر عملها حول تحرير الإنسان من القوى المادية التى تتحكم فيه والتى تنحرف به عن طريق الهداية الإلهية وهذا لا يعنى السلبية إزاء القوى التى تعمل لاستعباد الفرد واستلحاقه أو استغلاله فإن

مقاومتها هى من أكبر ما يجب أن تعنى به وتمنحه صدارة بين اهتماماتها ولكن ذلك يجب أن يأخذ شكل المهاترات السياسية أو المنافسات على الحكم .إن على حركات لاهوت التحرير أن تجعل مبدأها المسيح قبل الكنيسة والإنسان قبل السبت وأن تجعل دستورها الوحيد توجيهات خطبة الجبل التى تمثل روح المسيحية وضميرها وسبيلها للخلاص وسيجعلها هذا تضع الأولويات موضعها السليم بحيث لا تستحوذ الشكليات والطقوس وما وضعه آباء الكنيسة من نظم وقواعد لتوثيق تبعية الفرد للكنيسة لأن الفرد هو الغاية أما الكنيسة فهى الأداة أو الوسيلة وخير ما تفعله حركات لاهوت التحرير هو إشاعة المعرفة والثقافة ومناخ الحرية لأن هذا هو ما يسمح ببروز شخصية الفرد وما يخلصه من الأسر والأغلال التى خلفتها التقاليد القديمة وبهذا تكون الحركة حركة التحرير من اللاهوت بقدر الإيمان بالمسيحية وإذا لم تستطع أن تجعل كلمات خطبة الجبل معالم طريقها لمثاليتها فعلى الأقل تجعلها النجوم التى تضىء لها سواء السبيل وتقيها الضلال والانحراف.

وعلى حركات التحرير أن ترفع فى مواجهة النزعة المادية التى تكتسح العالم وتعد الرأسمالية فيه هى فضيلة الفضائل "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان "إن آلة المجتمع الحديث بكل تقنياته لا يمكن أن تقدم المعنويات التى تثرى الروح وتكفل السلام للقلب .فلابد من القيم ولابد أن تأتى هذه القيم من الله نفسه وليس من النظم أو الأوضاع السياسية وبدونها فلا قيمة لكل هذا التقدم المادى مادام الإنسان قد خسر نفسه.

وأخيرا فإن على حركة لاهوت التجديد أن تحذر أن تصبح "مؤسسة " لأنها عندئذ ستصاب إن آجلا أو عاجلا بالداء "المؤسساتى "وقد تصبح لها كنيسة مثل الكنيسة البابوية أو البروتستانتينية التى قامت كنوع من الاحتجاج عليهما .وعليها أن تحرص على أن تكون دعوة مفتوحة تتجدد قوتها بما ينصب فيها من روافد الآراء.

أما أثر المسيحية فى الإسلام فكما قلنا إنه بعد فترة من الهجوم على العقيدة ومحاولة تهوينها والتشكيك فيها غيرت المسيحية اتجاهها بحيث ينصب على "المسلمين "وليس على الإسلام واستطاعت فى العصر الحديث أن تكسب للمسيحية شعوبا عديدة فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية كما كسبت للمسيحية شعوب أوروبا فى العصور القديمة، كما استطاعت المدارس والجامعات التى أسستها هيئات تبشيرية الأصل أن تؤثر فى شخصية النخبة والطبقة الوسطى فى معظم بلاد الشرق .وقام الآباء اليسوعيون فى لبنان بطبع ونشر كتب عربية ومسيحية.

إن التأثير الذى عالج العقيدة لم يأت من هيئات التبشير الكنسية ولكن جاء نتيجة لازدهار الثقافة والمعرفة والنظم الاجتماعية والسياسية فى أوروبا الحديثة. وكان دعاته الأوائل من البعثات التى أرسلتها الدولة العثمانية ومصر إلى الخارج ولعل أبرزهم التونسى خير الدين والمصرى رفاعة الطهطاوى وجعلهم هذا التأثير يتوصلون إلى فهم العقيدة والشريعة أكثر عمقا وموضوعية وشمولا من نظرة الأسلاف فى العصور القديمة. وهذا هو الأثر الأوروبى - وليس المسيحى - الذى أفسح المجال لحركة التجديد الإسلامى بدءا من رفاعة الطهطاوى فجمال الأفغانى ومحمد عبده.

على أن جهود هؤلاء الدعاة رغم إخلاصهم لم تنجح تماما فى إنقاذ الإسلام من براثن "المؤسسة الدينية "ومن هيمنة الفكر السلفى التقليدى لأن الظروف لم تكن مهيأة وتعين على حركة أخرى أن تقوم بها .وهذا هو ما تحاوله دعوة الإحياء الإسلامى ..

دعوة الإحياء الإسلامى وكتاب "تثوير القرآن " كمثال

مع أن الإسلام لم يوجد كنيسة لها سلطة التحليل والتحريم والتكفير وأنه ندد بأن يوجد من رجال الدين من يقف بين المسلم العادى وبين الله تعالى ونهى عن اتباع ما تركه الآباء والأجداد فضلا عن طابعه "المدنى " البسيط الذى يكاد يكون علمانيا فى بعض جوانبه رغم كل هذا فإن تطور المجتمع الإسلامى من مجتمع جزيرة العرب البسيط المحدود إلى المستوى «الإمبراطورى» الذى امتد من الصين حتى الأندلس ومن سيبريا حتى السودان أوجد ضرورات فرضت نفسها على الإسلام بحيث أدى التخصص الذى لم يعد منه مناص مع توسع المعرفة الإسلامية وتوسع المجتمع إلى ظهور مجموعات خاصة يتخصص بعضها فى تفسير القرآن والبعض الآخر فى دراسة الحديث النبوى والبعض الثالث فى استخلاص الأحكام من هذين - وهم الفقهاء ..ونشأ عن هذه المجموعات "علماء دين "كونوا ما يشبه المؤسسة الدينية أو الكنيسة .وتعمق نفوذها بحكم التخصص من ناحية واستقطاب ومباركة النظم الحاكمة لها من ناحية أخرى .وطوال ألف عام عكف علماء مسلمون من سيبريا الباردة حتى السودان الحار ومن الصين شرقا حتى الأندلس غربا، على دراسة الفروع من المراجع الكبيرة التى أصبحت الأمثل الإسلام.

وبهذا نشأت المؤسسة الدينية وقلعة الفقه السلفى وهيمنت على الفكر الإسلامى (٥).

وأصبح احتكارها - بحكم التخصص - عقبة فى سبيل التقدم أو الانفتاح وحدث فى الإسلام ما حدث فى المسيحية - وإن كانت الصورة مخففة لأنها حدثت فى الإسلام بحكم التخصص - وهو ضرورة اجتماعية ولكنها حدثت فى المسيحية نتيجة الاعتقاد بأن الكنيسة هى المسئولة والمنوطة بالمسيحية وأنها تملك التحليل والتحريم.... الخ.. ووصل نفوذ «المؤسسة الدينية» الإسلامية إلى درجة أوصلتها لإغلاق باب الاجتهاد واقتصار الفقه على المذاهب الأربعة.

وكان هذا هو أكبر أسباب تخلف الفكر الإسلامى وظهر تماما أن لن يحدث تقدم إلا إذا زحزحت المؤسسة الدينية عن احتكارها ومجابهة مفارقة أن أهل الاختصاص ـ أى المؤسسة الدينية ـ لايريدون تغييرا وأن الذين يريدون التغيير من غير أهل الاختصاص.

وقد تساءل مؤلف أحد الكتب عن «لاهوت التحرير » لماذا لم تظهر فى الإسلام حركة تشبه لاهوت التحرير واستعرض جهود المصلحين مثل على شريعتى وحسن حنفى ومحمود طه وهى كلها على أهميتها لا ترقى إلى مستوى التجديد الجذرى.

وكانت تلك هى المشكلة التى تصدت لها دعوة الإحياء الإسلامى وقدمت فيها أعمق وأشمل المحاولات لأن عوامل استثنائية تهيأت لها ولم تتهيأ للمحاولات السابقة وقد شرحنا المحاولات كلها .فى رسالة موجزة عن «دعوة الإحياء الإسلامى وأهميتها» عرضت جوانب ومجالات التجديد الجذرى وفى مقدمتها الفقه الذى عولج فى ثلاثة أجزاء تحت عنوان "نحو فقه جديد "وبالنسبة للقرآن وتقييد الفقهاء "وكتاب الحجاب "وأخيرا قضية الحكم التى عولجت معالجة حاسمة فى كتاب "الإسلام دين وأمة ليس دينا ودولة . "

ولعل أبرز عوامل نجاح وتفرد الإحياء هما الاستقلالية والشمول. فداعيتها لم يرتبط بحزب أو جماعة أو هيئة... الخ...، ومع أنه نشأ فى بيت جماعة الإخوان المسلمين فإنه لم ينضم إليها وكان له تحفظات عليها كان يبديها لمؤسسها الإمام الشهيد حسن البنا الذى لم يضق بها لما اتسم به من سعة الأفق كما أن دعوة الإحياء هى ثمرة دراسة لأكثر من خمسين عاما متصلة للأديان والمذاهب والدعوات الاشتراكية والجماهيرية والنظم السياسية وحركات الإصلاح الاجتماعية ...الخ إلى جانب الدراسات الإسلامية .ومن هنا فإنها نضجت على نار هادئة وأنها فى توخيها تقديم الإسلام لم تقتصر على القرآن والسنة ولكن على كل ثمرات الحضارات

والفلسفات والفكر بحكم ثقافتها الموسوعية وما نص عليه القرآن من أنه " أنزل الكتاب والحكمة "وما جاء عن الرسول من أن الحكمة ضالة المؤمن، من هنا اتسمت دعوى الإحياء الإسلامى بطابع الانفتاح على كل الثقافات.

وقد أخذت حركة التحرير المسيحى المسيحية اسم "لاهوت التحرير " لأن اللاهوت هو جوهر العقيدة المسيحية والذى تتولاه الكنيسة وترى فيه جوهر اختصاصها ولكن لما لم يكن فى الإسلام لاهوت بهذه الصفة فإن حركة التحرير تركزت حول إنقاذ أصل الإسلام وهو القرآن من أكداس التفاسير التى ميعت قوته وأصالته وحفلت صفحاتها بمئات النقول من التوراة أو الاستشهاد بأحاديث ضعيفة أو موضوعة وأبيات شعر منحولة الخ.. ودعاوى نسخ وتأويل الآيات فى ضوء أسباب نزول مدعاة وما إلى هذا كله من ثمرات «الإسقاط» البشرى على القرآن الكريم ويأتى بعد هذا تحرير الأصول التى قامت عليها قلعة الفقه الإسلامى والتى وضعت منذ ألف عام دون تغيير .وقد صورت دعوة الإحياء الإسلامى دورها بالنسبة للقرآن فى كتاب «تثوير القرآن» ودورها فى تجديد الفقه فى مجلد «نحو فقه جديد» وقد رأينا فى هذه الورقة الاقتصار على كتاب «تثوير القرآن» لأنه يحمل روح حركة التحرير التى تقودها دعوة الإحياء والتى تماثل فى الإسلام دعوات التحرير بل وتفوقها.

وقد أخذ كتاب «تثوير القرآن» اسمه من حديث نبوى وأريد به إبراز القضية المحورية :أن القرآن كتاب هداية أو إخراج الناس من الظلمات إلى النور أو هو بتعبيرنا كتاب ثورة وليس انسكلوبيديا معلومات ومن هنا فإن المهم لم يعد تفسير القرآن ولكن تثوير القرآن.

تثوير القرآن:

والدعوة إلى تثوير القرآن هى تطبيق لفكرة دعوة الإحياء عن أهمية الأديان ودورها فى المجتمع وأنها هى الثورات الحقيقية للجماهير فى العصور القديمة .ففى هذه العصور ما كان يمكن أن يأبه للجماهير ملك أو إمبراطور أو قائد أو تاجر، كما أن الجماهير نفسها عجزت، وهى فى إسار الجهالة والاستعباد، والمثقلة بالكدح والمطالبة بتوفير لقمة العيش للأفواه الجائعة، ما كانت لتستطيع أن تتحرك وتحرر نفسها، كان لابد أن يأتى التحرير من الله وبطريقة الدين وبقيادة الأنبياء، والأنبياء هم النمط الوحيد من القيادات التى قامت من الجماهير وعملت مع الجماهير وقادتهم فى معركة التحرير وكفلت لهم النصر دون أن يتقاضوا أجرا أو يشغلوا منصبا أو يفرضوا ضرائب... ألخ.

وتاريخ الأديان يصدق هذا .فكيف كان يمكن أن يتخلص اليهود من «بيت العبودية» لولا أن آمنوا وقادهم موسى - وكيف كان يمكن التصدى للجبروت الرومانى إلا بدعوة الحب والتجرد والتضحية والفداء التى جاءت بها المسيحية واستطاعت بها أن تغلب السيف الرومانى وأن تجد قائدها الأمثل فى السيد المسيح .وبأى قوة غير الإسلام اتحدت القبائل المتنازعة والتى كان فخرها شرب الخمر ولعب القمار والاستمتاع بالنساء وأصبحوا رسل حضارة يحملون «الكتاب والميزان» إلى الحضارات.

ويرى كتاب «تثوير الحضارات» أن الأديان فيها مقومات الثورة فى أكمل صورة. ففيها «النظرية» التى وصلت إلى أعلا مستويات التنظير حتى أخذت شكل العقيدة .وفيها التغيير الشامل للوضع القائم الذى يمثله تهديم الرسول العربى لأصنام قريش فى الكعبة..

وقلب المسيح موائد الصيارفة فى المعبد "بيتى بيت للصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص "وأخيرا فإننا نجد فيها المشاركة من الجماهير مشاركة فعالة ونجد أن القائد من هذه الجماهير نفسها.

فإذا كانت أوروبا عندما تتحدث عن الثورات لا تذكر الأديان فذلك لأنها ليست أرض أديان وأنبياء، وقد حل الفلاسفة والفنانون والقادة العسكريون محل الأديان والأنبياء .

ويرى الكتاب أن القرآن يحقق التأثير الثورى بمجرد تلاوته أو سماعه لأن نظمه الموسيقى يحدث ما تحدثه الموسيقى فى النفوس من تأثير ولأن قيمه وصلت الغاية من الموضوعية والنبل نتيجة لذلك فإن أعظم فتح فى الإسلام حدث عندما «فتحت المدينة بالقرآن» كما قالت عائشة وهذا الفتح الذى لم يستخدم فيه سيف أو سنان.كان هو الفتح الذى قامت على أساسه كل الفتوح.

ودخل الإسلام مرحلة جديدة بظهور خلافة معاوية وهى منعطف أدت التطورات لأن ينعطف إليه الإسلام كما انعطفت المسيحية من قبل فى دولة قسطنطين .ومن هذا المنعطف بدأت تطورات عديدة أفرغت القرآن من مضمونه الثورى بحيث أصبح موسوعة يعكف عليها الباحثون من كل نوع من لغويين وفقهيين ومذهبيين ..الخ .

وكان لابد أن يتجمد الإسلام ولابد أن تظهر "المؤسسة الدينية "التى يرفضها الإسلام ولابد أن تهيمن هذه المؤسسة متعاونة مع الخلفاء على الإسلام ..وفى النهاية أصبح الإسلام أكبر عامل "حفاظ "يحمى الوضع القائم .

تلك هى المأساة التى تتطور إليها الأديان والتى تجعلها أداة حفاظ بدلا من أن تكون أداة تحرير .

وترى دعوة الإحياء أن من أكبر الأخطاء التى وقعت فيها الأديان التورط فى الحكم لأن السلطة (وهى خصيصة الدولة) مفسدة ولابد أن تفسد المعتقدات والأيدلوجيات وقد أثبتت فى أخر الكتب التى أصدرتها «الإسلام دين وأمة وليس دينا ودولة» أن السلطة قد أفسدت الخلافة الإسلامية وحولتها إلى ملك عضوض وأن السلطة قد أفسدت المسيحية وحولتها إلى محكمة تفتيش وأن السلطة أفسدت الاشتراكية وحولتها من نعيم العمال إلى جحيم الدولة الشمولية، وفى الوقت الذى تتركز فيه جهود الإسلاميين للوصول للدولة لتطبيق الشريعة فإن دعوى الإحياء الإسلامى ترى أن تطبيق الشريعة على يد الدولة لا قيمة له وأنه يسىء أكثر مما ينفع لأن الطريق الطبيعى والإسلامى فى هذا يجب أن يأتى من الأمة وليس من الدولة وبالطرق المشروعة لا بالطرق الثورية أو التعسفية .

وليس هذا إلا أحد اكتشافات دعوة الإحياء التى تعارض الفكرة السائدة وقل مثل ذلك عن رأيها فى «التراث» أى ما تركه العلماء الإسلاميون فى التفسير والحديث والفقه والذى هو محل تقديس الفقهاء ومرجعهم عند إصدار الأحكام فإنها ترى أنه أصبح عبئا وليس كسبا وأن التقيد به هو لزوم ما لا يلزم لأن الذى يمثل الإسلام حقا هو القرآن والقرآن وحده .

وترى دعوة الإحياء أن من عوامل تخلف وتقييد الفكر والعمل فى الإسلام الفهم السقيم للسنة التى هى مادة الفقه السلفى والتى دخلتها مئات الأحاديث الموضوعة ومن ثم فإن دعوة الإحياء ترى ضرورة ضبط السنة بمعايير القرآن .وهى لا تتردد فى القول إن عشرات وربما مئات الأحاديث التى دخلت فى صحيح البخارى وصحيح مسلم هى مما لا تتفق تماما مع المعايير القرآنية ومن ثم يفترض عدم الالتزام بها.

إن دعوة الإحياء الإسلامى وإن لم تعلن عن نفسها إلا مع بداية الألفية الثالثة فإن الفكرة فيها تعود إلى أكثر من خمسين عاما عندما أصدر جمال البنا كتابه "ديمقراطية جديدة "سنة ١٩٤٦ وضمنه فصلا بعنوان "فهم جديد للدين "كشف فيه عن رأى أحد الأئمة وهو نجم الدين الطوفى عن أن المصلحة هى القصد الأسمى للشارع فإذا وجد نص يخالف المصلحة أعملنا المصلحة وأولنا النص بما يتفق مع المصلحة، ووجهنا دعوة الإخوان المسلمين التى كانت قد وصلت إلى الأوج «لا تؤمنوا بالإيمان بل آمنوا بالإنسان» وهذا التوجه الذى صدر سنة ١٩٤٦ أصبح شعار دعوة الإحياء سنة ٢٠٠٠ «لقد أراد الإسلام الإنسان وأراد الفقهاء الإسلام ».

وعندما أصدرت دعوة الإحياء الإسلامى مجلدها الكبير «نحو فقه جديد» فى ثلاثة أجزاء راودت بعض قيادات المؤسسة الدينية فكرة مصادرته ولكنها رأت أن هذا سيعطيه شهرة وذيوعا كما سيوقعها فى مأزق فنسجت مؤامرة صمت وتعتيم إخبارى ولكن دعوة الإحياء لم تأبه ومضت فى طريقها وفى السنة الأخيرة أصدرت ثلاثة كتب مهمة هى "الحجاب " الذى أثبتت فيه أن الحجاب كان إرثا حضاريا فرض على الإسلام وإن الإسلام ـ ككل الأديان لا يطلب إلا الاحتشام والبعد عن التبذل والتبرج وكتاب "الجهاد "الذى فرقت فيه ما بين الجهاد الذى يعنى جهاد النفس والقتال الذى فرض على المسلمين ـ وهو كره لهم ـ لأن المشركين أصروا على قتال المسلمين واضطهادهم .

وأصبح الاستسلام لا يعنى إلا التفريط فى العقيدة والاستخذاء أمام حكم القوة. وأخيرا الإسلام دين وأمة وليس دينا ودولة ..الذى حسم قضية الحكم فى الإسلام وفى الطريق عدد آخر ..

ويمكن إجمال دعوة الإحياء فى النقط التالية :

❖ إن الأديان أضفت على الإنسان كرامة فهو فى المسيحية واليهودية على صورة الله وهو فى الإسلام خليفة الله فى الأرض .

❖إن الأديان أعطت الحياة قداسة وحصانة من العدوان عليها عندما حرمت القتل .فحالت بذلك دون أن تكون حياة الناس ضحية الحكام والنظم والاتجاهات الشريرة (٦).

❖ إن الأديان بما أضفته من كرامة على الإنسان ومن حصانة للحياة قدمت للبشرية ما عجزت عنه كل جهود الفلاسفة والمصلحين منذ أيام أثينا حتى صدور الإعلان العالمى لحقوق الإنسان.

❖ إن دعوة الإحياء الإسلامى ترفض كل النظم والنظريات التى تؤدى إلى قهر الإنسان سواء عن طريق الحكم السياسى أو الاستغلال الاقتصادى مهما تكن الأسباب والمبررات فمن زاوية الأديان فهذه آلهة مزيفة وطواغيت تحل نفسها محل الإله الرحمن الرحيم .

❖ إنها ترى فى القرآن الوسيلة المثلى للهداية وترفض تقييده بالتفاسير كما ترى أسوتها الحسنة فى الرسول.

❖ إنها ترى أن الأديان كلها أصل واحد وإن اختلفت شرائعها وأن الحضارات المتعددة كلها تتلاقى وتتلاقح بما يحقق فى النهاية خير البشرية.

❖ إنها تؤمن بالحرية فى الفكر والاعتقاد والتعبير والعدل فى العلاقات

وأن تكون الحكمة والموعظة الحسنة الوسيلة السليمة والفعالة للدعوات .

❖ أنها تؤمن بأن العقل هو ما يميز ما بين الحقيقة والخرافة ولهذا لا يمكن أن يوجد تعارض ما بينه وبين الدين بل هو يحمى الدين من الخرافة وإن كان الدين يسير - بفضل الوحى - إلى أبعاد لا يمكن للعقل البشرى بلوغها وتؤمن بأن العلوم يكون نعمة عظمى عندما توجه لما تدعو إليه الأديان من سلام وحب وعدل وترفض تسخيرها لخدمة الأنانيات والاستئثار أو الشهوات .

❖ إنها تؤمن بأن العمل مصداق الإيمان ومعيار الثواب والعقاب وأن الإيمان الحق يتجلى فى العمل والوسيلة والغاية وإلا فهو مجرد كلام على طرف اللسان.

❖ إنها تؤمن بأن الإنسان لابد وأن يحقق معادلة ما بين أن يعيش فى زمنه ..وأن يحتفظ فى الوقت نفسه بقدر من مثاليات الأديان تبقى وجهه فوق الماء ..فلا تبتلعه أمواج العصر ..أما أن يستسلم تماما للعصر ..أو أن يتجاهله ويعيد عقارب الساعة إلى الوراء ..فإنه ليس الخيار الأمثل أو حتى الممكن.

❖ إن دعوة الإحياء الإسلامى فى الوقت الذى تعمل فيه جاهدة للتعريف بها فإنها تعلم حق العلم أن تغيير المعتقدات وبالذات المعتقدات الدينية - ليس هينا وأنه سيتطلب عشرات السنين ولهذا فهى لا تتعسف الوسائل ولا ينال منها ما تجد من تجاهل أو مقاومة ولا يخالجها شك فى انتصارها فى النهاية "فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض."

هوامش

١. صلة الإسلام بإصلاح المسيحية للشيخ أمين الخولى .طبعة الأعمال الكاملة نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٦ وسيكون هذا الكلام مرجعنا فى مادة هذا الفصل ما لم يرد غير ذلك .

٢. الفقرات من بحث عن أثر الإسلام في المسيحية بقلم كنيث .هـ .كاندال

The Impact of Uslam on Christianity - by Kenneth H. Crandall World Fellowship of Muslims and Christians Washington_p7 .

٣. الإنسان ومستقبل الحضارة العربية :أبحاث مؤتمرات العلائق الدولية قدم له الدكتور إيلى أديب سالم .الدار المتحدة للنشر بيروت طبعة ٨٥ - الصفحات من ٣٧ - ٣٩ .

٤. المرجع السابق ص ٤٤ - ٤٥ .

٥. لم نتحدث عن طائفة الشيعة الذين توصلوا إلى تكوين مؤسسة دينية قوية بترابطها وسلطاتها وتشبه إلى حد كبير الكنيسة البابوية .

٦. لا يقال إن الإسلام أباح القتل قصاصا ممن يقتل لأن هذا الإجراء هو حماية لحق الحياة ولو لم يوجد لتعرض حق الحياة للانتهاك لأن هذا الإجراء (قتل القاتل) هو كما قال القرآن (ولكم فى القصاص حياة..). وكما قالت الحكمة العربية "القتل أنفى للقتل "والتشريعات الأوروبية التى تحرم قتل القاتل إنما تصدر عن عدم تقديس الحياة وهو أمر طبيعى من تنظيم بشرى .فتقديس الحياة لا يمكن أن يصدر إلا من الله لأنه هو خالقها وحاميها والحفيظ عليها.

لاهوت التحرير بين علم العقائد والتغير الاجتماعى

نموذج واحد أم نماذج متعددة

د .حسن حنفى

١ـ هل النموذج الغربى هو النموذج الوحيد؟

«لاهوت التحرير» وإن كان حديثا كمصطلح فى الستينيات مواكبا لحركات التحرر الوطنى فى العالم الثالث خاصة فى أمريكا اللاتينية بعد الثورة الكوبية وحلم جيفارا ووجود بعد شاسع بين العقائد اللاهوتية والأيديولوجيات السياسية بين الكنيسة والجبهات الشعبية فإنه قديم بقدم الإنسان على الأرض ونشأة الأيديولوجيات والديانات والفنون [١] فكونفوشيوس أنزل الدين الصينى التقليدى فى كتاب "التغيرات "من السماء إلى الأرض من عالم الآلهة إلى عالم البشر .وبوذا تجاوز تعدد الآلهة فى الهندوكية إلى ضبط النفس والسيطرة على الأهواء .وذلك يعنى فى كلتا الحالتين أن الدين فى خدمة الإنسان .والشنتوية التى تعبد الإمبراطور تجعل الدين عماد الدولة والجماعة .وكذلك كان الحال فى دين مصر القديم والزرادشتية دين فارس الأمة والدولة .ودين إبراهيم كان ثورة اجتماعية منذ نوح، ثورة على الجهل والرذيلة دفاعا عن العلم والفضيلة .لاهوت التحرير إذن أحد أشكال الدين الطبيعى السابق على دين الوحى وهو قديم بقدم الزمان كما كان يقال عن المسيحية كدين طبيعى فى القرن الثامن عشر عصر التنوير .ينشأ فى كل المجتمعات فى ظروف متشابهة .

والسؤال هو: كيف يعرض "لاهوت التحرير "فى ثقافتنا المعاصرة؟ هل هو نتاج غربى منذ الستينات يروج له بالترجمة والعرض والتأليف كما هو الحال فى باقى المذاهب والأيديولوجيات الغربية بناء على موقف شائع من الغرب بأنه مصدر العلم وليس موضوعا للعمل؟ أم أن الباحث العربى متعدد الثقافة فهو على الأقل ذو ثقافتين ثقافة غربية حديثة وثقافة عربية إسلامية قديمة ويمكن الاستفادة منهما كرصيد علمى فى ظاهرة الصلة بين الدين والتحرر؟، إن عرض لاهوت التحرير على أنه تجربة غربية أولا انتشرت بعد ذلك فى أفريقيا وآسيا وإن لم تنتشر بعد فى الوطن العربى

وأمريكا اللاتينية فى نشأتها هى جزء من الثقافة الغربية المسيحية بعد أن استأصلت ثقافات الشعوب الأصلية ولغاتها هو ابتسار لتجربة قديمة قدم البشر بآلاف السنين فى خمسة وثلاثين عاما، عمر تجربة لاهوت التحرير فى الغرب .فلا يكفى عرض تجارب لاهوت التحرير فى الغرب أو الشرق دون مزاوجتها بمادة جديدة عربية إسلامية من لاهوت التحرير فى الثقافة العربية الإسلامية .تعريب المادة ضرورى من الثقافات المحلية والتجارب الخاصة .عرض المادة وتجارب الآخرين ضرورى سواء فى مرحلة الترجمة مثل «لاهوت التحرير الآسيوى» لألويزيوس بيبرس حتى ولو كانت الترجمة تعريبا بتصرف [٢] ولماذا يكون النشر فى بيروت فى دار المشرق وليس فى القاهرة مثل «وثيقة الحرية المسيحية والتحرير» للمجمع المقدس للعقيدة الإيمانية [٣] وفى المراجع العامة للكتاب الأول "لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية "مازالت تغلب المصادر الغربية باللغات الأجنبية [٤].

وظروف أمريكا اللاتينية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية خاصة فى الستينات مشابهة لظروفنا فى الوطن العربى .فأمريكا اللاتينية محاصرة بين قوى ثلاث: الأولى الولايات المتحدة الأمريكية فى الشمال وما تمثله من هيمنة على الجنوب إما مباشرة بالتعاون مع نظم سياسية عسكرية أو مدنية تابعة أو عن طريق غير مباشر كالشركات الاقتصادية الكبرى التى تستغل الثروات الاقتصادية للجنوب والثانية الجيش الذى يمثل سلطة القهر المتعاونة مع سلطة الهيمنة فى الشمال والثالثة الإقطاع وملاك الأراضى الكبار المتعاونون مع الأمريكيين والعسكر ضد الفلاحين من أجل نهب محاصيلهم والاستيلاء على أراضيهم والكنيسة الرسمية متعاونة مع هذه القوى الثلاث ضد الشعب، والشعب مطحون بالفقر والجهل والمرض والمخدرات والجريمة وشتى ألوان الحرمان .ولم يعارض هذه الصور المختلفة إلا الماركسيون كبؤرة لتجمع كل الوطنيين كما حدث فى الثورة الكوبية والثورة الفيتنامية .فظهر الرهبان الشبان مثل كاميو توريز لينضم إلى القوى الوطنية باسم الدين وليس باسم الايديولوجيا وباسم الله وليس باسم الماركسية وبدافع الإيمان وليس تطبيقا للمادية التاريخية أو المادية الجدلية [٥]، فنشأ لاهوت التحرير كأيديولوجية ثورية تحررية شعبية للجماهير تربط بين الدين والثورة والإيمان والعدالة والله والشعب والعقائد والمطالب الاجتماعية والوحى من ناحية والحرية والإخاء والمساواة من ناحية أخرى .لاهوت التحرير إذن هو أيديولوجية ثورية شعبية تنبثق من بؤرة الثقافة الوطنية .فالنخبة المثقفة وحدها مع طليعة الطبقة العاملة هى القادرة على فهم الماركسية .أما جماهير الشعب فلا يحركها إلا تثوير التراث كما فعل الأنبياء والمصلحون والثوريون الشعبيون والمثقفون العضويون.

وهى ظروف مشابهة للوطن العربى قبل الثورات العربية الأخيرة فى منتصف الخمسينات سيطرة الاستعمار البريطانى والفرنسى بقوات احتلال والنظام الملكى القاهر المتعاون مع كبار قواد الجيش والشرطة وأجهزة الأمن والإقطاع والباشوات الذين كانوا يتوالون على الحكم ورجال الدين كانوا مع النظام وكبارهم معينون من الدولة موظفون رسميون فيها يفتون بما يريد الحكام أقرب إلى "فقهاء السلطان وفقهاء الحيض والنفاس . "والشعب مطحون يرزح تحت الفقر والقهر والتسلط .فقامت الثورات العربية كما قامت الثورة الكوبية والثورة الفيتنامية باسم الحركات الوطنية والتى كان الماركسيون أحد عناصرها مع مصر الفتاة والوفد والإخوان والثورة الفيتنامية .ونشأ لاهوت التحرير عند الأفغانى من قبل فى صياغات بسيطة "الإسلام فى مواجهة الاستعمار فى الخارج والقهر فى الداخل "مستعينا بأقوال السابقين مثل "عجبت لرجل لا يجد قوت يومه ولا يخرج للناس شاهرا سيفه "أو بقوله هو "عجبت لك أيها الفلاح تشق الأرض بفأسك ولا تشق قلب ظالمك "ومع ذلك ظلت الصياغات النظرية تقليدية فى "الرد على الدهريين "واتهام الاشتراكيين والشيوعيين بأنهم ماديون وملحدون ووضع العدميين معهم .ويكون من تلاميذه مثل عبد الله النديم وأديب اسحق من يستأنف الإسلام الثورة أو الدين الوطنى .وقوى ذلك كتابات سيد قطب الأول صاحب "العدالة الاجتماعية فى الإسلام " "معركة الإسلام الرأسمالية " "السلام العالم والإسلام "قبل أن يعذب فى السجون ويكتب "معالم فى الطريق "وهى أيضا صرخة برئ لمقاومة الظلم والطغيان . واستأنف "اليسار الإسلامى "لاهوت التحرير على مستوى الثقافة الشعبية من أجل تحويله إلى تيار شعبى عام يقلل المسافة بين الدين والثورة بين التقليدية والتقدمية بين الإخوان والشيوعيين (٦).

وإذا عقدت مقارنات فإنها تكون بين تجربتى أمريكا اللاتينية وأفريقيا دون آسيا أو الوطن العربى والعالم الإسلامى (٧) هناك فى الخاتمة فحسب بعد الحديث عن التحولات الأساسية فى القارة الأفريقية وأنه من المطلوب تحرير قارة يظهر فى آخرها "وماذا عن مصر "بلغة المابنبغيات والإحالة إلى إخناتون فى مصر القديمة والديانات التوحيدية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام (٨). وكان من الممكن أن تتم الإشارة إلى لاهوت التحرير الإسلامى فى جنوب أفريقيا وقد ساهم فى لاهوت التحرير فى أفريقيا وبرز قادتهم مثل الإمام هارون شهيد العنصرية ورابطة العلماء المسلمين فى جنوب أفريقيا وحركة الشبيبة الإسلامية ونداء الإسلام والقبلة .كان يمكن تحليل كتابات هذه التيارات الإسلامية فى لاهوت التحرير الأفريقى وكما

عرض فريد اسحق أول مؤسس لحركة «نداء الإسلام» فى كتابه «القرآن ولاهوت التحرير»[٩]، بل إن الأمير يوسف هذا البطل الذى حارب الاستعمار الهولندى فى ماليزيا قد أخذه الهولنديون أسيرا مكبلا بالسلاسل فى القرن السابع عشر فى مستعمرتهم الثانية فى جنوب أفريقيا .فكان أول من نشر الإسلام هناك، الإسلام المقاتل المجاهد، مؤسسا بذلك لاهوت التحرير الإسلامى .ويقدسه المسلمون كأحد أبطال النضال الوطنى لاستقلال الشعب باسم الإسلام .بل إن ديزموند توتو حالة واحدة من حالات أخرى ساهم فيها المؤتمر الوطنى الأفريقى ANCومؤتمر أفريقيا الواحدة PCوحركات الوعى الأفريقى .هى حالة واحدة مركزة على التفرقة العنصرية أكثر من الفقر والاستقلال كما هو الحال فى أمريكا اللاتينية.

٢. لاهوت التحرير بين النقل والإبداع.

لذلك تتراوح الأعمال الرائدة الأربعة فى العقد الأخير ١٩٩٣ – ٢٠٠٣ في «لاهوت التحرير» بين الترجمة والعرض والتأليف .والترجمة بتصرف أى مع الحذف أو الإضافة أو التعليق تجاوزا للترجمة الحرفية أسوة بالقدماء [١٠]، الترجمة فى «لاهوت التحرير الآسيوى» لألويزيوس بيريس ليست ترجمة حرفية بل بتصرف .ولا يقتصر التعريب على الترجمة بتصرف فقط بل بزيادة مقدمة عن «لاهوت التحرير الآسيوى » تبين أهميته وأهم قضاياه [١١]، وتضيف خاتمة "نحو لاهوت تحرير مسيحى إسلامى لعالمنا المعاصر "لإيجاد دلالة عربية للاهوت التحرير .والغريب تجاهل الإسلام فى الكتاب مع أنه دين آسيوى والدين الثانى فى آسيا من حيث عدد السكان وإشارات المترجم لا تتجاوز إشارتين فى المقدمة والخاتمة [١٢].

وفى داخل العرض يكون التلخيص، تلخيصا مع أن العرض مرحلة متقدمة عن التأليف[١٣]، والتلخيص نوع أدبى فلسفى قديم [١٤]، وفى داخل العرض قد تكون الترجمة .بل قد تفوق الترجمة كما العرض، كما هو الحال فى «لاهوت التحرير فى أفريقيا، جيزموند توتو واللاهوت الأسود» [١٥]، إن الاكتفاء بالنقل ترجمة وعرضا دون التحول إلى التأليف والإبداع هو قصر للاهوت التحرير على الثقافة الغربية بوجه عام والمسيحية بوجه خاص. والتأليف المزدوج بين ثقافتين من أجل التحليل والتأصيل والعرض والنقد هو خطوة نحو التحول من النقل إلى الإبداع .

ثم يأتى التأليف فى "كلام فى الدين والسياسة "وهو عنوان صحفى عام وعنوان فرعى أدق "نحو لاهوت تحرير مصرى عربى "ومطبوع فى دار المحروسة فى مصر وتقديم جمال البنا مما يوحى بمصريته وعروبته وثقافته

الوطنية وهو آخر المجموعة الرباعية [١٦]، وهى مقالات متفرقة مجمعة تمت تحت أربعة أجزاء ولكل منها فصول والجزء الرابع ملاحق .ويعرض لثلاث قضايا رئيسية نظرية فى لاهوت التحرير الأول التحول من الخلاص الفردى إلى الخلاص الجماعى يجمع بين النظرية والتطبيق، النظرية فى الاشتباه فى لاهوت التحرير بين الدينى والسياسى وفى تعدد نماذج لاهوت التحرير بين الغربى ومحاولة تأصيل لاهوت تحرير مسيحى إسلامى لعالمنا العربى [١٧] .والتطبيق على القضية الفلسطينية، الانتفاضة الأولى والكنيسة فى فلسطين المحتلة وقيامة المسيح وتحرير فلسطين وتطبيق حقوق الإنسان فى الكنيسة فى مصر [١٨]، والثانية إشكالية الهوية بين الالتزام الدينى والالتزام الوطنى والإنسانى وتعبر عن قضية التعددية الطائفية وقضية الطائفية والمواطنة والأقلية والأغلبية وهو ما يتعارض مع التصور الكيفى للتعددية الثقافية والكنيسة الكاثوليكية وجماعة الكاثوليك فى مصر تعتبر نموذجا [١٩]، هو أكبر من الجزء الأول إن لم يكن ضعفه [٢٠]، الثالثة التعددية وقبول الآخر كشرط ضرورى للخلاص وموضوعاتها تبدو خارج الموضوع مثل التأويل عند ابن رشد وتجديد الحياة الروحية فى الرهبنة المصرية فى مائة عام (لأب متى المسكين نموذجا) والتيارات السياسية فى مصر [٢١] وملاحق الجزء الرابع تبدو كتابات مناسبات مثل مصر والفاتيكان، العلاقات التاريخية وكلمتى الرئيس والبابا [٢٢]، وهو «كلام» بالفعل خطاب عام للناس تنقصه مواصفات الخطاب الفلسفى لاهوت التحرير فى أسسه النظرية وتأويلاته الفلسفية المعاصرة للعقائد .ويبنى على تراكم انتقائى سابق [٢٣] والمقدمة من مفكر مجدد يغلب عليها المنهج النصى القرآنى ولا تضع المحاولة فى إطار لاهوت التحرير باعتباره علما وليس ثقافة [٢٤].

ويمكن عرض لاهوت التحرير بطريقتين، الأولى مراجعة الأدبيات التى نمت فى اللغات الأجنبية وفى اللغة العربية سواء العارضة منها للأدبيات الغربية أو المستقلة عنها على درجات متفاوتة .والثانية بناء نموذج للاهوت التحرير مستقلا عن النموذج المسيحى أو الآسيوى المعروض فى الأدبيات الأجنبية أيضا من أجل إبداع نماذج متعددة وعدم تكرر نموذج واحد عرف به فى نشأته .ويملك الجمع بين الطريقتين المراجعة والإبداع والنقد والبناء بداية بالتاريخ وليس انتهاء إليه بداية بالأدبيات السابقة ثم عدم الوقوف عندها من أجل تطويرها .

٢ـ لاهوت التحرير من التاريخ إلى الفكر.

«لاهوت التحرير » ليس مجرد تجربة تاريخية عامة لدى كل الشعوب منذ قديم الزمان أو خاصة لدى الغرب الحديث منذ ثلاثة أو أربعة عقود

من الزمان بل هو نسق عقائدى أو بنية فكرية تتجاوز التسلسل التاريخى للأحداث والشخصيات والمؤلفات.

ولاهوت التحرير ليس مرتبطا بالمؤسسات الدينية بالضرورة الكنيسة أو المحكمة أو اليهودية (السانهدرين) أو «السانجا» فى الهندوكية لأن الدين باعتباره تحررا إنما نشأ ضد المؤسسة الدينية التى ارتبطت بالملك أو برجال الدين وارتبطت مصالحها بالنظام السياسى الإقطاعى أو القبلى القائم. وكان الدين أولا ثورة ضد المؤسسة الدينية ورجال الدين .فتصدى أنبياء بنى إسرائيل للأحبار المتعاونين مع الملوك والملوك المتحالفين مع الإقطاع خاصة النبى عاموس .كما نقد السيد المسيح الفريسيين والكتبة والأحبار الذين تعاونوا مع السلطة الرومانية وحولوا الدين إلى أشكال ورسوم خارجية دون تقوى باطنية وإيمان صادق، بعيدا عن النفاق والمصالح الشخصية .ولا يوجد رجال دين فى الإسلام ولا سلطة دينية متوسطة بين الإنسان والله تحتكر التفسير وصياغة العقائد والفصل بين الصواب والخطأ .تلك مهمة العلماء وكل مسلم يستطيع أن يكون عالما فى الإسلام والبروتستانتية بالنسبة لحق التفسير ورفض التوسط بين الإنسان والله واعتبار الكتاب وحده مصدر الإيمان وليس أقوال آباء الكنيسة والإقلال من أهمية الطقوس والمراسم والخلاص بالإيمان وحده متشابهان فى التجربة التاريخية .لاهوت التحرير استئناف للبروتستانتية القديمة فى بروتستانتية جديدة طبقا لظروف العصر ومصادر القهر .فقد كتب لوثر "فى حرية المسيحى "ودافع عن حق كل إنسان فى حرية تفسير الكتب المقدس ضد احتكاره من الكنيسة وكيركجارد لوثر الثانى أراد العودة إلى الذاتية والتحول من الوجود إلى الصيرورة ومن اطمئنان الإيمان إلى قلق الوجود الإنسانى.

ولاهوت التحرير ليس فقط مجموعة من الممارسات الاجتماعية لخدمة جماعة المؤمنين داخل المؤسسات الدينية أو خارجها أو حتى النضال الثورى لبعض الرهبان الشبان مثل كاميو توريز فالممارسات الاجتماعية والأفعال الثورية تعبير عن رؤى للعالم ونظريات فلسفية .لاهوت التحرير له أسسه النظرية الخالصة قبل أن يكون ممارسات عملية وإن كانت الممارسات العملية تعيد إحكام النظرية وتبلورها وتجعلها أكثر مطابقة وقدرة على تحقيق المثال فى الواقع.

ولاهوت التحرير ليس من إبداع أشخاص فقط بل هو تأسيس جاد وأصيل للاهوت جديد يأخذ بعين الاعتبار أنه لا يوجد لاهوت واحد عبر العصور .اللاهوت جزء من العلوم الاجتماعية فى علم اجتماع الثقافة مثل باقى الأنشطة الذهنية فى الأيديولوجيات والفلسفات والعلوم والفنون .

والتركيز على الأشخاص يجعل لاهوت التحرير مرتبطا بها أكثر من ارتباطه بالواقع الاجتماعى والسياسى للشعوب التراثية المضطهدة [٢٥]، كذلك ركز فى "لاهوت التحرير فى أفريقيا "على شخصية واحدة، هي ديزموند توتو.

لاهوت التحرر ممارسة فعلية للتأويل ومنهج جديد فيه قراءة الحاضر فى الماضى وتفسير النص الدينى بالعودة إلى التجربة الذاتية التى نشأ فيها .فالنص الدينى ليس له معنى تاريخى ثابت يتجاوزه الزمن وإلا أصبح قديما ليس صالحا لكل زمان ومكان بل له بنية ثابتة يمكن ملؤها بمادة من كل العصور .وما أكثر الآيات من العهدين القديم والجديد التى أصبحت شعارات للاهوت التحرير فى اليهودية والمسيحية .فقد ارتبط النص التوراتى تحرير بنى إسرائيل من المادة وعبادتها إلى عبادة الله وحده وتحريرهم من الأسر الفرعونى والبابلى .كما قال السيد المسيح "ما جئت لألقى سلاما بل سيفا . "وما أكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى " لاهوت التحرير "والتى أحسن استعمالها فى الثورة الإسلامية فى إيران «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» وارتباط الإيمان بالله بالأمن ضد الخوف وبالإشباع ضد الخوف (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وتنهار المجتمعات الإقطاعية عند بناء القصور للأغنياء وتعطيل الآبار للفقراء (وبئر معطلة وقصر مشيد) بل يجوز القتال بالسلاح دفاعا عن النفس ودفعا للعدوان (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) لاهوت التحرير تأويل للثنائيات الدينية التقليدية التى أرست قواعدها المانوية القديمة الصراع بين النور والظلمة، الخير والشر، الحق والباطل، الصواب والخطأ، والتى استمرت فى الثنائيات الدينية المسيحية والإسلامية العالم والله الدنيا والآخرة الخير والشر الجنة والنار النعيم والعذاب الثواب والعقاب الذكر والأنثى، الملاك والشيطان ..الخ إلى ثنائيات حديثة الصراع بين القاهرة والمقهور الغنى والفقير، الظالم والمظلوم، الحاكم والمحكوم المركز والأطراف ..الخ... [٢٦].

ويمكن القول بأن أركان الإسلام الخمسة ومقاصد الشريعة الخمسة التى من أجلها وضعت الشريعة ابتداء هى نوع من لاهوت التحرير بفعل التأويل كما مارسه ابن رشد فى "قانون التأويل "فى آخر "مناهج الأدلة " فالشهادة إعلان وقول وبيان على العصر وأزماته باللسان وبالفعل وبالقلب طبقا لدرجات تحمل الواقع لفعل التغير الاجتماعى .والشاهد والشهيد من نفس الاشتقاق .الشهادة بالقول والفعل فى البداية والشهادة بالحياة فى النهاية .والصلاة أداء فعل فى الوقت فى الحال لا إرجاء ولا قضاء إحساس

بالواجب اليومى فعل فى الزمان وشهادة فى الخلود .والصيام مشاركة للفقراء وتربية للنفس .والزكاة مشاركة فى الأموال بين الأغنياء والفقراء وتداول للحال ضد الاكتناز والاحتكار والاستغلال .والحج موقف إعلان المساواة بين البشر وإجماع عام على حال الأمة ونضالها فى التاريخ.

ومقاصد الشريعة ابتداء هى رعاية المصالح العامة التى هى أشبه بإعلان عالمى لحقوق الإنسان والشعوب معا وليس فقط لحقوق الإنسان بل لحق كل شعب فى تقرير مصيره .وهى خمسة :الأول الدفاع عن الحياة فمن قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا (وإذا الموؤدة سألت بأى ذنب قتلت) والثانى الدفاع عن العقل فالعقل أساس النقل ومن قدح فى العقل فقد قدح فى النقل وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول .والثالث الدفاع عن الدين أى الحقيقة المطلقة الشاملة ضد النزعات الشكلية والنسبية واللاأدرية والعدمية يحتكم إليها الناس جميعا معيار إنسانيا واحدا ضد ازدواجية المعايير .والرابع الدفاع عن العرض والكرامة (ولقد كرمنا بنى آدم فى البر والبحر) والخامس الدفاع عن الثروة الوطنية التى كانت فى عرف القدماء المال وهى الآن الثروات الطبيعية والبشرية المادية والمعنوية .

٤ـ المنطلقات الرئيسية للاهوت التحرير.

ويبدأ لاهوت التحرير من منطلقات أساسية وهى أن الدين ظاهرة اجتماعية ينشأ فى المجتمع تعبيرا عن قوى اجتماعية وسياسية جديدة. فالدين فى هذه المسألة "زفرة المضطهدين "هكذا نشأت اليهودية فى مواجهة موسى لفرعون الحرية ضد التسلط والتحرر ضد القهر .كما نشأت المسيحية تعبيرا عن الطبقات المهمشة فى المجتمع الرومانى العبيد والمرضى والضعاف ضد جبروت القوة وسلطان الجسد .ونشأ الإسلام فى شبه الجزيرة العربية تعبيرا عن القوى الضعيفة العبيد والفقراء فى المجتمع المكى ضد الأغنياء والأقوياء من أشراف مكة .ثم يقوم الدين بعد ذلك، و بعد أن يفقد دفعته الثورية الأولى ويتحول إلى مؤسسة ورجال دين وطبقة مصالح وأداة فى يد السلطة إلى أن يصبح "أفيون الشعب "وحقنة مخدرة لتسكين المضطهدين والمهمشين والغاضبين وجعل طاعة أولى الأمر من طاعة الله والرزق مقدر والغنى والفقر قضاء وقدر مقسومان قبل أن يولد الإنسان وأن الجنة والنعيم والرخاء والغنى كل ذلك موعود للفقراء يوم القيامة.

كما يبدأ لاهوت التحرير من مسلمة ثانية وهى أن اللاهوت من الطبقة وأن

كل لاهوت يعبر عن مصلحة طبقة بعينها .وهى طبقة سياسية واجتماعية واقتصادية فى آن واحد سياسية لأنها تمثل سلطة جديدة صاعدة أو قديمة متهاوية واجتماعية لأنها طبقة العبيد المهمشة التى بيدها السلطة الجديدة أو طبقة الأشراف القديمة المتهاوية واقتصادية لأنها تمثل الحرفيين والصناع أو كبار التجار .وهكذا نشأت الفرق الإسلامية فى بداياتها إما تعبيرا عن السلطة السياسية القادمة مثل أهل السنة أو عن سلطة المعارضة مثل الشيعة .وداخل أهل السنة نشأت فرقة السلطة مثل الأشاعرة وفرق المعارضة مثل المعتزلة والخوارج .ونشأت الفرق المسيحية بنفس الطريقة بعد تحول قسطنطين إلى المسيحية مسيحية السلطة التى كان يمثلها أوغسطين فى روما وسلطة المعارضة فى المستعمرات الرومانية مثل دوناتوس فى شمال أفريقيا وآريوس فى مصر.

"لاهوت التحرير "تعبير عن العقل البديهى ولا يحتاج إلى جدل لاهوتى مجرد أو انتصار على الخصوم أو الدخول فى سجال مع اللاهوت التقليدى الخالص .هو أقرب إلى اللاهوت الطبيعى الاجتماعى التلقائى مثل "الموعظة على الجبل "أو التأمل فى العالم وفى النفس (وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون) والتجارب التاريخية ما هى إلا تعينات لهذه البداهات العقلية .فالعقل والتاريخ شىء واحد.

ولغة لاهوت التحرير ليست اللغة العقائدية المدرسية كما هو الحال فى " الخلاصة اللاهوتية "لتوما الأكوينى بل هى لغة عادية تخاطب عامة الناس لتجنيد الجماهير جمعا بين الحمية الدينية وأزمة العصر .لذلك يصعب استعمال الألفاظ المعربة حتى لايبدو الخطاب الدينى الاجتماعى غريبا على الناس مثل "الافخارستيا "وما أسهل من استعمال الألفاظ العربية النصرانية فى المسيحية العربية مثل المناولة أو القربان المقدس [٢٧] وكذلك تعبير التيار «المسيحانى الكريستولوجى» ويعنى التيار الذى يتعلق بشخص السيد المسيح باعتباره مخلصا .فالترجمة لا تعنى بالضرورة لفظا بلفظ أو عبارة بعبارة بل قد تفى لفظا بعبارة وعبارة بلفظ طبقا لدرجة التركيز فى اللغتين المترجم منها والمترجم إليها [٢٨] وكذلك استعمال تعبير "العقلية الميثولوجية "وقد استقر فى الأسلوب العربى الحديث لفظ "الأسطورية "ولفظ "الأنثروبولوجى "وقد استقر فى العربية الحديثة أنه "الإنسانى "أو ما يتعلق بالإنسان [٢٨].

٥. أنواع اللاهوت وأنساق لاهوت التحرير.

ولا يوجد نوع واحد من اللاهوت بل هناك عدة أنواع أشهرها ومرتب طبقا لأبعدها عن لاهوت التحرير ثم نهاية بأقربها وهى:

١. اللاهوت العقائدى أو القطعى Dogmatique وهو أكثر أنواع اللاهوت

غرورا لا يفرق بين التصورات الذهنية لله والله فى ذاته ويعتبر العقائد حقائق ثابتة ومطلقة غايات فى ذاتها وليست وسيلة لهداية البشر وإسعادهم .

٢- اللاهوت الوضعى Positive ويعتبر العقائد أشياء مادية موجودة بالفعل مثل التجسد والصلب والخلاص وليس دلالات وبواعث على فعل الخير ويخضع لأثر الوضعية .

٣- اللاهوت الطبيعى Naturelle ويعتمد على نتائج العلم الطبيعى والنظريات الكونية لإثبات وجود الله وخلق العالم وخلود النفس .ويتغير بتغير النتائج العلمية وتقدم العلم.

٤- اللاهوت الجدلى Dialectique ويقوم على جدلية الله والإنسان فلا يمكن تصور الله دون الإنسان ولا تصور الإنسان دون الله وأحيانا يسمى لاهوت الكلمة كما هو الحال عند كارل بارت .

٥- اللاهوت العقلى Rationello ويقوم على العقل وحده ليس على الإيمان أو النص أو سلطة الكنيسة كما هو الحال عند المعتزلة وابن رشد .

٦- اللاهوت النقدى Critique الذى يقوم على نقد النصوص الدينية وعدم إصدار حكم على عقيدة قبل تحليل نصوصها تحليلا تاريخيا ومن ثم تظهر العقائد مرتبطة بنشأة النص وتكوينه .

٧- اللاهوت السلبى Negative ويقوم على تطهير العقائد كمثل عليا مفارقة من كل الصياغات البشرية المحدودة فى الزمان والمكان طبقا للحديث المشهور "كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك . "

٨- اللاهوت الرعوى Pastoral وهو نوع من اللاهوت الأخلاقى يبدأ بالنفس قبل الآخر بناء على التفسير الشائع لآية (لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وهى نظرة فردية للتغيير من الفرد إلى المجتمع.

٩- لاهوت التحرير Liberation Theology أو Theology of Liberation وهو الذى يربط اللاهوت بقضية العصر الرئيسية فى الستينات فى العالم الثالث خاصة فى أمريكا اللاتينية مساعدة ثقافية لحركات التحرر الوطنى ابتداء من ثقافة الجماهير .

وقد صدرت مجلات عديدة فى الشرق والغرب ولدى كل الحضارات والشعوب وفى كل الثقافات تحت عنوان "اللاهوت الجديد New Theology وفى العالم الإسلامى أيضا مثل "قضايا إسلامية معاصرة (قم) " "الفكر الإسلامى المعاصر (دمشق) " " المسلم المعاصر (الكويت – القاهرة) " المنهاج " "المنطلق " (بيروت)...الخ (٢٩).

وهناك أنساق عديدة للاهوت التحرير وليس نسقا واحدا أهمها:

١. النسق الأخلاقى الفردى الذى يقوم على القيم الأخلاقية أو النزعات الصوفية.

٢. النسق الخلاقى والاجتماعى الذى يقوم على قيم الجماعة والمشاركة والتضامن والعدالة وإعادة توزيع الثروة بين الأغنياء والفقراء.

٣. النسق العملى من خلال فعل الرهبان الاجتماعى وسعيهم فى مصالح الناس أو من خلال دور الكنيسة كمؤسسة اجتماعية تحل مشاكل المجتمع .

٤. النسق العقائدى التأويلى لإيجاد معانى تحررية للتجسد المسيح فى العالم وليس بعيدا عنه أو للخلاص، خلاص البشر من الآلام أو الصلب الشهادة فى سبيل الآخرين [٣٠].

٥. النسق الفلسفى الخالص لدراسة تصورات العالم وأيها أكثر فعالية فى التغير الاجتماعى والفعل التاريخى.

وقد تم عرض نموذج نظرى فى الوطن العربى ابتداء من علم العقائد الإسلامية فى «من العقيدة إلى الثورة» كجزء من مشروع أعم هو «التراث والتجديد» [٣١]، بل لا يقتصر الأمر على علم العقائد وحده بل يتسع ليشمل كل العلوم التراثية من أجل إعادة بنائها كاستجابة لتحديات العصر من أجل تأسيس لاهوت الإبداع فى "من النقل إلى الإبداع "ولاهوت المصالح العامة فى "من النص إلى الواقع "ولاهوت إثبات الوجود التاريخى والوعى القومى فى "من الفناء إلى البقاء "ولاهوت العقل فى "من النقل إلى العقل "من أجل نقل المجتمع كله من مرحلة تاريخية أخرى وليس اللاهوت فقط .فاللاهوت عصب التاريخ ومحور التغيير فيه .

والهدف من هذا اللاهوت العصرى الشامل هو تطوير لاهوت التحرير النسبى إلى لاهوت تحرير جذرى من اللاهوت الأخلاقى إلى اللاهوت السياسى ومن اللاهوت الفردى إلى اللاهوت الجماعى ومن نظرية الذات والصفات والأسماء والأفعال إلى الإنسان الكامل ثم من الإنسان الكامل إلى الإنسان المتعين ومن النبوة والمعاد إلى التاريخ الماضى والمستقبل ومن الخلود إلى الزمان ومن الآخرة إلى الدنيا ومن الإمامة إلى الدولة ومن الإيمان والعمل إلى المواطن ومن التاريخ المنهار خير القرون قرنى إلى التاريخ الصاعد من أجل التقدم والنهضة [٣٢].

إن «لاهوت التحرير» ليس لاهوتا أبديا كما هو الحال فى اللاهوت العقائدى بل هو متغير بتغير الأزمات فى كل عصر .ربما هو جزء من «لاهوت الأزمة Predivament » ولا يكاد يخلو كل عصر من أزمات تعرض

الأزمة أو القضية أو التحدى فى علاقتها باللاهوت أى بالفكر الدينى باعتباره مكونا رئيسيا من مكونات الثقافة الشعبية بعد أن تحولت العقائد إثر تراكمها الطويل عبر السنين إلي أمثال شعبية وحكم للشعوب .وأصبحت الدراسات اللاهوتية الآن تتعرض لموضوعات العصر باسم لاهوت التقدم، لاهوت العدالة، لاهوت المساواة، لاهوت الوحدة، لاهوت التنمية، لاهوت الأرض، لاهوت الألم، ولاهوت حقوق الإنسان..... إلخ (٣٣).

ولا يعنى أن لاهوت التحرير ليس لاهوتا أبديا بل لاهوت يعبر عن مرحلة تاريخية محددة هى مرحلة التحرر الوطنى، أنه مرتبط بالتغير فى العلاقات الدولية وأنه كان مرتبطا بعصر الاستقطاب (٣٤)، وبعد انهيار أحد القطبين فإنه يتغير طبقا لنظام القطب الواحد والتحول من الاشتراكية إلى الليبرالية ومن الماركسية إلى الرأسمالية .ولا يعنى تراجع النظم الاشتراكية فى العالم الثالث نهاية لاهوت التحرير إلى لاهوت آخر مرتبط بالخصخصة والانفتاح الاقتصادى (٣٥)، فالتحرير غاية دائمة للجنس البشرى بالرغم من تعدد صور القهر والتسلط السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى .وليست قيمة "الحفاظ على الحياة "بديلا عن قيمة "التحرير "بل تعد أحد مظاهره .ويمكن توسيع مفهوم الطبقة الدنيا دون الوقوع فى الدفاع عن الطبقة المتوسطة .فقد ازداد الفقراء فقرا والأغنياء غنى فى عصر القطب الواحد فى دول العالم الثالث وفى دول العالمين الأول والثانى أيضا . والمجتمع المدنى ليس بديلا عن المجتمع السياسى فالسياسة أحد مظاهر التعبير فى المجتمع المدنى وإلا كانت الدعوة إلى مجتمع مدنى غير مسيس أساس الانفتاح الاقتصادى وركيزته الأولى فى دول العالم الثالث .والمقاومة تتعدد أشكالها من المقاومة المسلحة إلى المقاومة الثقافية .كما تشمل المقاومة السلبية الممثلة فى العصيان المدنى والمقاومة الشعبية بنزول الملايين إلى الشوارع والمقاومة الاقتصادية بمقاطعة البضائع الأجنبية .وهى أشكال تتكامل فيما بينها ولا تتعارض .

٦. هل هناك شبهات حول لاهوت التحرير؟

إن الشبهات التى أحيطت بلاهوت التحرير غير صحيحة والاتهامات التى ألقيت عليه باطلة وأهمها:

أ . لاهوت التحرير ماركسية مقنعة أقرب إلى الماركسية منها إلى الدين (٣٦)، فهذا إعطاء للماركسية أكثر مما تستحق وللدين أقل مما يستحق .فلا يمكن اختزال كل تحليل اجتماعى تاريخى جدلى وكل تحليل طبقى ولصراع الطبقات

إلى الماركسية .كما أن هناك نماذج من لاهوت التحرير بعيدة عن التحليل المادى التاريخى والتحليل الطبقى ويقوم على نزعة مثالية ومثالية فعل ومقاومة «الأنا تضع نفسها حين تقاوم» كما هو الحال فى فلسفة المقاومة عند فشته. فهو فيلسوف قبل أن يكون لاهوتيا (٣٧)، كما أن الوحى متحقق فى التاريخ، والنبوة متطورة طبقا لمراحله .والمكان والزمان حاضران فيه بفعل "أسباب النزول "و " الناسخ والمنسوخ" . «ولولا التدافع بين الناس لما قامت حضارة ولا نشأ تاريخ إنسانى .وقد نشأت عدة حوارات بين المسيحية والماركسية» ابتكر (Apteker) استئنافا لما قاله كاوتسكى من قبل فى "المسيحية البدائية . "

ب ـ يقول لاهوت التحرير بالصراع الطبقى ولا يمنع من ممارسة أنواع العنف المختلفة بما فى ذلك الصراع المسلح كما فعل كاميو توريز .فالإيمان فعل وقول، ممارسة وإيمان، وحمل البندقية لا يقل أهمية عن حمل الصليب يدفع المؤمنين إلى نيل الشهادة فى سبيل الحق تأسيا بصلب المسيح ولكن بنضال إيجابى دون الاكتفاء بالشهادة على العصر وبالبقاء فى العالم كأسطورة خالدة للخلاص وفداء خطايا البشر (٣٨).

ج ـ لاهوت التحرير إلحاد صريح فقد استبدل بالله الإنسان وبالوحى التاريخ وبالأنبياء قادة الشعوب وبالملائكة زعماء حركات التحرر الوطنى وبالآخرة الدنيا وبالإيمان الثورة وبالصليب البندقية وبالقداس الخلية وبالكنيسة الحزب الثورى وبالتجسد الشعب والأرض وبالمؤمنين العمال والفلاحين .وهو اتهام غير صحيح إنما هو عود إلي للدين إلى مساره الطبيعى بعد القضاء على اغترابه خارج العالم. ومن ثم يعد فيورباخ هو المنظر الفعلى للاهوت التحرير .ولاهوت "موت الإله "أحد فروع اللاهوت المعاصر Death of God Atheistic Theologyعند جابريل فاهانيان G. Fahani-anوالتزير Altzierبل لقد تبناه عديد من القساوسة والأحبار والرهبان مثل روبنسون فى "مخلص لله . Rpbinson : Honest to God "

د ـ لاهوت التحرير علمانية صريحة فهو دين بلا إله وأرض بلا سماء وبدن بلا روح وهو اتهام غير صحيح لأن الوحى كلام الله إلى الإنسان ورسالة من السماء إلى الأرض .فالغاية الإنسان فى العالم وليس الله خارج العالم .لاهوت التحرير متفق مع مقصد الوحى ومساره فى التاريخ . واللاهوت العلمانى Secular Theologyأحد فروع اللاهوت الجديد كما عبر عن ذلك هارفى كوكس فى "المدينة العلمانية.The Secular City "

هـ- لاهوت التحرير تسيس للدين وخلط بين ملكوت السماء وملكوت الأرض مع أن السيد المسيح فصل بينهما "أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله

"وهو تفسير غير صحيح للدين .فالوحى نظام حياة للإنسان فى الداخل والخارج وللجماعة فى علاقاتها ونظمها .غرضه تحقيق السعادة فى الدنيا قبل مثيلها فى الآخرة .وقد كانت دعوة كل النظم التسلطية الفصل بين الدين والسياسة حتى لا يتحول الدين إلى ثورة ضد الطغيان [٣٩].

ولا تأتى الشبهات فقط من اليمين الدينى والاتجاهات المحافظة بل يأتى أيضا وإن كان بدرجة أقل من الاتجاهات اليسارية الجذرية وأهمها.

أ ـ لاهوت التحرير لاهوتا أكثر منه تحريرا ودين أكثر منه دنيا .وهو نوع من التبشير الاجتماعى الجديد يستعمل المجتمع وسيلة والدين غاية .ويبدأ من مآسى الناس كى يعيدهم إلى الإيمان .السياسة وسيلة والدين غاية. مازالت مقولاته فى التجسد والخلاص والصلب والخطيئة والإيمان والكنيسة هى مقولات اللاهوت التقليدى حتى ولو أخذت دلالات جديدة .

ب ـ لاهوت التحرير فى النهاية نوع من المعارضة الفكرية والثقافة العامة أكثر منه معارضة سياسية فعلية فى الدولة .لا تكون حزبا سياسيا معارضا فى مواجهة السلطة القائمة بل تكتفى بالوعى الدينى السياسى وتقوم بدور التنوير العام بالحقوق والواجبات .ترفضه الكنيسة الرسمية ولا يعترف به مجموع اللاهوتيين بل وكتبت الكنيسة ضده بيانا تعدد مخاطره وإن لم تحرمه.

ج ـ لاهوت التحرير أقرب إلى النزعة الأخلاقية الفردية فخلاص العالم يبدأ بخلاص الفرد هو "إحياء ذكرى "صلب المسيح كما يقول جوتيريز [٤٠]، والنزعة الفردية أقرب إلى التيار اليمينى فى السياسة.

د ـ لاهوت التحرير انتهى منذ الستينات وطغت عليه فى العقد الأخير روح العولمة والسوق ومقولات حقوق الإنسان والمجتمع المدنى والأقليات والمرأة وهى الموضوعات الأثيرة فى المجتمعات الغربية فى عالم ذى قطب واحد ضد النظم الشمولية "لا للنظم الشمولية " "من أجل ديموقراطية تخدم حقوق الإنسان وترفض النظم التسلطية [٤١].

ومع ذلك تظل مجموعات «لاهوت التحرير» الأربع فى أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا والوطن العربى بين الترجمة والعرض والتأليف خطوة رائدة للتعريف به فى الوطن العربى كنموذج لعبور هذه الهوة الواسعة التى شقت الصف الوطنى بين الخطاب السلفى والخطاب العلمانى وقد وصل إلى حد الاقتتال وسفك الدماء فى الجزائر وكلف مائة ألف قتيل من أجل إبداع خطاب ثالث يحقق أهداف الخطاب العلمانى بآليات الخطاب السلفى فتتحقق وحدة الصف الوطنى ووحدة الثقافة الوطنية بل ووحدة الأمم والشعوب عبر التاريخ.

هوامش

١. لذلك غلبت على «لاهوت التحرر» فى أمريكا اللاتينية نشأته تطوره مضمونه للأب وليم سيدهم النزعة التاريخية فى الفصل الأول :لاهوت التحرير وإطاره التاريخى فى أمريكا والفصل الثانى :لاهوت التحرير نظرة تاريخية من الداخل ص٢١ -٧٧ وأيضا «لاهوت التحرير فى أفريقيا» ديزموند توتو «اللاهوت الأسود» دار الشرق بيروت ١٩٩٧ الباب الأول :لمحة تاريخية .الفصل الأول :المطران ديزموند توتو .الفصل الثانى :نبذة تاريخية عن دولة جنوب أفريقيا ص ١٣ - ٤٧ .

٢. الويزيوس بيبرس :لاهوت التحرير الآسيوى عربه بتصرف وليم سيدهم اليسوعى دار المشرق بيروت ٢٠٠١ ويرجع الفضل فى ذلك للأب وليم سيدهم اليسوعى بالرغم من النشر فى بيروت لمعظم الأعمال مثل "لاهوت التحرير فى أفريقيا "دار المشرق

بيروت ١٩٩٧,

٣. المجمع المقدس للعقيدة الإيمانية :وثيقة الحرية المسيحية ترجمة الأب وليم سيدهم اليسوعى مطبوعات الآباء اليسوعيين الفجالة القاهرة ٢٠٠٢,

٤. فى المراجع العامة اثنان وعشرون مرجعا أجنبيا فى مقابل ستة مراجع عربية .ومن الدوريات تسع مقالات، أثنان مترجمان (ترثيان سكاندريت أريك) والباقى فى التاريخ والاقتصاد وفى أمريكا اللاتينية باستثناء قاسم نبيل :تجديد المسيحية وثورة الكهنة فى أمريكا اللاتينية .ولا يذكر :حيدر إبراهيم على :الدين والثورة لاهوت التحرير فى العالم الثالث منشورات نجمة الدار البيضاء ١٩٩٢ حسن حنفى :كاميو توريز القديس الثائر قضايا معاصرة جـ١ فى فكرنا المعاصر دار الفكر العربى القاهرة ١٩٧٦ ص ٢٨١ - ٣١٨ (وهو منشور فى مجلة الكاتب عام ١٩٦٩)، كما لم يشر إلى مجلة Compassالتى تصدر فى لوفان ودراسات هوتار Houtardاستاذ توريز وعديد من لاهوتيي التحرير فى لوفان ببيلجيكا.

٥. حسن حنفى :كاميو توريز القديس الثائر قضايا معاصرة جـ١ فى فكرنا المعاصر دار الفكر العربى القاهرة ١٩٧٦ ص ٢٨١ - ٣١٨ .

٦. الأب وليم سيدهم :لاهوت التحرير فى أفريقيا الباب الثالث :بين لاهوت التحرير الأمريكى اللاتينى ولاهوت التحرير الأفريقى

ص ١١٧ - ١٣١ .

٧. السابق خاتمة ص ١٣٧ - ١٤٠ وأيضا الدين وحقوق الإنسان "رؤية مسيحية "ص ٦٢ .

التى تصدر باللغة الإنجليزية وهى لسان حركة تحمل نفس الاسم "برهان الإسلام "وأيضا مجلة † فى جنوب أفريقيا فى مدينة فلابرج . Vlaeberg

٩. حسن حنفى :من النقل إلى الإبداع المجلد الأول النقل الجزء الثانى: النص الفصل الأول: الترجمة دار قباء القاهرة ٢٠٠٠ .

١٠. وتشمل المقدمة التعريف بالمؤلف ووضع الترجمة كعمل رابع من مجموعة لاهوت التحرير للمترجم .ويحدد أهمية الكتاب فى أربعة :انتماء المؤلف إلى دولة آسيوية يشكل فيها المسيحيون أقلية ٣ % عكس أمريكا اللاتينية إدخال لاهوت التحرير فى إطار علم الأديان المقارن تفاعل المسيحية كدين وحى مع الديانات الآسيوية البوذية والهندوسية والشنتوية كديانات تاريخ تناول قضية الفقر والفقراء من منظور جديد. وأهم القضايا خمس: تلازم تحرير الشعوب والحوار بين الأديان نقد لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية والدفاع عن تعدد النماذج والمناهج والاعتماد على اللاهوت الجدلى عند كارل بارت نقد اللاهوت الليبرالى عند كارل رانر فالمسيح ليس ضد الدين، بل مع الدين التغريب فى الكنيسة الآسيوية الخصوصية الدينية بين المسيحية والديانات الآسيوية .ثم يأتى وصف الأبواب والفصول الويزيوس بيريس :لاهوت التحرير الآسيوى عربه بتصرف وليم سيدهم اليسوعى دار المشرق بيروت ٢٠٠١ ص ٥ - ١٦ .

١١. الإشارات هى :التجربة الصوفية فى الإسلام السابق ص٦ والإشارات إلى بعض الدارسين

والكتاب الذين تعرضوا لموضوع لاهوت التحرير مثل ميلاد حنا، حسن حنفى، حيدر إبراهيم، وليم سليمان فى هوامش الخاتمة.

١٢. السابق المجلد الثانى :التحول الجزء الأول :العرض.

وليم سيدهم :لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية :سر الافخارستيا :ملخص كتاب جواتير لاهوت التحرير ص ٨١ - ١٠٨ الحرية المسيحية والتحرير تعليم مجمع العقيدة الإيمانية .الحق يحررنا وهى فقرات منتقاة من الوثيقة السابق ص ١٤٥ - ١٥٦ .

١٣. من النقل إلى الإبداع المجلد الأول :النقل الجزء الثالث: الشرح.

١٤. الباب الثانى كله بفصوله الستة وهو ما يعادل نصف الكتاب نصوص مترجمة من ديزموند توتى وهى : ١. اللاهوت الخاص بالسود، ٢. البحث عن الأصالة والكفاح من أجل التحرير، ٣. الألم الذى يعانيه الأسود. ٤. المسيحية والفصل العنصري. ٥. هل اللاهوت الأفريقى هو لاهوت السود. ٦. لاهوت التحرير فى أفريقيا. الأب وليم سيدهم :لاهوت التحرير فى أفريقيا ديزموند توتو واللاهوت الأسود دار المشرق بيروت ١٩٩٧ ص ٤٩ - ١١٦ ويعترف المؤلف فى المقدمة بأنها مقالات مترجمة ص٥ .

١٥. الأب وليم سيدهم اليسوعى :كلام فى الدين والسياسة نحو لاهوت تحرير مصرى عربى تقديم جمال البنا دار المحروسة القاهرة ٢٠٠٣ .

١٦. السابق ص ٢٥ - ٥٥ .

١٧. السابق ص ٥٩ - ١٠١ .

١٨. السابق ص ١٠٥ - ١٨٧ .

١٩. السابق الجزء الأول ص٤٢ الثالث ص٤٢ الرابع ص٧٣

٢٠. السابق ص ١٩١ - ٢٣٣ .

٢١. السابق ص ٢٤١ - ٣١٣ كلمة ترحيب فخامة الرئيس مبارك كلمة قداسة البابا فى مطار القاهرة.

٢٢. مثل وليم سليمان والكتاب مهدى إلى روحه.

٢٣. كلام فى الدين والسياسة ص ٩ - ١٠٥ .

٢٤. اضاف الأب وليم سيدهم ملحقا لبعض الشخصيات المهمة فى لاهوت التحرير مثل :جوستافو جواتيريز (بيرو) ليوناردو بوف (البرازيل) جون سوبرينو (أسبانيا) انريك دوسيل (الأرجنين) جونزالو أرويو (شيلى) كاميو توريز (كولومبيا) دومنجو لايينى (أسبانيا) دوم هلدر كامارا (البرازيل) خوان لويس سيجوندو (أوروجواي) . لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية ص ١٥٩ - ١٦٣ .

٢٥. حسن حنفى :ثنائية الجنس أم ثنائية الفكر هموم الفكر والوطن جـ١ التراث والعصر والحداثة دار قباء القاهرة ١٩٩٨ ص ٥٢١ - ٥٣٦ .

٢٦. وليم سيدهم :لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية ص٨١ .٢٧. الأب وليم سيدهم :لاهوت التحرير فى أفريقيا ص ١٣٨ .

٢٨. لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية ص ١١١ - ١١٤ .

٢٩. يذكر الأب وليم سيدهم ثمانية تيارات :الروحى الرعوى المنهجى الاجتماعى التاريخى السياسى الكنيسة الشعبية القاعدية المسيحانى الكريستولوجى التربوى النقد الذاتى.

٣٠. حسن حنفى :التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم المركز العربى للبحث والنشر القاهرة ١٩٨٠ "من العقيدة إلى الثورة "محاولة لإعادة بناء علم أصول الدين "مدبولى القاهر ١٩٨٧.

٣١. يلخص وليم سيدهم الأبعاد الجديدة للاهوت التحرير فى اثنتى عشرة نقطة كالأتى:

١. التوجه نحو الفقراء اقتداء بيسوع الفقير .

٢. تأويل ملكوت الله لإلغاء التمييز بين ملكوت الأرض والسماء توحيدا بين المثال والواقع كما هو

الحال فى الإسلام جمعا بين ملكوت الأرض فى اليهودية وملكوت السماء فى المسيحية .

٣. الكنيسة تمثل جماعة حية من المؤمنين.

٤. تفسير "الكلمة "فى ضوء الواقع المعيشى.

٥. العلاقة بين الخطيئة الاجتماعية والخطيئة الفردية وتحويل الخطيئة الدينية الموروثة إلى مآس اجتماعية مكتسبة .

٦. تعنى البشارة فى الإنجيل التحرير والرقى الإنسانى.

٧. تضامن الكنائس الكبيرة والمحلية لصالح جماعة المؤمنين .

٨. خلق حياة روحانية صوفية اجتماعية ولا تقوم على العزلة .

٩. السخاء قيمة نضالية إلى حد الاستشهاد وفى سبيل الإيمان والعدالة .

١٠. تأويل السيد المسيح بما يتناسب مع تحديات العصر ومآسى اليوم.

١١. رؤية جديدة للكنيسة فى خدمة الشعب.

١٢. التضامن مع النشاط الإنسانى للعاملين باسم الإيمان لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية ص ١١٦ - ١١٧ .

٣٢. الأب وليم سيدهم اليسوعى :الدين وحقوق الإنسان رؤية مسيحية دار المشرق بيروت ١٩٩٩ ، وأيضا :

Hassan Hanafi: Islam in the Modren World (2 Vols) I-Religion, Ideology and Development, II-Tradition, Revolution and Cultyre, 1st Ed. Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo .1995 2nd Ed. Dar Kebaa, Cairo .2000

٣٣. يلخص وليم سيدهم فى الفصل الخامس "المتغيرات الدولية ومستقبل لاهوت التحرير " بالتمييز بين الثوابت والمتغيرات .الثوابت مبدأ المشاركة ومبدأ الممارسة .والمتغيرات هى أ – التحول من التحرير إلى المحافظة على الحياة ب- توضيح مفهوم الطبقة والفقراء جـ- من المجتمع السياسى إلى المجتمع المدنى من المجابهة العسكرية إلى المواجهة الثقافية والأخلاقية والروحية لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية ص ١٢١ - ١٣٠ .

٣٤. يذكر وليم سيدهم الأحداث الآتية فى أمريكا اللاتينية :غزو الولايات المتحدة الأمريكية المتحدة لبنما فى ديسمبر ١٩٨٩ سقوط الحكومة الساندنيستية هى نيكاراجوا فى فبراير ١٩٩٠ وقوع مذبحة السلفادور فى نوفمبر ١٩٨٩ السابق ص ١٢٢ .

٣٥. وليم سيدهم :لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية الفصل السادس :وثائق كنيسة – التحليل الماركسى ص ١٣١ - ١٥٦ .

٣٦. حسن حنفى فشته فيلسوف المقاومة المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠٠٣ ،

٣٧. لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية ص ٩٧ - ١٠٨ .

٣٨. وليم سيدهم :لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية ص ٨١.

٣٩. لسابق ص ٩٣ - ٩٤ .

٤٠. الأب وليم سيدهم اليسوعى :الدين وحقوق الإنسان ص ٤٠.

نحو لاهوت تحرير إسلامى

د .حيدر إبراهيم على

مدخل :

شرع الكثيرون من المفكرين فى القرن التاسع عشر فى استشراف المستقبل والذى هو الحاضر الذى نعيشه .وتنبأ أهم المفكرين بأن عصرنا هذا بسبب تطور العلوم والتكنولوجيا والصناعة وتعقد العلاقات المجتمعية سيشهد تحولا واضحا نحو اللاتدين أو بتعابير أخرى نحو الوضعية أو العلمانية أو اللائكية لأسباب ثقافية وليست اقتصادية - اجتماعية فقط. فالمتوقع سيادة الفكر العقلانى والفلسفات المادية كما أن نمط الحياة المادى والتنافسى والاستهلاكى سيبعد الناس عن الدين والروحانيات .ولكن الواقع كذب التوقعات والتنبؤات إذ يشهد العالم عودة قوية إلى الدين .وللمفارقة شهد عصر العولمة نمو الأصوليات واكتست الدولة العظمى الأولى بطابع ديني واضح فى تبرير سياساتها الخارجية.

ولكن السؤال الهام هو :هل تنزل البشرية النهر الواحد مرتين وهل يعود الدين محتفظا بأصوله ووظائفه ورؤاه للعالم كما كان فى الماضى أم يعود الدين معلمنا بالإكراه والضرورات التاريخية ويخضع للتخصص ولا يدعى الهيمنة على كل فضاءات الحياة ولا المرجعية فى الفهم والفعل وهل تنازل الدين عن اطلاقيته واختزل بعضا من المتعالى فيه والميتافيزيقى

هذه تساؤلات يطرحها تيار كبير من المتدينين وغير المتدينين الذين يهمهم عصرنة الدين وأن يواكب التحولات لذلك قاربوا ما يصطلح على تسميته لاهوت التحرير أو التجديد أو حتى البعث أو الصحوة وفى هذا السياق تحاول هذه الورقة أن تكون تناصا مع آخرين .وبهذا الفهم يمكن أن يكون التساؤل - الخاتمة لكتاب لاهوت التحرير الآسيوى الذى عربه الأب وليم سيدهم هو مفتتح ومسار هذه الورقة:

"فهل نستطيع أن نبدع لاهوتا تحريريا إسلاميا ومسيحيا بالتعاون مع أصحاب الديانات الأخرى يتخذ من الروحانية التى تحملها أدياننا ترياقا ضد

الجمود والازدواجية والتعصب هل نستطيع أن نجعل من النماذج الرائدة فى الرهبانيات المسيحية بروافدها المختلفة والتصوف الإسلامى بمدارسه المتعددة منطلقا إلى التنمية الاقتصادية والبشرية والحضارية يربط روحانية الديانتين بالفقر الاختيارى للوقوف سدا منيعا فى وجه قانون "اقتصاد السوق "الذى ينذر بالتهام الاخضر واليابس من قيمنا الثقافية والروحية والحضارية وفى وجه الدعوة إلى الاستهلاك السفيه "(١).

نستطيع من البداية أن نجيب بنعم لأنه إذا أرادت الديانات أن تخرج من مأزق التشابك مع التاريخ والمجتمع وأن تتجنب أزمة التناقض والصدام مع الواقع المتغير والمملوء بالتحديات التى تحتاج إلى استجابات صحيحة بمعنى أنها عقلانية ومفيدة وعملية أن تقرأ نفسها على ضوء الواقع والحياة . وهذا ما يسمى بلاهوت تحرير لأنه يسعى لحل كل اشكالات الاغتراب الروحى والمادى .

تتميز كلمة روحانية (Spirituality)الواردة فى الاقتباس بالشمولية فهى تعنى الأديان الكتابية وغير الكتابية وكل شعور بالتعالى روحيا حتى أحيانا عند من يعتبرون لا دينيين أو غير مؤمنين .فالروحانية أو الدين أو التدين هذا عملية إيجاد معنى (meaning)بغض النظر عن عقلانية أو لا عقلانية هى المعنى حسب المفاهيم السائدة والمتداولة .والمقصود بها طريقة الناس فى الوصول وفهم "الحقيقة "وبالتالى تكوين رؤية للعالم أو أسلوب عام فى الحياة وطريقة ينجزون بها الأشياء أو يرغبون أن تتم بها الأشياء (٢). ومن خلال هذا الوصف والتعريف يمكن متابعة حركة الدين فى المجتمع والحياة دون التقليل من تعاليه (transcendence)وقدسيته .ولاهوت التحرير هو أحد أوجه محاولة الدين أن يرتبط بالواقع وأن يعمل على تغييره وأن يجعل الناس متدينين ومناضلين ومجددين وحديثين .ولا يتوقف الدين فى هذه الحالة عندما وراء الغيب وما بعد الحياة الدنيا بل يضيف إلى ذلك الاهتمام بالفقر والحرية وحقوق الإنسان والعدالة والعولمة الأكثر إنسانية .لذلك نحاول الإجابة على تساؤل إمكانية الاستفادة من النماذج الرائدة فى المسيحية والإسلام وتهتم الورقة أكثر بالواقع الإسلامى وتبحث عن بذور لاهوت تحرير فى الحركات الإسلامية والطرق الصوفية والاجتهادات الفردية .

التدين الإسلامى التجديد والأصل مقابل السلفية والأصولية

يطرح المطلق والمتعالى الكامن فى الدين أسئلة تتعلق بوجوده الملموس فى الزمن (التاريخ) فالنص الدينى يصبح بشريا وفى هذا الوضع الانثربولوجى

يمكن أن يخضع الدين مجسدا فى المتدينين للدراسة والبحث .ولن يكون الاهتمام بصحة ومنطقية وعقلانية العقيدة أو اتخاذ موقف من الدين فليس من المطلوب أن يدرس الباحث الاجتماعى خاصة- خلافا لدارس اللاهوت أو الفلسفة مثلا - جوهر الظاهرة الدينية بل أن يفحص السلوك الذى تتجه هذه الظاهرة باستنادها إلي بعض التجارب الخاصة وإلى تصورات وغايات محددة .فالسلوك المعبر للمتدين هو المهم كما يقول ماكس فيبر .فالسلوك الدينى فى هذه الحالة نشاط إنسانى فى هذا العالم له وسائل وأهداف عادية وله تأثير على بقية النشاطات الاخلاقية والاقتصادية والسياسية والثقافية وهذا قد يخلق صراعات نتيجة تباين القيم التى يدعى كل نشاط أنه يخدمها (٣).

يحاول المتدين باستمرار تثبيت التجربة الدينية فى هذا العالم من خلال أشكال رمزية وتنظيمات اجتماعية ولكن كيف يتصرف ذو الحساسية الدينية حيث تبدأ قوة العقيدة فى التآكل والضعف والتقاليد تتشقق أمام المتغيرات الاجتماعية - الثقافية - أى البحث عن ردود الفعل يورد غيريز احتمالات مثل - يفقدون الحساسية أو يحولونها إلى حمى ايديولوجية أو هوس دينى أو يتبنون عقيدة مستوردة أو التحول بقلق إلى دواخلهم أو يتمسكون أكثر بالتقاليد البالية أو يحاولون تشغيل هذه التقاليد بطريقة فعالة أو يقسمون أنفسهم إلى نصفين واحد فى الحاضر ماديا وآخر فى الماضى روحيا أو التعبير عن تدينهم بطريقة علمانية وقليل منهم يفشلون فى رؤية عالمهم يتحرك أو ينهار (٤). هذه صورة شاملة للاحتمالات والخيارات التى تواجه المتدين فى هذا العالم سريع التحول ويمثل لاهوت التحرير - بالتأكيد - أحد هذه الخيارات كما حدث فى بعض بلدان أمريكا اللاتينية ومناطق أخرى.

أثار كثير إعجابى توصيف لأحد المستشرقين للحالة الإسلامية بقوله " : أن تكون إسلاميا ليس هى طريقة خاصة لكى تكون دينيا ولكن طريقة خاصة أن تكون إنسانا أى أن تعيش فى هذه الدنيا "أى أن توفق بين الدنيوى والدينى الطارئ والدائم النسبى والمطلق (٥) هذه دعوة لضرورة انغراس المسلم فى الحياة وأن يعيشها بمسئولية والتزام وأن يربط الدين بالحياة بلا وسائط أخرى .ورغم أن العقيدة الدينية تعتبر مستقلة بمعنى أنها لا تحتاج فى إثباتها إلى التجريبية أو المنطق الرياضى مثلا فهى واقعيا توازن وتوفق على قدر الإمكان وتستخدم وسيلة التأويل أو إعادة التفسير والقراءة المتجددة .وهذه حيلة فكرية لقبول تغير المطلق ونسبية الدائم.

فالعقيدة تبدو وكأنها تؤدى وظائفها فى مجتمعات وأزمنة مختلفة .لذلك يرى البعض أن دينا معينا هو صالح لكل زمان ومكان .ويرجع آخرون ظاهرة الاستمرارية فى بعض الأديان أو العقائد إلى قدرة الدين أو العقيدة على التكيف والتى تتسارع فى العصر الحالى .وأى دين يريد أن يحتفظ بقوته وسيطرته وتأثيره لابد أن يكون قادرا على التجديد المستمر .وقد يرى البعض أن ما يتجدد باستمرار لا يكون عقيدة .بينما يفترض آخرون العكس إذ أن الحاجة للتغيير والتجديد – لديهم – هى فى الأساس محاولة تأكيد قدرة الدين على التصدى للتحديات التى يفرضها التاريخ .ولكن الأمر يتعدى مجرد حماية الدين إذ قد يتمثل أو يستوعب بعض التجديدات أو قد يتأثر فعليا بالتطورات الحادثة .ونلاحظ بالفعل محاولة الخطاب الدينى ملاحقة الحقائق الجديدة وادعاء وجودها فى الدين قبل أن يكتشفها أو يثبتها العلم الطبيعى أو الاجتماعى أو الاقتصادى [٦].

يعد الدين صيغة جماهيرية من صيغ الوعى الاجتماعى تسود فى بعض الأحيان .وهناك مجتمعات فى مستوى تطور اجتماعى معين مازال الدين فيها هو الصيغة الوحيدة المناسبة للوعى الاجتماعى لذلك فإن شعوبها لا تستطيع التعبير عن أهدافها وآمالها القومية والاجتماعية إلا عن طريق الدين [٧]، وينطبق هذا التحليل على العالم الإسلامى إلى حد بعيد إذ تتميز مجتمعاته بالتدين الفائض والعودة الكثيفة إلى الدين خاصة بعد هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧ وتفوق الحقبة السعودية حين حلت الثروة مكان الثورة بعد الثورة النفطية والازدهار الاقتصادى فى دول النفط المحافظة بالإضافة للثورة الإيرانية .والأهم من ذلك أزمة المشروعات القومية "والاشتراكية " وعجزها عن حل مشكلات مجتمعاتها وأمتها .ولكن هذه الموجه الدينية أو ما يسميها أصحابها الصحوة الدينية ظلت قوة نقد وهدم ونفى ولم تكن تملك البديل الواقعى أكثر من الشعارات واليوتوبيا .ومن هنا كان سؤال إمكانية تأسيس لاهوت تحرير إسلامى ضروريا ومثيرا للاهتمام .ولم يشهد العالم الإسلامى التغييرات الدينية التى جربتها أمريكا اللاتينية وانعكست على الكنيسة وربطتها بالقضايا الاجتماعية والسياسية .أما الدول والجماعات الإسلامية رغم شعارات الإسلام دين ودولة مما يعنى وجود الاهتمام بتلك القضايا إلا أن الخطاب الإسلامى لم يصعد إلى مستوى لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية .وبرزت ثلاثة اتجاهات واجهت الواقع الإسلامى بمقارنات وفهم معين يحاول عدم الانقطاع عن الواقع وهى:

١ـ النصوصية والسياسوية وتمثلت فى السلفية والأصولية والإسلام السياسى.

٢ـ الصوفية والطرائقية .

٣ـ الاجتهادات الفردية .

هذه التيارات ذات مواقف متباينة تجاه نشأة لاهوت تحرير إسلامى: مضادة، محايدة ومجتهدة .ولكن فى النهاية نستطيع القول إن الظروف فى العالم الإسلامى مازالت غير مواتية لقيام لاهوت تحرير .فالجماهير المتدينة تزداد فى الغالب إما تعصبا أو لا مبالاة وتبتعد عن النضال من أجل تحرير حقيقى حتى ولو بغطاء ايديولوجية دينية .وهناك سؤال صعب يطرحه الباحثون فى علم اجتماع الدين وهو :لماذا يوجد دين معين قوى المقاومة بصورة ملحوظة للعلمنة والتغيير؟ هذه علاقة نصوص وواقع فقد تكون النصوص مقنعة أو شديدة المرونة بمعنى قدرتها على الإحاطة بالتغييرات .ومن ناحية أخرى قد يكون الواقع راكدا أو بطئ التحول وبالتالى يتناسب مع النصوص التى رغم أنها لا تاريخية لكنها لديه تفسر الواقع . ففى أمريكا اللاتينية تحرك اللاهوت لأن المجتمع متحرك وفى العام الإسلامى يريد اللاهوت تحريك المجتمع رغما عن قوانين حركته وعلى سبيل المثال تجربة تطبيق الشريعة فى عدد من البلدان مثل السودان وأفغانستان دون أى فهم جديد وجرئ وإصلاح دينى يجدد فهم النصوص . ففى أمريكا اللاتينية وجدت الكنيسة فى محيط سياسى واجتماعى حتم عليها التكيف والتأقلم لكى لا تفقد انصارها .إذ نجد حركة سياسية قوية ونشيط تقودها القوى الماركسية والاشتراكية وانعكس ذلك على الفكر فظهرت مدرسة التبعية ومنظروها أمثال كاردوس وفرانك وفورتاور حتى كرة القدم والمهرجانات الموسيقية من مظاهر الحيوية .وكان من الطبيعى أن تنعكس دينامية المجتمع على الدين والتدين مهما تكن ثوابته واستاتيكيته. عجلت الأزمة الاقتصادية (الفقر) والأزمة السياسية (الدكتاتورية) من عملية نمو الوعى بسوء الأوضاع وفى نفس الوقت ساعدت الحركات فى رفع الوعى .وأكملت هذه العلاقة الجدلية بين الواقع والوعى بروز الأزمة الثورية .وكما يقال ليس الظلم أو الفقر سببا فى قيام الثورات ولكن الوعى بذلك هو السبب .ولم يكن هذا الوضع قائما فى العالم الإسلامى ولم تظهر التوجهات الجديدة لقراءة النصوص المقدسة ففى أمريكا اللاتينية كان الانطلاق من الواقع المعيش واستخدام العلوم الإنسانية الحديثة لفهم النصوص بداية للاهوت التحرير. بالإضافة لمفهوم جديد لدور العقيدة الدينية أو الخدمة الصادقة للإنسان قبل تعليم العقيدة وإضافة مفهوم

جديد للعلاقة بين الالتزام الدينى والالتزام المدنى أى التكامل بين متطلبات الدين وبين متطلبات الالتزام المدنى (٨) أما فى العالم الإسلامى فقد حدثت عملية تحوير أو تزييف للوعى مع انتشار الظاهرة الإسلامية. إذ لم تطرح الأسئلة الصحيحة وبالتالى لم تقدم الإجابات (المشروعات) الصحيحة .فعلى سبيل المثال دارت مثل هذه الأسئلة بين المتدينين فى أمريكا اللاتينية:

هل يدعم الدين النظام القائم أم يضع الأسس لما يراه تغييرا شرعيا وممكنا؟

هل يمكن أن يساعد الدين الفقراء في فهم أقل قدرية لأوضاعهم؟ كيف ارتبط الدين مع السلطة السياسية؟

يؤخذ على الإسلام السياسى المنتشر خلال السنوات الماضية أنه يؤدلج ويعكس الأسباب والنتائج حين يطرح الأسئلة – وهذا قليل – لأن لديه أجوبة دوجمائية جاهزة متجاوزة للسؤال والتساؤل .ويقدم على الكنز مثالا جيدا:

.. "بحيث يقدم ـ أى الإسلام السياسى ـ فشل التجارب الوطنية والتنموية على أساس عدم تطبيق الشريعة الإسلامية والحقيقة هى أن فشل التنمية الوطنية والتجارب الوطنية هو السبب فى ظهور الأصولية المنادية بتطبيق الشريعة (٩).

هذا تفكير مثالى يفسر الموضوعات بعوامل خارجية عن سياق التاريخ والمجتمع وتكاد ترفع الأسباب فى أحيان كثيرة .والايديولوجيا لديها الأسباب المسبقة والنهائية الموجودة فى الذهن فقط ولذلك تخطئ التحليلات والمواقف الإسلامية خاصة أنها تبتعد عن المناهج الحديثة فى العلوم الإنسانية باعتبارها مستوردة وغريبة. وفى نفس الوقت قليلة هى البلدان الإسلامية التى حققت تنمية أو نموا جيدا ساعد فى تحريك المجتمع وبالذات تكوين طبقة وسطى قوية مستنيرة أو بورجوازية صاعدة كما حدث فى أوروبا العصور الوسطى. تحاول الورقة فى الصفحات التالية تحليل وضعية التيارات والاتجاهات الإسلامية ومدى قدرتها على إنجاز لاهوت تحرير مستقبلا وما هى المعوقات الذاتية (أفكارها ورؤيتها) والموضوعية (درجة تطور المجتمع والحركة والسياسية وتأثير الخارج) التى حالت دون تحقيق ذلك وسيكون التركيز أكثر على الحالة السودانية خاصة وقد قامت فيها أول تجربة حكم إسلامى فى المنطقة فى الفترة المعاصرة أى بعد الحرب العالمية الثانية.

أ – النصوصية والسياسوية أو السلفية والأصولية السياسية

شكل هذان التياران مجمل الحركة الإسلامية السياسية فى السودان

حيث تمثلت فى أحزاب وحركات وجبهات سياسية كما أن التوجه قدم تفسيرات تختلف فى درجة محافظتها فى الدين .وقد اختزلت المدرستان الإسلام فى قيام دولة دينية وتطبيق الشريعة الإسلامية وما يتبع ذلك من تغييرات قسرية على دولة تعددية الثقافات والأديان والأقاليم مثل السودان. ومن سوء حظ البلاد أن هيمنت القوى المحافظة على حركة الإسلام السياسى وتحالف مثقفو الحركة مع مجموعات سلفية مثل أنصار السنة (امتداد الوهابية والحنبلية فى السودان) تحت شعارات تحكيم الشرع أو لا تبديل لشرع الله. لذلك ضاقت رؤية الحركة الإسلامية واختزلت نفسها فى سياسة فجة وبدائية حاولت استغلال المشاعر الدينية لدى بسطاء الناس. ولقد عملت على توظيف الدين كنظام ايديولوجى وعامل نشيط فى الحياة السياسية ولكن فى الاتجاه المعاكس .فالدين كأيديولوجيا قد يكون محايدا فى ذاته ويعتمد على طريقة توظيفه إذ يمكن إضفاء طابع دينى على حركات تقدمية أو قد تستخدمه القوى المضادة كما حدث فى الكنيسة الكاثوليكية لفترات طويلة وفى تأييد علماء الدين المسلمين لنظم سياسية فاسدة .أجهض التيار الإسلامى المحافظ محاولات تثوير الدين أو تغليب التقدمية عليه منذ بداية ظهور تنظيمات سياسية إسلامية .ففى البداية كونت مجموعة من المثقفين الإسلاميين تنظيما تحت اسم "حركة التحرير الإسلامى "عام ١٩٤٩ (وهى ليست لديها أى صلة بحزب التحرير الحالى) ولكنها قصدت تحرير السودان من الاستعمار البريطانى .ثم جاءت مجموعات من الطلاب السودانيين من مصر حاملة أفكار جماعة الإخوان المسلمين المصرية وحاولت نقل التجربة واحتواء الحركة الناشئة فى السودان .مما أدى إلى انقسام ظهر على أثره تنظيمان: الإخوان المسلمون والجماعة الإسلامية (١٩٥٤) والأخيرة تمثل عناصر من حركة التحرير الإسلامى .وبعد ثورة أكتوبر الشعبية ١٩٦٤ . أخذت الجماعة الإسلامية اسم الحزب الاشتراكى الإسلامى .وكانت هذه خطوة جريئة فى اتجاه ربط الإسلام بقضايا الشعب والمجتمع وهذا جوهر أى لاهوت للتحرير .وجاء فى دستور الجماعة الإسلامية:

... "إن الغرض تحقيق الإسلام فى واقع الحياة عن طريق جمهورية إسلامية حرة كاملة السيادة . "ونصت إحدى مواده على إلغاء الإقطاع وتحويل ملكية الأرض جميعها وما تحويه من ثروة إلى ملكية جماعية وتوزيعها على قاعدة الأرض لمن يفلحها وإلغاء النظام الرأسمالى إطلاقا وتحويل وسائل الإنتاج والتوزيع إلى ملكية جماعية (١٠).

تعرضت هذه الحركة لهجوم وتشكيك ووصمت بتهمة الشيوعية التى

كـانت تؤثر على تطور أى تيـار إسـلامـى وأطلق عليـهـا المحـافظون اسم «شيـوعيو إسـلام» مما يعنى أنهم شيـوعيون يتدثرون بالإسلام أو محاولة لتحـويل الإسلام إلى شيـوعيـة .ونجحت حملة الإخوان المسلمين فى عزل الحركة وفى وأد أى تيار تقدمى إسلامى وانفرد المحافظون بقيادة وتوجيه الحـركة الإسـلامـيـة حتى اليوم وكـانوا سـبـبـا مـبـاشـرا فـى أخطائهـا وفى الكوارث التى جلبتها على السودان حتى استولت على السلطة فى ٣٠ يونيو ١٩٨٩م .ويتلاقى الفكر السلفى والأصولى فى اعتمادهما على النصوصية (Scripturalism) أو الكتـابيـة أو النص المقـدس .(Sacred text)وهنا يفـتـرق الإسـلام الرسـمـى أو الأرثوذكسى (Orthodox Islam)عن الإسـلام الشـعـبـى) (Popular Islamحيث يحـاول الإسـلام الرسـمـى أن يدخل الحـيـاة فى النص المقدس بينما الإسلام الشعبى يتميز بأنه حى ومتغير - لأنه يفعل العكس - يسعى لكى يتوافق النص مع ممارسات وطريق حياة المتدينين .فالأصولية والسلفية كمكونات للإسلام الرسمى ليس لديهما مشروعات جديدة مغايرة على سبيل المثال يحاول أسلمة الحداثة .وهذا هو المقصود بادخال الواقع أو الحـيـاة فى النص عـوضـا عن فـهم النص بمنظور الواقع .وهذه هى أزمـة مناصر الفكر الإسلامى السلفى والأصولى التى جعلته عـاجزا عن التجديد بسبب بحثه عن نقاء غير موجود (Puritan) ولذلك يحارب في معارك لا مـجـدية تهـدف إلى "التـخلص من شـوائب علقت بالدين "وهذه مـحـاولة عـقـيـمـة تقـارن بين الواقع ومـا يسـمـيـه الإسـلامـيـون "أصـول الدين "أو " صحيح الدين "وتصنف كثير من التغييرات والمستحدثات بأنها بعيدة أو خارجة عن الدين .

تركن الأصـولية أو السلفـيـة غالبـا إلى حداثة معكوسـة فى تعاملها مع الواقع والعـصـر ، أى تحـاول أن تبنى عـالما جديدا أو حـديثا بأدوات فكرية قديمة هى الفـهم التقليدى الأصلى للنص الدينى .وهى تميل إلى شكل من الاداتية أى استخدام الأدوات والوسائل المفيدة - الحديثة بتجريدها من آى مـضـامين أخـلاقـيـة أو ثقـافـيـة أو ذهنيـة .فـهى ترغب فى اقتناء الآلة والتكنولوجـيـا ولكنهـا تسـتـبـعـد التـفـكيـر العلمى والعقل الذى وراء هذه الاخـتـراعـات .يرى كـيـبل فـى الأصـوليـة .. " :القطيـعـة مع منطق الحـداثة الدنيوية التى يعزو إليها كـافة اختـلالات مجتـمـعـات العـالم الثـالث ابتداء بالتفـاوتات الاجتمـاعـيـة وانتهاء بالاسـتـبـداد (..) فإنها تطمح إلى فصل التقنيات وأكثرها تطورا بالذات التى تعتزم تملكها والتحكم فيها عن قيم العلمنة الدنيوية التى ترفضهـا وذلك من أجل تنصـيب خلفيـة يغلب عليـها خضوع العقل لله [١١]، أهتم الأصوليون السودانيون بالسلطة السياسية ولم

ينشغلوا بتحديد الفكر الدينى إلا بمقدار ما يساعدهم فى الوصول إلى السلطة .وهذا ما يجعلنا نفرق بين المسلم والإسلامى والإسلاموى فالأخير يوظف كدين فى السياسة الصرفة خلافا للإسلامى الذى يفهم شمول الإسلام بصورة أوسع من مجرد السياسة والتى قد تكون جانبا مهما ولكن ليس مهيمنا على بقية الجوانب والعوامل والمسلم يتعامل مع الدين كعقيدة أو حتى ثقافة فقط لذلك يعتبر البعض الأقباط فى مصر مثلا جزءا من الثقافة الإسلامية [١٢]، ومن خلال الاهتمام الفائض بالسلطة السياسية بحث الإسلاميون عن النموذج المثالى للحكم الإسلامى ووجوده فى مجتمع المدينة ـ حسب رأيهم ـ لذلك جعلوا مستقبلهم خلفهم وليس أمامهم .لذلك لم يجتهدوا ولم يجددوا واختزلوا الشريعة فى إقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حسب فهم المطاوعية ومشايخ الوهابية .إذ يمكن أن يكون الفهم مختلفا حسب الموقف التحررى ماذا يمنع أن تكون الدعوة المعروفة هى طلب الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة وأن يكون المنكر المطلوب النهى عنه هو الظلم والقمع والفساد، والترف تمحور فكر الإسلام السياسى فى أبعاده الأصولية والسلفية على المرأة والمال (الربا) ويرجع ذلك إلى الانشغال الاخلاقى والخوف من الانحلال حسب رؤية ضيقة للحياة والمجتمع .فالاسلاميون لا يرجعون الانحلال وخراب الأخلاق إلى أسباب اقتصادية واجتماعية ويحصرون ذلك فى الابتعاد عن الدين أو هجر الأوامر الدينية فقط وكان من الطبيعى أن يفشل الإسلاميون حين استولوا على السلطة فى السودان فى "إتمام مكارم الأخلاق "كما بشر الرسول الكريم . ورغم العسف والقمع والاستخدام الزائد للقوة لم يستطع نظام الإنقا ـ الإسلاموى فى السودان أن يقيم مجتمعا أخلاقيا لسبب بسيط هو الفقر . ولذلك قال الإمام على: «لو كان الفقر رجلا لقتلته» ومع عدم القدرة على قتل الفقر - allevation of poverty حسب لغة الأمم المتحدة – يصبح من المستحيل تأسيس المجتمع الأخلاقى .وهنا كان يمكن أن يكون دور لاهوت التحرير الإسلامى ليزود الحكم باستراتيجية صحيحة تزاوج بين الدين والتحرر الشامل بمعنى تحقيق الاشتراكية والديمقراطية معا .

٢ـ الصوفية والطرائقية

تميز الإسلام فى السودان بالطابع الصوفى فقد دخل الدين الإسلامى إلى البلاد من خلال المهاجرين والتجار وليس بالفتح والعلماء الدينيين والفقهاء .ولم تكن طلائع المسلمين الأوائل الذين قدموا إلى السودان منذ منتصف القرن السابع الميلادى ذات ثقافة دينية رفيعة .ويذكر المؤرخون أن القادمين للبلاد كانوا من الفارين والمضطهدين والمضطرين الذين اجبرتهم

الظروف على ترك الوطن الأم .ويصفهم أحد الباحثين " :نتج عن ذلك أن الإسلام دخل وانتشر فى السودان بواسطة عناصر تغلب عليها البداوة والجلافة ولم يكن مستوى علمها الدينى أو تفقهها فى الدين فوق الشبهات فقد علم السكان المحليون كيفية أداء الشعائر الدينية والفرائض ببساطة شديدة ولم يحاولوا الخوض فى مسائل فقهية عميقة أو فى قضايا توحيدية وعقيدية .وقد يكون السبب فى ذلك أنها تجهل هذه المعارف تماما أو حاولت كسب المواطنين بكل الطرق أو للسببين معا (١٣).

لاحظ بعض الرحالة وضعية الإسلام فى السوادن فى البدايات حتى مجىء بعض العلماء والفقهاء .وتروى بعض المصادر أن هذه الوضعية استمرت حتى النصف الثانى من القرن الرابع عشر وكان أول العلماء هو الشيخ غلام الله بن عائد اليمنى الذى قدم من الحليلة باليمن فى تلك الفترة إلى نقلا وقرر السكن بها " :لأنها كانت فى غاية من الحيرة الشديدة والضلالة لعدم وجود القرآن والعلماء بها .فلما حل فيها، عمر المساجد وقرأ القرآن وعلم العلوم مباشرة لاولاده وتلامذته ولاولاد المسلمين (١٤). ونفس الوصف جاء عن فترة سابقة عن يوحنا السورى فى مملكة علوة وسكانها "ليسوا مسيحيين ولا يهودا ولا مسلمين ولكنهم يؤملون أن يظلوا مسيحيين . "وحتى نشوء دولة الفونج التى تعتبر إسلامية كان الواقع فى تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن .ويقال أن الرجل كان يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى نهارها فى غير عدة حتى قدم الشيخ محمود العركى من مصر وعلم الناس العدة (١٥).

يوضح ما تقدم وجهة النظر الأصولية والفقهية وأحيانا السلفية فى أحوال الدين المبكرة وأحيانا تهدف مثل هذه الأحكام والكتابات إلى بيان التطور الذى حدث فى الدين فى اتجاه العودة بالدين إلى أصوله وتنقيته أيضا من شوائب الجهل والشعوذة .وهذا ما دعت إليه الحركات الإصلاحية والكلاسيكية أو ما قبل محمد عبده والأفغانى حيث بدأت المواجهة مع " شوائب "الحضارة الغربية .أما المهدية والوهابية السنوسية فقد واجهتا الداخل أو الأشكال الدينية المحلية التى تعتبرها خروجا عن الدين الحنيف . لذلك حاربت الطرق الصوفية والأولياء وأصحاب الكرامات والممارسات التى اعتبرت خارجة عن صحيح الدين أى التى لا تجد سندا فى القرآن والسنة المطهرة والاجماع .ولكن هناك جانبا مهما فى الطريقة التى دخل بها الإسلام – صوفيا – إلى السودان واستمرار هذه السمة وانتشارها حتى اليوم .فقد دشن المسلمون الأوائل مبدأ التصالح والتعايش مع الواقع أى مع المعتقدات التقليدية والشعبية السائدة آنذاك .وهذا يفسر أيضا غلبة

الصوفية ذات الطابع الشعبى وهى تقوم على الطقوس الخارجية مثل الذكر والمديح وترديد الأوراد ولباس معين وتنظمها علاقة شبه أبوية مع شيخ طريقة أو فكى يمتلك البركة ويأتى بالخوارق والكرامات .وهى صوفية يغلب عليها الطابع الشعبى البسيط غير الفلسفى والعميق فهى صوفية لم تعرف ابن عربى والحلاج ولا الحلول والحب الإلهى واكتفت "بحب النبى "(١٦)، تميزت العقيدة الإسلامية السودانية بمحليتها وتاريخيتها فقد امتزجت بالإسلام فى السودان " كعقيدة وثقافة الكثير من الرواسب الثقافية ذات الأصول الفرعونية المسيحية والافريقية المحلية (الكتوبية مثلا) والتى يمثلها الإسلام وأصبحت جزءا لا يتجزأ من الإسلام الشعبى حتى اليوم لدى أغلب السودانيين .بالذات تلك المجموعات التى اعتنقت الإسلام ولكن لم يتم تعريبها فاحتفظت بلهجتها (لغاتها) وطرق حياتها الخاصة مثل النوبيين فى الشمال والفور وبعض قبائل غرب السودان (١٧). ولا يقتصر هذا التأثير غير الإسلامى على هذه المجموعات الإثنية فقط. إذ نجد أن طقوس دورة الحياة أى من الميلاد إلى الوفاة لا تخلو من تلك الرواسب .إذ يرسم الصليب على جبهة المولود حديثا لدرء "الكبسة "أو الحسد والسحر كذلك زيارة النيل بعد أربعين يوما للميلاد أو عند الزواج وإطلاق أسماء الحيوانات على البشر لتأكيد صفات جيدة فالفقيه والمشهود له بالكرامات يدعى التمساح مثلا.

وهذه التأثيرات تدل على تسامح ومرونة الإسلام السودانى عكس تعصب وتطرف الإسلام السياسى المتسلح بالسلفية والنصية ضد الصوفية والعلمانية .ولكن تسعى إلى كسب الطرق الصوفية تكتيكيا – حيث تغلب الأهداف السياسية على الاختلافات الدينية الواضحة بين الطرق الصوفية من جهة والسلفية والأصولية من جهة أخرى يعتقد البعض أن الصوفية أقرب إلى الوجدان الشعبى وبالتالى قد تقود إلى لاهوت تحرير أكثر من الإسلام الرسمى (النصى) .فهى ترى فى القرآن مثلا نص – مشروع أى قابل للتأويل والقراءات المتعددة .ويرى البعض حتى فى المناقب والكرامات (رغم لا عقلانيتها) نوعا من التحرر الوجودى والاجتماعى .فالفكر الكازمى يهدف إلى تدمير المجتمع القائم ويسعى إلى إعادة خلق مجتمع بشرى جديد خال من رجس الحياة القديمة (البائدة) من خلال بعث جديد والمجتمع الذى خطط له الفكر .

الكرامى هو مجتمع تنعدم فيه التناقضات ويتحد فيه كل شيء :حتى الإنسان مع الحيوان والنبات "كذلك هو "مجتمع يشعر فيه الكائن بالأمن والطمأنينة ليس فيه صراع مادامت مسوغات الصراع قد انتهت (١٨)، ولكن المشكلة فى الصوفية أنها تقيم عالما موازيا للعالم الواقعى فهل تستطيع أن

توجه قدرات اتباعها إلى تغيير الواقع عوضا عن الارتفاع عنه .فالصوفية لا تقبل الإسلام الرسمى بجفافه وبعده أيضا عن الحياة واقترابه إلى النص. وفى الحالة السودانية لم يستطيع الإسلام السياسى استيعاب الطرق الصوفية الجديدة أى التى كان سببا فى ظهورها باعتبارها أدوات لرفضه حتى وإن لم تقدم البديل أو المشروع المختلف والقابل للتطبيق .وفى هذا الصدد دعا رواد لاهوت التحرير إلى تغيير المعنى الرمزى للفقر مثلا من القبول السلبى والتضحية .

رأى الغنوشى – وهو على حق – فى الصوفية المقابلة للوجودية فى الغرب والتى أتت كرد فعل على طغيان العقلانية (هنا الشكلانية) بينما التصوف نشأ كرد فعل عنيف ضد طغيان الفقه وضد الإغراق فى الترف والمادية .ولكن التصوف تحول إلى انصراف عن الدنيا والحياة وإلغاء العقل تماما مما جعل المسلمين بلا موازين أو مقاييس ويقول :أصبح المقياس هو الذوق وليس هو المكاييل والموازين ومنطق اللغة .وحدث غلو كاد يلغى العقل والحكم الموضوعى .فالمطلوب الاعتدال [١٩]. فالتصوف الإسلامى يحمل من الوعود الكثير ليكون قاعدة للاهوت تحرير إسلامى حقيقى .

٣. الاجتهادات الفردية

ظهرت فى العالم الإسلامى المعاصر واعنى بعد الحرب العالمية الثانية اتجاهات إسلامية أرادت أن تدخل القضايا السياسية والاجتماعية إلى قلب الدين من وجهة نظر تقدميه تجديدية .وتهدف إلى كسر احتكار الدين والقضايا الاجتماعية معا فالدين أصبح حكرا على الإخوان المسلمين والسلفيين والقضايا الاجتماعية أصبحت مجالا مغلقا للشيوعيين والاشتراكيين وبعض القوميين .وقامت حدود وهمية بين العلمانيين والمتدينين ليس لأسباب موضوعية ملموسة ولكن لمصالح معينة. .ورسمت جيتوهات فكرية يحتلها متدينون مقابل أخرى يسكنها علمانيون أو حداثيون على مستوى الحياة العامة مما قلل فرص العمل السياسى أو الاجتماعى المشترك .وكانت النتيجة أن الإسلام السياسى والمحافظ عموما استطاع تجنييش الجماهير وتعبئتها خلف شعارات دينية غامضة مثل الإسلام هو الحل أو لا تبديل لشرع الله .وكسبت السلفية الإسلامية الشارع الإسلامى لأنها خاطبت عواطفه واستغلت مناخ الأزمة والعجز فى هذه المجتمعات .أما المعسكر الآخر فإنه رغم اجتهاداته وجدة أفكاره ظل معزولا .ومحصورا بين صفوة قارئة وباحثة .لم تستطع أن تكسب الشارع .وهى عرضة باستمرار للاتهامات من القوى المحافظة مما جعلها فى حالة دفاع مستمر وكمون من أجل البقاء فقط .

تمثل الاجتهادات الفردية أو التى تبنتها فئة قليلة بذرة جيدة للاهوت تحرير إسلامى لأنها تعيد التفكير فى السائد ولأنها ذات فهم جديد للنصوص .ويلاحظ أن هذه التيارات فى انحسار مستمر خلال السنوات الأخيرة بسبب القمع الذى وصل إلي درجة الإعدام لشخص مثل الأستاذ محمود محمد طه أو العجز الذاتى باستنفاذها قدراتها الخاصة فى الكتابة والتفكير وساهم الركود الفكرى واللامبالاة العامة فى توقف هذا التيار مع أن الأحزاب العقائدية العلمانية تقوم بمراجعة لموقفها من الأديان بعد انهيار التجربة الاشتراكية فى العالم .ولكنها لم تتعمق فى تنظيرها ووقفت عند حد توفيقى يكرر مقولات مثل الدين لا يتعارض مع الاشتراكية أو العكس.

بالإضافة للبحث عن جوانب تقدميه فى الأديان غالبا ما تكون أفكارا متقطعة وخارجة عن سياقها التاريخى.

يعتبر على شريعتى وحسن حنفى فى دعوتهما لليسار الإسلامى ومجموعة X1251 التونسية من أهم الاجتهادات التجديدية ولكنها توقفت مبكرا ولم تجذب قطاعات كبيرة ففى إيران تحولت الثورة الشعبية الإسلامية إلى دولة ثيوقراطية قامعة وفى مصر استمرت سيطرة الأخوان المسلمين وفى تونس حدث فراغ وركود فى الساحتين السياسية والفكرية. يمكن اعتبار مساهمة شريعتى من أهم المحاولات فقد طرح تساؤلات كانت تحتاج إلى التطوير والتعميق رغم أن البعض يمايزها بانتمائها للمذهب الشيعى وهو نفسه يركز على "حزب الشيعة "الذى يقول عنه " :إن حزب الشيعة استقطب تطلعات وآمال المثقفين المناضلين من أجل الحق والجماهير الطامحة للعدل لذلك ظل صامدا طوال التاريخ فى وجه العنف والتزوير واغتصاب الحق واستغلال الفلاحين واغتصاب حقوق الناس والنظام الارستقراطى والاستغلال الطبقى والكبت الفكرى والتعصب المذهبى وتبعية علماء الدين لحكام الدنيا والتمايز الذى أدى إلى إفقار متزايد للجماهير وإغناء فاحش للحكام والمتنفذين [٢٠]، ولا يوجد ما يمنع أن ينسحب هذا التحليل على السنة أيضا.

يطرح أسئلة هى من صلب أى لاهوت تحريرى إذ يقول :هل الاستناد إلي الدين يعنى العودة إلى ما رواء الطبيعة ويجعل من الرد موقفا سياسيا اجتماعيا وليس توضيحا فلسفيا أو فقهيا؟ حين يقول " :ففى أيامنا هذه لا يكفى أن يعلن المرء عن معارضته للدين أو اعتقاده به فهذان موقفان لا يفسران شيئا بل ينبغى توضيح أى دين يعتقد به. دين أبى ذر أم دين مروان بن عبد الحكم فكلاهما يدعيان الإسلام ولكن ما بين إسلام أبى ذر وإسلام مروان بن عبد الحكم يوجد فرق (...) أحدهما يقبع فى قصر عثمان منكبا

على نهب بيت المال والآخر يموت جائعا وحيدا فى "الريذة "فأى اسلام تقصدون (٢١).

اقترب شريعتى من تفسير لاهوتى التحرير المسيحيين للانجيل حيث بحث عن قيم التحرير داخل النص الإسلامى نفسه .فعلى سبيل المثال يفسر الصراع الطبقى باستخدام وجود طبقتين فى التاريخ :طبقة هابيل وطبقة قابيل أو بنيتين محتملتين فى جميع المجتمعات البشرية .ويرى قطب قابيل هو الحاكم الملك الارستقراطية المالك .وفى القرآن يرمز فرعون إلى السلطة السياسية الحاكمة وقارون إلى السلطة الاقتصادية المهيمنة .أما القطب الهابلى المحكوم فيتكون من ثنائى (الله ـ الناس) وهما مترادفان فى تفسيره (٢٢)، ويتحدث بلغة لاهوتية تحريرية واضحة حين يكتب:

إن (الله ـ الناس) يقود العالم نحو بناء مجتمع لا طبقى ينتفى فيه الاضطهاد الدينى – حيث يقف الله مع الناس ولا يحتاجان إلى وسيط بنيهما. إن الإسلام يضع مفهوم الأمة، والأمة توحد البشر وتشير حركتها التاريخية نحو إزالة الفوارق لا إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات جديدة ." (٢٣).

تبقى محاولة حسن حنفى الاجتهادية جديرة بالاهتمام رغم أنها تستطيع الانتشار والتوسع وبقيت جهدا فرديا .فقد استهل مشروعه بإصدار مجلة " اليسار الإسلامى "كما عرف القارئ العربى بلاهوت التحرير وكتب عن توريز وقدم سلسة إصدارات بعنوان "الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ – ١٩٨١ "من بينها عناوين ذات دلالة مثل:

"الدين والثقافة الوطنية "و "الدين والتحرر الثقافى "و "الدين والنضال القومى "و "الدين والتنمية القومية "و "اليمين واليسار فى الفكر الدينى "و "واليسار الإسلامى والوحدة الوطنية . "كذلك أعلن عن مشروع "التراث والتجديد "والذى أخذ عنوان " :من العقيدة إلى الثورة "ومن الملاحظ أنه يفضل مفهوم اليسار الإسلامى عوضا عن مصطلح لاهوت التحرير .

يلاحظ أن حنفى يعتمد فى تجديديته على الفكر واللغة والثقافة ويلامس العوامل الاجتماعية .ولكن طور آراءه حول تفسير النصوص الدينية الذى يراه تابعا للموقف الاجتماعى ووضع المفسر وانتمائه وولائه وهذا ما يفسر تعارض النصوص وهو فى الحقيقة اختلاف فى المواقف التى تستخدم هذه النصوص. يقول " :فليس الخلاف حول معنى موضوعى للنص المستقل بل هو اختلاف المواقف الاجتماعية والمصالح الطبقية للمفسرين .اختلاف المصالح يرجع فى النهاية إلى التركيب الطبقى للمجتمع (٢٤).

ظهر فى تونس تيار تقدمى منشقا عن الخط العام لحركة الاتجاه

الإسلامى فى أواخر السبعينات وأصدر هذا التيار مجلة تعبر عن مواقفه وأفكاره سماها X1521 :رابطا بين القرنين الهجرى والميلادى رامزا للمواكبة وأنها تعمل من أجل فهم جديد مستنير للإسلام بعيدا عن القوالب الجاهزة للفكر الإسلامى .ويعرض أحد قادتها – صلاح الدين الجوارشى أهداف الحركة من خلال نقد واقع حركة الإسلاميين التى يرى أنها تفتقد إلى الفكر العميق بسبب التحزب المفرط والتسييس المبالغ لكل شىء واختزال المشروع الإسلامى فى بعد واحد إلى درجة السقوط فى المكيافيلية .وتتسم – فى – رأيه – بخلل منهجى وعجز عن التأصيل حرمها من تبنى شعارات مثل الديمقراطية وفصل الدولة عن الحزب واحترام حقوق الإنسان .وهذا مما جعل الإسلاميين – رغم زيادتهم العديدة – لا يتحولون إلى وقوة اجتماعية وثقافية واسعة لانهم اختزلوا المشروع الإسلامى وغلبوا السياسى على الثقافى (٢٥).

ظهرت فى السودان حركة إسلامية مثلت تحديا لإسلام الاخوان المسلمين المحافظ ولسلطة رجال الدين الرسميين والسلفيين قادها الأستاذ محمود محمد طه (١٩٠٩ ـ ١٩٨٥) من خلال الإخوة الجمهوريين وقد انتهت دعوته للتجديد الإسلامى إلى إعدامه بتهمة الردة فى يناير ١٩٨٥, واستخدم الأستاذ محمود محمد طه منهجا لإعادة قراءة النص القرآنى من خلال تقسيمه إلى فترة نزول فى المدينة وأخرى فى مكة حسب السور المدنية والمكية وبالتالى يرى أن الإسلام رسالتان وقد حان الوقت لظهور الرسالة الثانية التى تصلح – حسب قوله – لإنسانية القرن العشرين بينما أدت الرسالة الأولى مهمتها ولم تعد صالحة لهذا العصر ويرى التطوير فى المعاملات فقط لأن العبادات ثابتة .ولهذا يقول إن كثيرا من المعاملات ليست أصلا فى الإسلام مثل الرق والجهاد وعدم مساواة المرأة بالرجل وتعدد الزوجات والطلاق والحجاب .فهذه أوضاع انتقالية اقتصرت على الرسالة الأولى.

يرى الأستاذ محمود أن المسلمين أصبحوا مهيأين لقبول الرسالة الثانية التى يمكن أن يتحقق بواسطتها المجتمع الصالح القائم على المساواة الاقتصادية (الاشتراكية) والمساواة السياسية (الديمقراطية) والمساواة الاجتماعية .حيث يكون الناس شركاء فى السلطة والثروة ويذهب بعيدا فى تفسيره حيث يرى أن الشورى ليست الأصل فى الإسلام بل الديمقراطية وفق الآية " :فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر. "

ويقود ما تقدم إلى المساواة الاجتماعية والتى يصفها كما يلى:

"ومظهرها الجلى محو الطبقات وإسقاط الفوارق على اللون أو العقيدة

أو العنصر أو الجنس من رجل وامرأة .فأنه يجب ألا يكون هناك تمييز بين الأفراد يقوم على اعتبار من هذه الاعتبارات .فالناس لا يتفاضلون إلا بالعقل والخلق .ومحك ذلك العدل فى السيرة بين الناس (٢٦).

خاتمة

يبرز سؤال وظيفة الدين مع تطورات العولمة والمشكلات الداخلية للدول النامية والتى يلعب فيها الدين دورا حاسما كمكون ثقافى يتوازن مع الوضع الاقتصادى - الاجتماعى أو الطبقى .ويتساءل البعض هل الدين أفيون للشعوب أم فيتامين للشعوب أى هل يخدرها أم يقوى قدرتها على صنع الحياة والتغير ولم تعد القضية تكمن فى الإيمان أو الإلحاد بالمعانى الفلسفية والفكرية ولكن حسب الأهداف والغايات الاجتماعية والإنسانية أى زيادة سعادة الإنسان وتلبية احتياجاته الروحية والمادية .

لكن هذه الأمنية تضيع مع تزايد التعصب والهوس الدينى والتطرف حيث يقدم البعض الدين وكأنه آلهة حرب .إذ يقومون بالإقصاء والقضاء على الآخر غير مهتمين بالحوار والتعايش مع الآخر .فالاصوليات هى السائدة الآن والنظريات القائلة بصراع الحضارات (تقرأ صراع الأديان) هى التى تهيمن على التفكير وعلى السياسات والعلاقات الدولية على الأقل فى الولايات المتحدة الأمريكية .ولأن الحقبة الراهنة تشهد انحسار حركات التحرر عموما مقابل الهيمنة لذلك تراجع لاهوت التحرير لان القوى السياسية والحركات الاجتماعية التقدمية ضعفت مع سقوط النموذج الاشتراكى .وهنا الآن تسعى لبعث جديد بدأت تظهر ملامحه فى المجتمع المدنى العالمى وفى لقاءات بورتو واليجييرى وديربان مقابل دافوس بهدف قيام عولمة أكثر إنسانية .

إن إمكانات لاهوت التحرير الإسلامى عظيمة ولكن التطورات العالمية وحالات القهر الداخلية وغياب الديمقراطية تفتح المجال أمام القوى المحافظة القادرة على تهييج الجماهير وتغييب وعيها الصحيح لتقودها بلا برامج واستراتيجيات واضحة .

وبالفعل يسود التدين المرتبط بالماضى أو غير المعترف بالواقع الملموس أقصد حتى التصوف رغم أنه يرفض التدين السلفى المتصعب إلا أنه يتوقف عند الرفض دون أن يؤسس بديلا حقيقيا يمثل الدين الشعبى الإيجابى .

العمل الثقافى والفكرى الذى يبغي الحداثة والتحديث مع تحولات ملموسة على مستوى التنمية الاقتصادية الشاملة هو

الطريق نحو ربط الدين مع التقدم والتحرر وهذا هو لاهوت التحرير الإسلامى الذى قد يمكن الناس من بناء فردوسهم على هذه الأرض.

هوامش

١ - الويزيوس بييريس :لاهوت التحرير الآسيوى .تعريب الأب وليم سيدهم اليسوعى دار المشرق بيروت ٢٠٠١ ص ٣٢٣.

٢ - Clifford Geertz: Islam Obserued. The University of Chicago Press Chicago, 1968,P.97 ترجمة أبو بكر احمد باقادر :الإسلام من وجهة نظر علم الاناسة دار المنتخب العربى بيروت ١٩٩٣.

٣ - جوليان فروند :سوسيولوجيا ماكس فيبر ترجمة جورج أبى صالح .مركز الإنماء القومى (ب.ت) ص٨٧.

٤ - Greetz, op.cit.3.

5 - Wilfard Cantwell Smith: On Understanding Islam. Selected Studies. Mouton Publishers, The Hague, 1981,p.16..

٦. حيدر إبراهيم على :الدين والثورة - لاهوت التحرير فى العالم الثالث مركز الدراسات السودانية القاهرة ١٩٩٩ ص ٧ - ٨ .

٧. ميران مشيدولوف :الدين فى العالم .ترجمة جمال السيد القاهرة ١٩٩٠ ص١٤ .

٨. الأب وليم سيدهم اليسوعى :كلام فى الدين والسياسة .دار المحروسة القاهرة ٢٠٠٢ ص ٤٠ - ٤١٠.

٩. على الكنز :حول الأزمة دار بوشان للنشر الجزائر ١٩٩٠ ص ٦٥.

١٠. حيدر إبراهيم على مصدر سابق ص١٠ - ٢١ وحسن مكى محمد أحمد حركة الإخوان المسلمين فى السودان ٤٤ - ١٩٦٩ الخرطوم ١٩٨٢ ص ٣٣.

١١. جيل كيبل :يوم الله - الحركات الأصولية المعاصرة فى الديانات الثلاث .ترجمة نصير مروة. دار قرطبة قبرص ١٩٩٢ ص١٦.

١٢. يقابل المصطلحات الثلاثة :مسلم .Muslim وإسلامى Islamist وإسلاموى .Islamistic

١٣. حيدر إبراهيم على :أزمة الإسلام السياسى الجبهة الإسلامية القومية فى السودان نموذجا. مركز الدراسات السودانية الدار البيضاء الطبعة الثانية ١٩٩١ ص ٣٦.

١٤. محمد النور بن ضيف الله كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان .تحقيق يوسف فضل .دار جامعة الخرطوم ١٩٩٢م ص٣ .

١٥. نفس المصدر السابق.

١٦. حيدر إبراهيم على :أزمة الإسلام ..مصدر سابق ص ٣٦ - ٣٧ .

١٧. المصدر السابق.

١٨. إبراهيم القادرى :الإسلام السرى فى المغرب العربى سينا للنشر القاهرة ١٩٩٥ ص ٢– ١٤٣.

١٩. راشد الغنوشى :حوارات قصى صالح الدويش .منشورات الفرقان الدار البيضاء ١٩٩٣ ص١٢.

٢٠. اضل رسول :هكذا تكلم على شريعتى .دار الكلمة للنشر بيروت ١٩٨٧ ص١٨٦.

٢١. نفس المصدر السابق ص٢٠٠.

٢٢. المصدر السابق ص١٤٠ .

٢٣. المصدر السابق ص ٧٨.

٢٤. حسن حنفى :اليمين واليسار فى الفكر الدينى مكتبة مدبولى القاهرة (ب.ت) ص ١١٧ – ١١٩.

٢٥. مجلة (١٥ ـ ٢١) عدد ١٥ ص٣٠.

٢٦. محمود محمد طه " :الرسالة الثانية من الإسلام "(ب.ت) ١٩٨٦ ص ١٤٢ وحيدر إبراهيم على لاهوت التحرير مصدر سابق ص١ – ٢٢.

تجربة لاهوت التحرير

سمير مرقص

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على إحدى التجارب الاجتماعية المهمة التى شهدها العالم الثالث فى الربع الأخير من هذا القرن وهى تلك التجربة التى عرفت باسم «تجربة لاهوت التحرير» والتى كانت قارة أمريكا اللاتينية موقعا لميلادها وتطورها.

وتعتبر حركة لاهوت التحرير واحدة من أهم الحركات الفكرية والشعبية التى عرفها العالم فى هذا القرن ولم تزل وذلك لما أحدثته من تأثير مباشر مس بصورة جوهرية وحاسمة واقع الناس فى بلدان قارة أمريكا اللاتينية فلقد اختارت حركة لاهوت التحرير الالتزام بالفقراء وحقوقهم وأعادت تفسير الإيمان لصالح هؤلاء الفقراء لأجل تحقيق انتماءاتها فى القارة اللاتينية بهذه الحركة التى استطاعت بحق أن تعبر بأمانة عن هذه الجماهير دون أن تطرح الحركة نفسها كبديل سياسى للنظم القائمة.

إن المشروع الذى تبنته حركة لاهوت التحرير هو مشروع "ثقافى - روحى "فى المقام الأول وليس سياسيا يعتمد أسلوب التكوين والبناء الثقافى- الروحى لكل من الإنسان والجماعة .فحركة لاهوت التحرير تؤمن بأن "الثقافة - الوعى "سلاح فاعل من شأنه أن يهيئ التربة الصالحة ويوفر المناخ اللازم لإحداث التغيير المنشود من قبل أصحاب المصلحة الحقيقية "المقهورة "فى مواجهة "القاهرين "فيحدث التطور الاجتماعى.

إذن "الثقافة - الوعى "نقطة بدء لازمة وضرورية ومن جانب آخر تؤمن حركة لاهوت التحرير "بالإنسان "باعتباره صورة الله و "بالمجتمع "الذى يتكون من أناس هم أبناء الله المطلوب أن يلعبوا دورا فعالا واعيا معا.

استنادا إلى الفهم والمعرفة بالقوانين الموضوعية للواقع الاجتماعى لتحقيق الحياة الأفضل كل هذا دون أى تدخل قسرى أو تحديد مسبق لملامح الحياة الأفضل من قبل الحركة.

والآن فليسمح لى القارئ الكريم أن نبدأ معا الاقتراب من تجربة لاهوت التحرير مستخدمين منهجا يعتمد على النظر إلى هذه التجربة من خلال السياق الاجتماعى والتاريخى الذى ولدت وتطورت فيه خاصة أن كل المحاولات التى تناولت هذا الموضوع باللغة العربية - وهى قليلة جدا - تناولته منفصلا عن هذا السياق.

القسم الأول :التطور الاجتماعى والاقتصادى والسياسى لقارة أمريكا اللاتينية

١. اكتشاف وغزو أمريكا اللاتينية

١. حدثان تاريخيان مهمان شهدهما عام ١٤٩٢ .ففى بداية ذلك العام سقطت غرناطة التى كانت عاصمة الخلافة الإسلامية فى الأندلس والتى أسسها العرب عام ٧٥٦ ميلاديا .وفى أكتوبر من نفس العام١٤٩٢ . رسا كريستوفر كولومبس بسفينته على شاطئ إحدي جزر الباهامس (سان سلفادور) معلنا اكتشاف «العالم الجديد» الذى عرف فيما بعد بقارة أمريكا اللاتينية رغم أن كريستوفر كولومبس نفسه كان يظن أنه وطأ أرضا أخرى غير التى اكتشفها ولم يتصور قط أنه اكتشف قارة لم تكن معروفة من قبل.

٢. والقارة التى أطلق عليها اسم أمريكا كانت تعيش فيها حضارات ومدنيات وقبائل كثيرة عرف بعضها درجة عالية من التقدم والتطور والمعرفة فحضارات أمريكا الشمالية والجنوبية القديمة من شعوب وقبائل وعلى الأخص من اصطلح على تسميتهم بـ "الهنود الحمر "هم السكان الأصليون للبلاد قبل اكتشافها فهم قد نزحوا إليها من آسيا عبر سيبيريا إلى ألاسكا عبر مضيق ببرنج الذى يصل المحيط الهادى بالمحيط المتجمد الشمالى وذلك من ٢٥ على ٣٠ سنة ولم يكن جنوب المضيق المذكور مغمورا بالجليد ولذلك فلابد أن أسرا من القناصة عبرته أثناء مطاردتها لقطعان الوعول والرنة التى طردتها كتل الجليد السيبيرية .وعندما ذاب الجليد بعد ذلك .أدى إلى ارتفاع منسوب المحيطات وغمر البرزخ الذى يصل سيبيريا بألاسكا ولم يبق بارزا سوى قمم الجبال وعندما كانت مياه البرزخ تتجمد فى الشتاء كانت قطعان الحيوانات ومن ورائها قناصوها .يتابعون طريقهم فوق الجليد وأدى انحسار هذا الجليد إلى وديان مستطيلة من الأراضى العذراء البكر سلكها القناصة السيبريون متجهين نحو الجنوب فعبروا الحدود الحالية التى تفصل بين كندا والولايات المتحدة واستمروا فى سيرهم حتى وصلوا إلى المكسيك ثم ساروا على امتداد برزخ بنما مخترقين أمريكا الوسطى .حتى وصلوا إلى أمريكا الجنوبية .فعبروها من الشمال إلى الجنوب .واستقروا فى بيرو بأمريكا الجنوبية فعبروها من الشمال إلى

الجنوب وظهر من هؤلاء القناصة حضارات الإنكا والمايا، والأزنك.

٣- وحتى موعد اكتشاف أمريكا كان فى البرازيل بين ٣ و ٦ ملايين من سكانها الأصليين ومن وجهة النظر الجغرافية فإن امبراطورية الإنكا – على سبيل المثال – كانت تشمل فى مطلع القرن الخامس عشر كل الجانب الغربى من سلسلة جبال الإنديز من اكوادور إلى شيلى أى حوالى ٤٠٠٠ كيلو متر طولا .ومساحة تعادل مساحة فرنسا حاليا ست مرات وكان مركز هذه الإمبراطورية بيرو .

٤- قد ازدهرت صناعات حرفية عدة وعلاقات تجارة وتبادل للمنتجات وتكونت منها تجمعات مدنية وزراعية تعتمد على إنتاج الذرة والحبوب وقبل تدمير الجحافل الأوروبية لتلك الحضارات القبلية القديمة كانت تلك الشعوب تتمتع بثقافات متقدمة نسبيا فقد توصلت إلى معرفة الكتابة والحساب ونهضت فيها مدن حضرية عدة بنى بعضها على مساحات تجاوزت ٢٠ كيلو مترا مربعا ووصل تعداد سكان بعضها إلى ما يزيد على ١٠٠ ألف نسمة وهو معدل ديموغرافى مرتفع .قياسا على كثافة سكان المدن الأوربية فى القرن الخامس عشر.

٢- أمريكا اللاتينية فى القرن الخامس عشر

١- انت الانطلاقة الكشفية الأوروبية نحو القارة الأمريكية هى الانطلاقة الثالثة من مجموع أربع انطلاقات كشفية قامت بها أوروبا منذ القرن التاسع الميلادى ويرصد لنا د .أنور عبد الملك هذه الانطلاقات كما يلى:

الموجة الأولى وجهت إلى المنطقة العربية – الإسلامية اعتبارا من القرن التاسع أى منذ حروب الفرنجة .وكانت الثانية موجهة إلى القارة الإفريقية . والموجة الثالثة هى التى وجهت إلى أمريكا اللاتينية وأخيرا الموجة الرابعة فقد وجهت إلى جنوب آسيا خاصة شبه القارة الهندية ثم جنوب شرق آسيا وأخيرا شرقها.

إن المخطط الأوروبى بدأ بتدمير الحضارة العربية الناهضة فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين وذلك بالغزوات العسكرية المستمرة والمتكررة لقرون ثم النزف المستمر للقوى البشرية من خلال تجارة الرقيق الأفريقية وأخيرا الانطلاق إلى أماكن جديدة مثل أمريكا وآسيا ونهب مواردها الطبيعية وكان من محصلة كل هذا أن تكون لدى أوروبا ما سمى "فائض القيمة التاريخى "الذى مكن أوروبا أن تصبح قوة عظمى فيما بعد .

٢- ولا شك أن للانطلاقات الكشفية الأوروبية المتعددة أسبابا داخلية ساهمت إلى حد كبير فى أن تعجل بهذه الانطلاقات الكشفية .ففى تلك

الفترة ظهر فى أوروبا ما يسمى بـ "أزمة الثورة الإقطاعية "والتى تمثلت فى زيادة التناقضات الداخلية لبنية النمط الاقطاعى وفى تفتيت الجماعات القروية وانخفاض عدد سكان الريف وتزايد حاجة الأمراء والنبلاء والإقطاعيين للنقود لشراء المزيد من السلع الترفيهية والمنتجات ولتمويل الحروب .

٣ـ وهذه الأزمة التى أجبرت رجال الإقطاع على تحرير أقنان الأرض. وتحويل الريع من شكله العينى (السخرة أو التسليم الإجبارى لفائض الإنتاج) إلى شكله النقدى وهكذا أدى التطور المتسارع لاقتصاد التبادل أو الاقتصاد النقدى خلال الفترة المتأخرة من العصور الوسطى إلى خراب الجزء الأكبر من النبلاء الإقطاعيين الذين كانت قاعدتهم تتمثل فى الاقتصاد الطبيعى التقليدى وواكب ذلك ضعف سلطة رجال الإقطاع والكنيسة أمام الدور المتعاظم الذى أصبح يلعبه التجار الذين ظلوا يستقطبون فى أيديهم المزيد من المال والثروة .

كما أنه مع نمو التجارة وزيادة العلاقات النقدية السلعية برزت ظاهرة إقراض المال مقابل الفائدة .وتحسنت صناعة المعادن وصناعة بناء السفن. والأسلحة والبارود وزادت المعرفة بأحوال الفلك وعلوم البحار واكتشفت البوصلة وزادت المعارف عن الطرق المائية .

من محصلة كل من التحولات الخارجية والداخلية لأوروبا بدأ عصر الكشوف الجغرافية وانطلقت السفن البحرية المجهزة بالمدافع والبارود وهى تحمل جحافل التجار والقراصنة والملاحين لكى تفك الحصار التجارى الذى كانت تفرضه الإمبراطورية العثمانية على التجارة مع الهند والشرق الأقصى .ومن أجل البحث عن الذهب والوصول إلى منابع إنتاجه وهكذا تتابعت الموجات الكشفية الواحدة تلو الأخرى .

٤ـ ومنذ اكتشاف أمريكا بدأت عملية مركبة :فمن جهة أولى بدأ المستوطنون الأوروبيون يفدون إليها للإقامة الدائمة واستغلال الموارد ومن جهة ثانية فإن الاستيطان تم على حساب السكان الأصليين ذوى الحضارات العريقة السابقة .ومن جهة ثالثة فإن المستوطنين الجدد لم يشكلوا مجتمعات مستقلة وإنما كانوا تابعين للدولة الأم التى أتوا منها ولقد كان من أبرز معالم هذا النظام فى هذه الفترة ما يلى:

-احتكار الدولة المسيطرة على تجارة المستعمرات بشكل كامل أى تحريم التجارة مع هذه المستعمرات وأى من الدول الأخرى .

-احتكار التاج للتجارة المذكورة ومنع المواطنين من تعاطيها أو التعامل فيها .

-تحريم التجارة بين المستعمرات الأمريكية وبعضها البعض .

-اقتصار نقل السلع على سفن الدولة الأم .

نزوح المعادن الثمينة وخاصة الذهب والفضة من المناجم مباشرة.

لقد كانت سرقة الذهب والفضة بأى شكل أو طريقة بمثابة هستيريا طبعت سلوك الأوروبيين فى تلك الآونة ففى خلال هذه المرحلة المسماة بالمرحلة "الميركانتيلية "تكتمل أكبر عملية سرقة فى التاريخ البشرى إذ نقلت ونهبت كميات ضخمة من الذهب والفضة من المناطق الجديدة نحو القارة الأوروبية وهى الكميات التى سيؤسس عليها نظام قاعدة الذهب فى مرحلة الثورة الصناعية والتوسع الرأسمالى فى القرن التاسع عشر .

٥- ويقول د .سمير أمين فى تحليل له حول القارة الأمريكية خلال هذه الفترة "لقد لعبت مناطق أمريكا دورا أساسيا فى الفترة الميركانتيلية (التجارية) من تشكل النظام العالمى المعاصر .منذ البدء تم تدمير التشكيلات الاجتماعية المحلية أو إخضاعها لرأس المال الميركنتيلى التابع للمركز الأوروبى الوليد وقد كون الرأسمال الميركنتيلى .جد الرأسمال الناجز ملحقات لنفسه فى أمريكا وأقام فيها أيضا المشاريع لاستثمار المعادن الثمينة ..وقد راكم رأس المال الميركنتيلى الأوروبى الذى كان يتمتع باحتكار هذا الاستثمار الرأسمالى النقدى الذى لعب دورا أساسيا فى التشكيل اللاحق لرأس المال التاجر وكانت أشكال هذا الاستثمار الملحق متنوعة:

شبه - أقطاعى (فى أمريكا اللاتينية).

شبه - عبودى (التوظيف المنجمى) أو العبودى (مزارع البرازيل)

وبقيت هذه الأشكال فى خدمة الرأسمالية الأوروبية الوليدة كما بقيت تنتج للسوق ولهذا يجب عدم خلطها بالأنماط الإقطاعية والعبودية الحقيقية لقد اكتسبت أمريكا اللاتينية فى هذه الفترة الميركنتيلية بنياتها النهائية الأساسية التى ستميزها حتى يومنا هذا .

يقدم لنا التحليل السابق الجذوز التاريخية لإلحاق أمريكا اللاتينية بأوروبا وجعلها جزءا من الهيكلية الرأسمالية العالمية فمنذ وقت مبكر أخذ الأوروبيون فى بناء مستعمرات متميزة تماما فى أمريكا اللاتينية عن مستعمرات أفريقيا وآسيا وتبلور ما يسمى بالاستيطان القهرى Coercive Settlement أو استيطان الغزو Conquest Settlement إن السيطرة الأوروبية كانت ذات طابع مزدوج فهناك سيطرة المستوطنين على الأرض والسكان الأصليين وهناك من جهة ثانية سيطرة الدولة الأم على المستوطنين والسكان الأصليين معا .

٦. إن دول أمريكا اللاتينية إذن قد خضعت لاستعمار أوروبى ارتبط بتوسع رأسمالى تجارى وما لبث اقتصاد هذه الدول أن ارتبط ارتباطا عضويا تابعا بالاقتصاد العالمى فحسب وجهة نظر أندر فرانك :

"لقد كانت كل دول أمريكا اللاتينية - خلال الفترة الاستعمارية - تنتج من أجل التصدير للدول الاستعمارية .وهذا يعنى أنها كانت تمارس إنتاجا تجاريا مما يعنى أيضا أن اقتصادها لم يكن من النوع الإقطاعي ولكنه كان ذا طابع رأسمالى واستنادا إلى ذلك يذهب فرانك إلى أن أكثر دول أمريكا اللاتينية تخلفا كانت هى تلك التى شهدت نشاطا ملحوظا فى مجال تصدير المنتجات الأولية .وبالتالى هى التى انتعشت فيها التجارة ..فمن العبث ربط التخلف بالإقطاع ذلك أن النظام الرأسمالى قد ظهر ككوكب مركزى ضخم يستغل نسقا مؤلفا من توابع تلك التوابع التى تستغل - هى الأخرى - نسقا مرلفا من توابع أدنى وعلى ذلك يصبح من الواضح أنه فى داخل الدولة المتخلفة ذاتها هناك نسق يعبر عن الاستغلال الداخلى (كالمدينة والقرية مثلا) ويرتبط فى الوقت ذاته بالنسق المعبر عن الاستغلال الخارج (أو العالمى).

توضح لنا وجهة النظر السابقة الآلية التى تكونت بها تبعية دول القارة اللاتينية لدول المركز الرأسمالية وكيف استطاعت هذه الدول المركز أن تكون لها طبقات معبرة عن مصالحها فى داخل الدول .التوابع .تمكنها من إحكام السيطرة وإتمام الإلحاق واستمرار النهب فمنذ وقت مبكر وبالتحديد منذ عام ١٥٨٠ ارتبطت أمريكا اللاتينية ارتباطا عضويا بأوروبا .فالمملكة الأسبانية مثلا أقامت فى مستعمراتها ست عشرة مدينة ربطتها كليا بمدريد بهدف استنزاف مواردها الطبيعية ونقلها إلى مدريد ثم تظل هذه المستعمرات بعد ذلك معتمدة اعتمادا كليا على السلع المصنعة التى تصلها من الموانى الأسبانية .ومن الطبيعى أن تحدث هذه السياسة أثيرات ضارة على مدن أمريكا اللاتينية خلال تلك الفترة حيث حرمت من التجارة والصناعة.

٧. وهكذا بدأ أمريكا اللاتينية رحلتها مع "التخلف "منذ الاكتشاف والغزو وذلك بأرتباط مصيرها بأوروبا أولا ثم بالولايات المتحدة الأمريكية ثانيا كما سترى فيما بعد بحيث أصبح تاريخ أمريكا اللاتينية تاريخا ممتدا من النهب الاستعمارى ولم يكن تطورها سوى "توطر التخلف "الذى هو فى الوقت نفسه التقدم لأوروبا.(ثم الولايات المتحدة الأمريكية) والذى بفضل اكتشافها للقارة اللاتينية وغزوها ولدت من جديد .

٣ـ أمريكا اللاتينية: من الاستعمار الأوروبى إلى «هيمنة» الولايات المتحدة الأمريكية.

١ـ لقد كان اكتشاف أمريكا اللاتينية "المنحة الصدفة "التى جاءت للأوروبيين حيث وفرت لهم رصيدا لا حد له من الذهب والفضة وإحداث التراكم الرأسمالى المطلوب فى دولهم إن نهضة أوروبا جرت ومازالت تجرى على حساب عمليات التخريب والقتل الجماعى واستنزاف الموارد الطبيعية للقارة الجديدة بيد أن دول أمريكا اللاتينية ظلت واقعة تحت نير الاستعمار الأوروبى زهاء القرنين وما إن بدأت هذه الدول تحقيق استقلالها حتى وجدت نفسها خاضعة لاستعمار بريطانى جديد ما لبث أن ورثته سريعا القوة العالمية البازغة الجديدة وهى الولايات المتحدة الأمريكية ولقد أوضح فرانك فى دراسة متخصصة شهيرة له (Capitalism and Underdevelopment in Latin America) اصدرت عام ١٩٦٩ كيف أن دول أمريكا اللاتينية قد شهدت بعد حصولها على الاستقلال صراعات حادة بين ثلاث جماعات أساسية :

الأولى :تمثل أصحاب المصالح الزراعية والتجارية الذين يسعون إلى الارتباط بالمصالح الأجنبية ومن ثم تدعيم التخلف.

الثانية :تضم أصحاب المصالح الصناعية الذين يعملون على مستوى محلى ويخضعون لتهديدات خارجية دائمة .

الثالثة :تضم الأجانب الذين يحتكرون الصناعات الرئيسية فى البلاد وعادة ما تنتهى هذه الصراعات لصالح الأجانب وكبار الرأسماليين الوطنيين مما يعنى إضعاف المشروعات الصغيرة من الوطنيين.

وإحدى النتائج المترتبة على ذلك تدعيم الاقتصاد التقليدى والحيلولة دون تحديثه ذلك أن الحفاظ على الطابع التقليدى للاقتصاد هو من مصلحة أطراف عديدة من بينها القوى الاستعمارية الخارجية والقوى الإقطاعية الوطنية الداخلية .

٢ـ ولا يمكن تفسير التحولات التى طرأت على دول أمريكا اللاتينية فى ضوء الظروف العالمية وحدها ذلك أن قادة هذه الدول قد لعبوا دورا مهما فى تدعيم المصالح الأجنبية وتحويل بلادهم إلى ذيل تابع للنظام العالمى الاحتكارى وخلال فترة قصيرة نسبيا بدأ الأجانب فى امتلاك مساحات ضخمة من الأراضى الزراعية الخصبة وإقامة مشروعات صناعية ترتبط بالسوق العالمية أكثر مما ترتبط بالسوق المحلية ,وما لبثت دول أمريكا اللاتينية أن أصبحت متكاملة شيئا فشيئا مع النظام الإمبريالى الذى مثلته

بريطانيا فى بادئ الأمر ثم الولايات المتحدة الأمريكية فى نهاية الأمر يضاف إلى ذلك حقيقة مهمة هى أن الاستغلال الاقتصادى لدول أمريكا اللاتينية قد ارتبط دوما بتدخل عسكرى مباشر.

٣. وبالفعل ففى عام ١٨٢٣ أرسى الرئيس الأمريكى جيمس مونروا المبدأ الذى عرف باسمه "مبدأ مونروا "والذى كان الإعلان الرسمى الذى أعلن فيه حلول الولايات المتحدة الأمريكية محل القوى الأوروبية فى سيطرتها على دول القارة اللاتينية حيث حذر فيه الدول الأوروبية من مغبة التدخل بأى شكل من الأشكال فى دول أمريكا اللاتينية ومع اطراد الإلحاق الكامل والتام لدول أمريكا اللاتينية تحت مظلة الهيمنة الكاملة للولايات المتحدة الأمريكية أعلن الرئيس الأمريكى ثيودور روزفلت عام ١٩٠٥ سياسة العصا الغليظة Policy of Big Stickوهى السياسة التى بررت حق الولايات المتحدة الأمريكية فى ممارسة دور الشرطى فى أمريكا اللاتينية وما يترتب على ذلك من مراقبة سلوكيات شعوبها .والتدخل بقواتها مباشرة فى أى منطقة لقمع أى تمرد أو إخلال بالنظام ..لقد تعاملت الولايات المتحدة الأمريكية مع دول أمريكا اللاتينية بمنطلق أنها من باقى ولاياتها .ولم تلبث أن نفذت الولايات المتحدة تلك السياسة عندما تدخلت بقواتها المسلحة فى بعض أقطار أمريكا الوسطى واحتلالها وفرض الرقابة المالية والإدارية على حكوماتها مثل كوبا ونيكاراجوا والدومنيكان وبنما وهايتى .واستتبع ذلك تدفق الاستثمارات الأمريكية على تلك الأقطار اللاتينية فى أمريكا الجنوبية والوسطى خلال النصف الأول من القرن العشرين للاستئثار بالموارد الأولية المتنوعة كالنحاس والنفط والحديد والمعادن الأخرى وكذلك المحاصيل والفواكه.

تنامت العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية ودول أمريكا اللاتينية بفعل نمو الوعى السياسى فى المجتمعات المتخلفة لامريكا اللاتينية وتأسست سياسة حسن الجوار عام ١٩٣٤ ثم معاهدة ريو عام ١٩٤٧ ثم أنشئت منظمة الدول الأمريكية OASعام ١٩٤٨ ورغم الاتفاق الاقليمى الذى نص على الأمن الجماعى فإن التناقضات بين مصالح الطرفين كانت تتعاظم على أن تغلغل الاستثمارات الأمريكية والنفوذ الرأسمالى فى أمريكا اللاتينية أدى إلى ارتباط اقتصاديات تلك الأقطار اللاتينية بالاقتصاد الأمريكى العملاق وإلى التبعية الاقتصادية الكاملة .

٤. لقد كان لهذه التبعية الاقتصادية الكاملة آثارها السلبية فى فشل الاستمرار فى عمليات التنمية المحلية الداخلية التى تواكبت مع مرحلة المد الوطنى الذى عاشته دول العالم الثالث عقب الحرب العالمية الثانية وتحديدا

مع بداية الخمسينيات .فلقد بدأت دول أمريكا اللاتينية فى هذه الفترة الدخول فى عملية التصنيع المحلى ولكنه افتقر إلى أى تكامل واعتمد بدرجة كبيرة على قدرة الدولة على استيراد المواد الخام والسلع الرأسمالية والتكنولوجية وتطلب هذا بالتالى اعتمادا ماليا ثقيلا نوعا ما على المصادر الخارجية وقد أحدثت هذه الأزمة انخفاضا شديدا فى احتياطى العملة الصعبة وبالتالى أدت إلى هبوط استيراد السلع اللازمة للقطاع الصناعى وهنا ظهر الاستثمار الأجنبى كمخرج من الأزمة ومع الانفتاح على الرأسمال الاجنبى من خلال الشركات متعددة الجنسية بدأت تتشكل عملية جديدة من النهب من خلال هياكل رأسمالية تابعة أرستها هذه الشركات أقصت الاحتياجات الشعبية وأوقفت مرحلة التصنيع المحلى وأقامت تركيبة اصطناعية من الهياكل الرأسمالية الجديدة، المنفذة للسياسات الاقتصادية الخاصة بالشركات المتعددة الجنسية، والهياكل الإقطاعية القديمة دون تحطيمها بحماية أنظمة عسكرية حكمت دول أمريكا اللاتينية منذ منتصف الخمسينات إن العسكريين ليسوا فى الحقيقة بل إنهم يعملون كامتداد لطبقات اجتماعية فإنهم يعملون كجماعة مصلحة Interest Groupوليس كطبقة .ومن هنا تصبح لهم علاقات وثيقة الصلة بالطبقات والقطاعات الاجتماعية المختلفة العليا فى الأغلب الأعم فالخدمة العسكرية فى الفترة السابقة على الاستقلال مقصورة على نخبة الكريول Creoleوهى النخبة الممثلة للقطاعات الارستقراطية العليا من المجتمع من كبار مالكى الأرض الزراعية والهيراركى الكنسى مما حتم عليهم أن يلعبوا دورا محافظا يخدم تلك القطاعات فى الحفاظ على الوضع القائم الذى يحقق مصالحهم مع فشل الحركات الوطنية المدنية التى بدأت تحكم ولمدة قصيرة بعد الحرب العالمية الثانية، لقد أهملت الجماهير العريضة من الفلاحين والعمال. وخصت بالتقدم فئة ضيقة من سكان المدن وقد انتهى الامر بذلك إلى أن تبلور فى أمريكا اللاتينية مجتمع ذو وجهين .من جهة المجتمع الرأسمالى فى المدن ومن جهة ثانية المجتمع الاقطاعى فى الريف وأخذت الأقلية الغنية تزداد غنى فى حين كانت الأغلبية تزداد فقرا حتى أصبح ٤٪ من سكان أمريكا اللاتينية يستحوذون على ٥٠٪ من الدخل القومى ويشترك ٦٩٪ من المواطنين فى الـ ٥٠٪ الأخرى ومع انخفاض معدلات النمو والزيادة الرهيبة فى الاقتراض من الخارج زادت حدة الصراعات والتوترات الاجتماعية والتى ساهمت إلى حد كبير فى أن تقبض الأنظمة العسكرية الحاكمة بيد من حديد باسم الأمن القومى وقد كان لكل ما سبق دوره لا شك فى حركة الكنيسة المحلية للعب دور أكثر حيوية فى واقع أمريكا

اللاتيني بداية من منتصف الستينات وهذا موضوع القسم الثانى من هذه الدراسة.

القسم الثانى: المسار التاريخى للحركة الدينية فى أمريكا اللاتينية

١ـ الكنيسة الكاثوليكية "الرسمية "فى أمريكا اللاتينية.

١ـ كانت الكنيسة الكاثوليكية جزءا من المشروع الكلى لغزو واستعمار شعوب القارة الجديدة وقد ساهمت الكنيسة بفاعلية فى فرض القانون الاستعمارى على المواطنين الأصليين للقارة اللاتينية ومن المعروف تاريخيا أن البابا الكسندروس السادس هو الذى قضى بتقسيم القارة الجديدة بين الأسبان والبرتغال ونشر الإيمان الكاثوليكى وقد استمرت الكنسية الكاثوليكية الرسمية «الفاتيكان» تلعب هذا الدور على مر العصور وذلك لطبيعة العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية الأوروبية وبين الطبقة الحاكمة فى أوروبا والتى مثلت نوعا من السلطة المزدوجة التى حكمت المستعمرات بطريقة محكمة وصارمة .

٢ـ وحتى عندما بدأت دول أمريكا اللاتينية مع بداية القرن التاسع عشر تتحرر من القوى الاستعمارية بفضل جهد النخب المحلية التى عملت على دعم حركة الاستقلال بإثارة النزعة الوطنية والقومية والتى يضاف إليها الرغبة فى حرية التجارة مباشرة إلى قلب القوة العالمية الجديدة فإن الكنيسة الكاثوليكية الرسمية وقفت إلى جانب التاج الملكى الأسبانى كما صدرت عدة مراسيم بابوية خلال الثلث الأول من القرن التاسع عشر تندد بالحركات الاستقلالية .الأكثر من ذلك أن الفاتيكان قد عقد مجمعه الأول (١٨٧٠ ـ ١٨٦٩) وذلك بهدف حماية سلطة الكنيسة وما تملكه من ثروات ضد الحركة الوطنية الوليدة فى دول أمريكا اللاتينية.

وقد عكس هذا الموقف أزمة مؤسسية حادة شككت فى مصداقية الكنيسة بالنسبة لاعضائها خاصة مع ارتباط الكنيسة الكاثوليكية الرسمية بالاحزاب المحافظة التى تحارب الحركة الوطنية مما ولد الصراع بين هؤلاء الوطنيين وبين العناصر الظلامية المتخلفة المحافظة وكان مطلب الحركة الوطنية آنذاك هو مصادرة الأراضى من الرتب الدينية الكاثوليكية خاصة وأن غالبيتهم كانوا من الأوروبيين ولم يدرك الفاتيكان الأوضاع الجديدة إلا مؤخرا .

٣ـ ومع سقوط دول أمريكا اللاتينية فى براثن الهيمنة الأمريكية التى حلت محل الاستعمار الأوروبى بدأت موجات الإرساليات التبشيرية الإنجيلية الأمريكية تفد على دول القارة اللاتينية حيث لعبت الدور الذى

لعبته الكنيسة الكاثوليكية الرسمية (الفاتيكان) عندما قدمت مع الاستعمار الأوروبى فى القرن الخامس عشر مع اختلاف بسيط هو أن هذه الإرساليات قدمت نفسها بشكل أكثر تحضرا وعملت على تقديم نموذج دينى لشعوب أمريكا اللاتينية الكاثوليكية يجمع بين الأصولية الدينية فكرا والحداثة أسلوبا وحقيقة الأمر أن هذه الإرساليات لم تكن سوى الوجه الدينى الذى حاولت به الولايات المتحدة الأمريكية منذ القرن التاسع عشر أن تحقق الهيمنة الدينية والثقافية على شعوب أمريكا، اللاتينية إلى جانب الهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية على أنه من المؤكد أن هذه الإرساليات البروتستانتية ظلت أقلية فى أمريكا للاتينية ذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية برغم أنها على المستوى الرسمى كانت تقف فى مواجهة التطور الاجتماعى والحركة الوطنية إلا أنه كان هناك دوما من داخل الكنيسة الكاثوليكية من يتخذ موقفا وطنيا ومسيحيا يبقى على استمرارية الكنيسة فى أمريكا اللاتينية ويقويها مثل حركة لاكاساس الدومينكانى فى القرن السادس عشر وحركة الكهنة الوطنيين المؤيدين للاستقلال فى القرن التاسع عشر .

٤- على أن الأمر الذى أجج من الأزمة المؤسسية للكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا اللاتينية فى القرن العشرين هو ذلك التحالف الذى نشأ بين الكنسية الرسمية فى دول أمريكا اللاتينية بدعم من الفاتيكان والطغمات العسكرية الحاكمة والنخب الاجتماعية حيث كان مجمل ممارسات هذا التحالف ضد مصالح الفقراء، الأغلبية من شعوب هذه الدول، وقد لعبت الكنيسة خلال هذه الثغرة دورا مهما كسلاح ايديولوجى ناجح فى يد السلطات القمعية وإن كانت فى الظاهر تلازم الحياد ولكنها فى الحقيقة كانت تبرر للسلطات الحاكمة ممارساتها من خلال نشر القيم السلبية وزرع روح الشعور بالذنب والخطيئة لدى الفئات الشعبية بحيث يصبح الظلم والاستبداد والاستغلال فى نظرها وكأنه عقاب عادل من السماء لخطيئة أزلية، لا أحد يعلم بالضبط متى وأين ارتكبت .

٥- ومع منتصف القرن العشرين بدأت أصوات من داخل الكنائس الكاثوليكية المحلية فى دول أمريكا اللاتينية تطرح سؤالا حول طبيعة الوجود الكنسى بين الناس والرسالة التى تتبناها الكنيسة نحوهم والتى تعالج بها قضاياهم وهمومهم الحياتية اليومية وبالأخص قضايا الفقراء وربما يعد لقاء أساقفة أمريكا اللاتينية الأول والذى عقد بريو دى جانيرو عام ١٩٥٥ مؤشرا مهما على بدء اهتمام الكنيسة بالمشاكل الاجتماعية للقارة .وفى تقديرى أن المد الوطنى الذى رافق هذه الفترة بالنسبة لدول

العالم الثالث عامة ودول قارة أمريكا اللاتينية خاصة قد ساهم بشكل كبير في إعادة ترتيب الأولويات التى تعنى بها الكنيسة .

٦ـ ويمكن اعتبار عام ١٩٦٠ نقطة تحول رئيسية فى موقف الكنائس المحلية فى دول أمريكا اللاتينية فمنذ هذا التاريخ هبت رياح تجديد عظيمة على هذه الكنائس حيث بدأت الجماهير بالاشتراك مع رجال الدين في الاهتمام بالبعد الاجتماعى فى الإرسالية الكنسية واستجابت بذلك إلى دعاوى التقدم والتحديث وقتذاك .وقد تكونت فى سبيل ذلك العديد من الحركات الشعبية مثل: حركة الطلبة المسيحيين، حركة العمال المسيحيين حركة الفلاحين المسيحيين، حركة التعليم الأساسى .

ولاشك أن الاهتمام بالبعد الاجتماعى فى الفكر الدينى من جانب وتكوين حركات شعبية من جانب آخر كان له عظيم الأثر على موقف الكنيسة الكاثوليكية الرسمية (الفاتيكان) فى الاستجابة للواقع الجديد حيث بادر البابا يوحنا الثالث والعشرون إلى عقد ما عرف بمجمع الفاتيكان الثانى فى الفترة من أكتوبر ١٩٦٢ وحتى ديسمبر ١٩٦٥ الذى جاء على عكس مجمع الفاتيكان الأول حيث قام بمراجعة نقدية ذاتية للكنيسة الكاثوليكية بهدف مسايرة العصر ومستجداته وقد أنتج هذا المجمع ست عشرة وثيقة مسكونية .وتركزت هذه الوثائق على إعادة تنظيم الكنيسة داخليا وعلى إعادة تحديد علاقتها بالإضافة إلى منافشة شتى القضايا مثل: العدالة الاجتماعية (الاعلام) التنمية ...الخ ومحاولة تقديم رؤية جديدة من منظور مسيحى حول هذه القضايا .

وكما كان مجمع الفاتيكان الثانى استجابة موضوعية للواقع الجديد فى دول أمريكا اللاتينية فإنه فى الوقت نفسه أعطى المشروعية للإرهاصات الفكرية المجتمعية التى خرج منها "لاهوت التحرير "فكرا وحركة وبالفعل عقدت لقاءات متعددة فى كثير من دول أمريكا اللاتينية مثل كوبا وكولومبيا والبرازيل في أثناء وبعد انعقاد مجمع الفاتيكان الثانى وصبت كل هذه اللقاءات فى النهاية فى مؤتمر "ميديللين "التاريخى بكولومبيا والذى عقد عام ١٩٦٨ وهو المعروف بالمؤتمر الثانى لأساقفة أمريكا اللاتينية والذى سوف نتناوله لاحقا .

٢ـ ميلاد حركة "لاهوت التحرير "

أـ الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى ولدت فيها حركة لاهوت التحرير.

١ـ هناك العديد من الظروف والعوامل التى ساهمت بصورة حاسمة

ومباشرة فى ميلاد "لاهوت التحرير "فى أمريكا اللاتينية يمكن إجمالها فى الأتى :

أولا :فشل نموذج التنمية الذى طرح فى مطلع الخمسينات (أشرنا إلى ذلك فى القسم الأول من هذه الدراسة).

ثانيا :تصاعد أعمال القهر السلطوى على الجماهير خاصة بعد انتشار أنظمة الحكم العسكرية خلال هذه الفترة والتى جاءت عقب نماذج التنمية الوطنية .

ثالثا :ميلاد مدرسة "نظرية التبعية "وهى تلك النظرية التى ولدت فى الخمسينات من هذا القرن وتحديدا فى أمريكا اللاتينية من خلال مؤلفات العديد من الاكاديميين والمهتمين باقتصاديات التنمية فى العالم الثالث مثل : "سلسوفرتادو "و "اوسفالدو سنكلى "و "دوس سانتوس "و "اندر فرانك "وآخرين والتى حاولوا من خلالها تفسير تخلف مجتمعات أمريكا اللاتينية فالتخلف والتنمية فى تصور مدرسة التبعية وجهان لعملة واحدة ولكنها تنمية لدى الغرب الرأسمالى المتقدم والتى وصفوها بدول المركز وتخلف فى دول العالم الثالث والتى من ضمنها دول أمريكا اللاتينية والتى وصفوها بدول المحيط أو الأطراف ولقد نتج هذا التخلف بسبب تبعية دول الأطراف المزمنة لدول المركز والتى مرت بثلاث مراحل لكل منها خصوصياتها وهى:

أ - التبعية الاستعمارية .

ب - التبعية المالية /الصناعية.

ج - التبعية التقنية /الصناعية .

وكلما كان البلد أكثر تخلفا كانت التبعية التى يعانيها أكثر التصاقا والفقر أشد وأفظع .فنمو المراكز الصناعية المتقدمة فى العالم فى الوقت الحاضر يعنى التخلف "المتزامن "لتلك البلدان التى يستغل الغرب فائضها الاقتصادى .

٣- كان لما سبق دوره الحاسم فى جعل الكثيرين يأبون هذا الواقع وكان سؤالهم المحورى:

كيف نكون مسيحيين فى واقع من العوز والحاجة والقهر؟

وبدأ الحديث حول لزومية أن تلعب الكنيسة دورا اجتماعيا باعتبار ذلك جوهر رسالتها الإنجيلية والذى يجب أن يتجاوز مرحلة الإحسان والمعونة إلى محاولة إحداث إصلاحات هيكلية فى الواقع للتغلب على الظلم والفقر والقهر.

(ب) متى تم استخدام تعبير لاهوت التحرير لأول مرة

١ـ يعتبر اللاهوتى جوستافو جوتييريز (من بيرو) هو أول من صك هذا التعبير تاريخيا وذلك من خلال محاضرتين القاهما عام ١٩٦٧ أولا فى مونتريال ثم ثانيا فى بيرو وكان يتحدث فيهما عن الفقر فى العالم الثالث والتحدى الذى يمثله فى تنمية استراتيجية رعوية تسعى نحو تحقيق الحرية من واقع قوة دافعة أسماها ":لاهوت التحرير " .

٢ـ وفى العام التالى دعى جوتييريز ليكون أحد المستشارين الذين شاركوا فى الإعداد الفكرى لمؤتمر ميديللين (مؤتمر أساقفة أمريكا اللاتينية الذي عقد فى أغسطس من عام ١٩٦٨ بكولومبيا) ويمكن رؤية جهد جوتييريز اللاهوتى والفكرى واضحا فى الوثيقة الخاصة بـ "الفقر "والتى قدمت فى المؤتمر وتضمنت أيضا تعبير لاهوت التحرير .

٣ـ وفى عام ١٩٦٩ طلب من جوتييريز أن يعد تقريرا عن "لاهوت التمية "وقد رأى جوتييريز أنه لا يمكن ذلك دون الحديث عن "لاهوت التحرير "الذى اعتبره نوعا من "لاهوت الخلاص "فى أوضاع تاريخية معينة غاية فى البؤس وفى نفس العام شارك بورقة فى أحد المؤتمرات اللاهوتية التى عقدت بسويسرا وكانت بعنوان " :نحو لاهوت التحرير ."

٤ـ ثم توالت المؤتمرات التى تبنت هذا المفهوم الجديد حيث عقد مؤتمران فى بوجوتا حول هذا الموضوع وذلك فى عامين متتاليين :فى مارس من عام ١٩٧٠ وفى يوليو من عام ١٩٧١ .وفى ديسمبر من عام ١٩٧١ أصدر جوستافو جوتييريز الكتاب الأم حول هذا الموضوع بعنوان «لاهوت التحرير»، و (سوف نتناول جانبا من محتوى هذا الكتاب لأهميته القصوى لاحقا) وهكذا فتح الباب كما يقول ليوناردو بوف

(كاهن فرنسيسكانى برازيلى) لتقديم لاهوت ينطلق من أمريكا اللاتينية أى من كنيسة الأطراف وليس من الكنيسة المركزية فى أوروبا .

ـ مؤتمر ميديللين ١٩٦٨ :إنها ساعة العمل تواؤما بإنجيل الفقراء لما لهذا المؤتمر من أهمية سوف نتوقف عنده قليلا ونحاول إلقاء الضوء على مضمون ما جاء فيه فلقد عقد مؤتمر ميديللين (المؤتمر الثانى لأساقفة أمريكا اللاتينية) فى أغسطس من عام ١٩٦٨ حيث التقى ما يقرب من ١٥٠ أسقفا من أساقفة أمريكا اللاتينية بمدينة ميديللين بكولومبيا وقد كان الهدف من هذا المؤتمر هو رؤية إمكانية جعل مقررات مجمع الفاتيكان الثانى موضع التنفيذ العملى فى ضوء واقع وظروف وخصوصية القارة اللاتينية .وتحضيرا لهذا المؤتمر أرسل منظمو المؤتمر «وثيقة تحضيرية» لكل

المشاركين تضمنت مسحا شاملا للظروف الاقتصادية والمعيشية والأوضاع الثقافية والسياسية وموقف الكنيسة من هذه الظروف والأوضاع وفى ضوء هذه الوثيقة انعقد المؤتمر وأصدر وثيقتين رئيسيتين فى ختام أعماله كان أهم ماخلصنا إليه:

١ـ يديللين :دعوة للتحرك الاجتماعى والمشاركة المجتمعية التزاما بـ «إنجيل الفقراء».

إن ما تضمنته الوثيقة التحضيرية لمؤتمر ميديللين يعد بحق نقلة نوعية فى مسار الحركة الدينية فى دول أمريكا اللاتينية ويعود الفضل فى ذلك إلى جهد ونضال الكنائس المحلية فى تلك الدول حيث استطاعت كسر الالتزام التقليدى المسكونى ـ تاريخيا ـ للكنيسة وجعلتها تتحرك نحو الناس والواقع .فلقد دعا المشاركون فى هذا المؤتمر الجماهير للاشتراك فى إحداث التحول الاجتماعى إنطلاقا من أن الكنيسة تلتزم ببشارة «الإنجيل للفقراء والمقهورين والمرذولين» على أن ينعكس هذا الالتزام من خلال الرعاية والعمل التربوى والاجتماعى والاقتراب الحقيقى من هموم الناس وتحرير الكنيسة من نفوذ أهل السلطة .

٢ـ إنها ساعة الفعل /العمل

تضمن جدول أعمال مؤتمر ميديللين ثلاثة موضوعات رئيسية هى كما يلى:

أ – ترقية الإنسان بإعادة التأكيد على العدالة والسلام .

ب– النمو فى الإيمان .

جـ– أفكار وملاحظات حول الكنيسة "المنظورة "وهياكلها .

وفى ضوء المناقشات التى دارت فى هذا اللقاء صدرت وثيقتان:

الأولى بعنوان " :العدالة . "

والثانية بعنوان " :السلام . "

جاء فى الأولى " :إنها ليست ساعة الكلام – إنها ساعة

الفعل /العمل "(العدالة ١ ٣) لقد فرضت الظروف المجتمعية فى دول أمريكا اللاتينية نفسها على المشاركين فى المؤتمر فى ضرورة التحرك الفعال والإيجابى الذى يعمل على تجاوز الواقع الأليم الذى تعيش فيه شعوب القارة اللاتينية .

وجاء فى الثانية: " إن الرؤية (المسكونية) للوضع أصبحت غير محتملة وخاصة إذا ابتغينا التوجه إلى المستقبل (السلام ٢ ٧).

كمـا هو مـعلوم تاريخـيـا ـ ووضـحناه من خـلال هذه الدراسـة ـ الموقف الثابت للكنيسة الكاثوليكية من الواقع الاجتماعى والذى يمكن وصفه فى أحسن الأحوال بالصمت تجاه ما يحدث لذا فإن أهم ما جاء به مؤتمر ميديللين والذى يعد بحق نقلة نوعية فى موقف الكنيسة هو قبول المشاركين فى المؤتمر بأهمية تشكيل رؤية حية تجاه الواقع ومايعتمل فيه .

٣ـ إثارة الوعى ـ التحرر ـ المشاركة

ثلاث كلمات، فاهيم أساسية تبناها مؤتمر ميديللين شكلت فى النهاية منهجا عمليا فى سبيل بناء المجتمع الجديد فبداية لابد من:

أولا: إثارة/ إيقاظ الوعى Concientization

إن إيقاظ وعى الجماهير يبدأ من إدراك أهمية التغيير وبدء جهد مشترك جماعى لخلق المجتمع الجديد بحيث تصير فيه الجماهير فاعلة بحق نحو بلوغ التحرر الكامل إن هذه العملية فى جعل الجماهير واعية سوف تدفعهم إلي أن يأخذوا على عاتقهم مسئولياتهم فى الحياة المدنية والسياسية مأخذ الجد .

ثانيا :التحرر Liberatipion

إن غالبية جماهير أمريكا اللاتينية تعانى من القهر وعليه لابد من مساعدتهم لتحرير أنفسهم " :إن شعوبنا ترغب فى الحرية والنمو فى الإنسانية ..إنهم ممتلئون رغبة وتشويقا للانعتاق الكامل والتحرر من العبودية كاملا، العبودية بكل أشكالها :الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تعوق التنمية ".. (العدالة ١ـ ٤ـ ٧).

ثالثا :المشاركة Participation

إن أى قيمة،من القيم النبيلة لا يمنكن أن تتحقق فى المجتمع الآمن خلال الفعل الديناميكى الناهض المنظلم للقطاعات الشعبية فى هذا المجتمع " فالبشر هم الفاعلون فى تاريخهم والصانعون له " (السلام ٢, ١٤أ)

شكلت المفاهيم الثلاثة السابقة " :إثارة الوعى .التحرر..المشاركة "التى طرحتها وثائق مؤتمر ميديللين مداخل أساسية نحو "بناء المجتمع الجديد " المتحرر من كل أشكال الظلم والقهر وقد كان واضحا أيضا انحياز المؤتمر بأفكاره انحيازا كاملا إلى "الفقراء "مما كان له عظيم الأثر فى أن يلقى شعبية كبيرة من الجماهير ولدت تداعيات كثيرة فيما بعد.

د ـ قراءة فى كتاب جوتييريز

فى ديسمبر من عام ١٩٧١ أصدر غرستافو جوتييريز كتاب "لاهوت

التحرير "والذى يعد باكورة الكتب والدراسات التى تبنت هذا الفكر فيما بعد ويعود الفضل إلى جوتييريز بالإضافة إلى كونه أول من صك مصطلح " لاهوت التحرير "فى أنه أول من قدم رؤية متكاملة للأفكار الأساسية لفكر لاهوت التحرير .

وفى نقاط مركزة يمكن استعراض الخطوط الرئيسية لهذا الكتاب المهم (٤ أجزاء رئيسية ضمنت ١٣ فصلا) وذلك كما يلى:

١. يؤكد جوتييريز منذ الصفحات الأولى للكتاب أن «اللاهوت» فى نظره ليس فقط حكمة ومعرفة عقلية مجردة بل هو تفكير فى ضوء الإيمان يتناول الممارسة التاريخية، الناس فى الواقع هؤلاء الناس الذين يكافحون ضد القهر والقمع والاستغلال والتبعية.

إن اللاهوت عند جوتيريز (وكما جاء فى الصفحة الخامسة) هو:

(تقييم مسيحى نقدى للواقع من زاوية الممارسة فى ضوء كلمة الله) إنه يحاول أن يجعل اللاهوت فاعلا فى حياة الناس تقتدي به الهياكل الاجتماعية والسياسية القائمة والتى تتعامل مع الفقراء بشكل قمعى واستغلالى .

٢. يقترب جوتييريز بعد ذلك من مفهوم "التنمية "ويستعرض تطور استخدام هذا المفهوم فى الأدبيات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ويقوم بنقد مفهوم التنمية الذى يقصر التنمية على النمو الاقتصادى فقط دون سواه ويؤكد أن التنمية عملية اجتماعية شاملة وهنا ينتقد جوتييريز التطبيقات العملية فى المجتمعات الفقيرة التى تقف عند حد التحديث الشكلى والإصلاح الاقتصادى المالى ولا تواجه الأسباب الجذرية للمشاكل التى تعوق إحداث التغيير الاجتماعى الحقيقى ويستفيد جوتييريز فى هذا الصدد من أفكار مدرسة التبعية ويقول إن الخلاص الحقيقى للإنسان والمجتمع يبدأ بالتحرر .

٣. إن التحرر عند جوتييريز له ثلاثة مستويات

أ ـ التحرر السياسى

وتنطلق بداية التحرر السياسى من ضرورة وعى ما أسماه "الوضع الخصامى "فى بلدان أمريكا اللاتينية ويقصد بـ "الوضع الخصامى : " وضع التناقض بين الشعوب والطبقات المقهورة وبين الأنظمة الحاكمة والطبقات المسيطرة فى بلدان أمريكا اللاتينية .

ب ـ التحرر عن الخطيئة

والخطيئة عند جوتيريز ليست فقط الخطيئة الفردية وإنما أيضا الخطيئة الجماعية فهو يصف وضع بلدان أمريكا اللاتينية بأنه "وضع خطيئة "فلقد شوهت "صورة الله "وهى الإنسان وأصابها الامتهان وتعانى الاضطهاد والاستغلال والتبعية والبؤس والعنف .

ج ـ التحرر التاريخى

إن حركة الإنسان الرئيسية إنما تكون فى التاريخ وعليه فإنه يجب أن يتحرر من كل ما يعوق حركته تاريخيا.

٤ـ إن المستويات السابقة للتحرر تشكل مكونات العملية التحررية التى تحقق الخلاص الحقيقى للإنسان والمجتمع ليس باعتبارها مراحل متوازية أو متزامنة أو متعاقبة ولكن باعتبارها عملية مركبة تحقق التحرر الشامل فى النهاية .

٥ـ إن الرسالة النبوية للكنيسة رسالة "بناء ونقد "فعلى الكنيسة أن تفضح كل ما يسلخ الإنسانية عن الإنسان أى كل ما يمنع الإنسان من أن يكون خالقا على صورة الله على أن جوتييريز يرى أن الكنيسة غير مستعدة بوضعها الحالى للقيام بهذه المهمة وذلك لارتباطها بمصالح الأغنياء والطبقات الحاكمة وبالسلطة والثروة وعليه لابد من ضرورة حضور الكنيسة بصورة جديدة فى واقع بلدان أمريكا اللاتينية حضورا ينحاز للفقراء والمقهورين.

٦ـ لقد أعاد جوتيريز قراءة كلمة الله وفهم الإيمان انطلاقا من الفقراء ولأنه أعطى أولوية للممارسة على الفكر مما دفعه إلى اختيار موضوعات كتابية ولاهوتية تدور فى مجملها حول قضايا الفقر والظلم والحرية فإننا نجد جوتيريز يعيد قراءة الكتاب المقدس فى ضوء الواقع فمثلا نجده يخصص الفصل الأخير من الكتاب للحديث عن الفقر "الفقر الروحى "و " الفقر المادى "ويصف الفقر حسب الكتاب المقدس بأنه "وضع فاضح " معاد للكرامة الإنسانية ومضاد لإرادة الله .

ويستفيض جوتييريز فى التعريف بأسباب الفقر المادى تاريخيا واقتصاديا ثم يستعين بنصوص كتابية من أسفار الكتاب المقدس التى توضح أسباب الفقر وذلك كما يلى:

ففى سفر أيوب الإصحاح ٢٤ يحدثنا عن ظلم الذين يمارسون القهر حيث يقول النص:

"ينقلون التخوم يغتصبون قطيعا ويرعونه يستاقون حمار اليتامى ويرتهفون ثور الأرملة يصدون الفقراء عن الطريق مساكين الأرض يختبئون

جميعا ها هم كالفراء فى الفقر يخرجون إلى عملهم يبكرون للطعام البادية لهم خبز لأولادهم فى الحقل يحصدون علفهم ويعللون كرم الشرير يبيتون عراة بلا لبس وليس لهم كسوة فى البرد يبتلون من مطر الجبال ولعدم الملجأ يعتنقون الصخر .

يخطفون اليتيم عن الثدى ومن المساكين يرتهنون عراة يذهبون بلا لبس وجائعين يحملون حزما يعتصرون الزيت داخل أسوارهم يدوسون المعاصر ويعطشون من الوجع أناس يئنون وفقر الجرحى تستغيث والله لا ينتبه إلى الظلم.

مع النور يقوم القاتل بقتل المسكين والفقير وفى الليل يكون كاللص .

-وفى سفر عاموس يقول إن الفقر لا يكون قدريا وإنما هو يتسبب نتيجة لأفعال هؤلاء الذين يدينهم النبى:

"هكذا قال الرب :من أجل ذنوب يهوذا الثلاثة والأربعين لا أرجع عنه لأنهم باعوا البار بالفضة والبائس لأجل فعلين الذين يتممون تراب الأرض على رؤوس المساكين ويصدون سبيل البائسين . "

ويؤكد ضرورة الالتزام والتضامن مع الفقراء وبالمنهج السابق نفسه يورد جوتييريز العديد من النصوص الكتابية التى يعيد تأويلها فى ضوء الواقع التاريخى - الاجتماعى الذى تعيشه أمريكا اللاتينية.

إن ما حاوله جوتيريز يمكن ايجازه فى عبارة واحدة: إنه أراد أن ينظر الناس إلى الواقع الاجتماعى نظرة نقدية فى ضوء الإيمان والمعطيات التاريخية والاجتماعية.

لقد أعطى جوتيريز أهمية قصوى للصراع الاجتماعى وأكد على أن المسيحية الحقيقة إنما توجد حسب الالتزام فى ضرورة إيجاد المجتمع العادل وليس حسب الفكر الكاثوليكى التقليدى الذى يضاد الصراع الطبقى باسم المحبة المسيحية والوحدة .

هـ - الفقر أصل كل الشرور

١- يمكن القول إن الفقر المدقع فى بلدان أمريكا اللاتينية هو المحرك الأساسى للتحرك الدينى - الاجتماعى بصفة عامة ولنشأة حركة لاهوت التحرير بصفة خاصة وذلك لما خلقه من واقع أليم ومأسوى وها هما القسان بوف (ليوناردو وكلودفيس) يؤكدان ما سبق من خلال القصتين الواقعيتين التاليتين افتتحا بهما مؤلفهما المشترك «تقديم لاهوت التحرير».

القصة الأولى:

"كانت هناك سيدة فى الأربعين من عمرها ولكنها تبدو فى السبعين توجهت يوما إلى الكاهن بعد القداس وقالت بأسى :أبى لقد حضرت القداس وتقدمت للتناول دون أن أعترف أولا.

فأجاب الكاهن كيف تفعلين ذلك

أجابته السيدة :أبى لقد وصلت متأخرة بعد أن بدأت صلاة التقدمة . فأنا ولمدة ٣ أيام لم أتناول أى طعام لأنى لم أجد ما آكله فأنا أتضور جوعا وعندما رأيتك تمسك بالتقدمة وبالخبز تقدمت للتناول من منطلق الجوع بكى الكاهن وتذكر كلمات الرب القائلة (من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية ..فمن يأكلنى فهو يحيا بى)... (يو ٦) 57 - 54 :

القصة الثانية:

"فى يوم من الأيام وفى إحدى المناطق القاحلة فى شمال شرق البرازيل والأكثر إصابة بالمجاعات فى العالم قابل كلودفيس بوف أحد الأساقفة عائدا إلى منزله فى حالة انهيار فسأله ماذا بك

فأجابه :لقد رأيت على التو مشهدا مروعا فأمام الكاتدرائية كانت توجد امرأة مع ثلاثة أولاد وطفل رضيع ملتصق برقبتها ووجدتهم فى حالة إعياء وأقرب إلى الإغماء من الجوع والطفل الوليد يكاد يكون ميتا .

فقلت للمرأة :أرضعيه لبنا .

فأجابته :لا أستطيع يا سيدى .

فألح عليها الأسقف .

فأجابته بالإجابة نفسها وبسبب إلحاحه كشفت المرأة عن صدرها وكان ينزف دما وقد رضع الطفل دما . "

٢ـ تعكس القصتان السابقتان الواقع الاجتماعى الأليم لامريكا اللاتينية هذا الواقع الذى أبى كثيرون أن يستمر وكان سؤالهم المحورى كيف نكون مسيحيين فى واقع من العوز والحاجة والقهر؟

لقد جاء لاهوت التحرير احتجاجا على هذا الواقع فهو محاولة لتحقيق الالتزام النبوى والأخوى للمعاناة المشتركة مع الفقراء والمقهورين وذلك بتحقيق التحرر لهم .فمن منا لا يشعر بالألم من جراء واقع اجتماعى يتسم بقهر سلطوي واستبعاد وتهميش واقع دينى بالتناقض والتعارض مع محبة الله.

إن حركة لاهوت التحرير قامت لأجل الفقراء وما لاهوت التحرير إلا

تفسير للإيمان المسيحى من خلال واقع الفقراء ولزومية تحررهم .

و - لاهوت التحرير :من فهم واقع المقهورين إلى المعاناة المشتركة معهم لتحقيق الحياة الأفضل

١ـ إن الإضافة الحقيقة التى أنجزها لاهوت التحرير عمليا هى عدم الاكتفاء بفهم واقع المقهورين بل المعاناة المشتركة معهم والعيش - حسب أدبيات لاهوت التحرير - التزام الإيمان عمليا أى المشاركة بصورة أو أخرى فى تحقيق التحرر الشامل لهؤلاء المقهورين .ولأنه بدون ذلك فإن لاهوت التحرير يصبح - ببساطة - كلمات نظرية إن ما نجح فيه لاهوت التحرير هو تحقيق العلاقة الديالكتيكية بين النظرية (الإيمان) وبين الممارسة (المحبة) من ناحية ومن ناحية أخرى توثيق العلاقة المنهجية بين الخطاب الكنسى حول الإيمان وبين المجتمع وقضاياه بغية إلغاء مجتمعات التمييز والإقفار .إن لاهوت التحرير أيا كان يبقى "غرغرة بالإنجيل "حسب ليوناردو بوف .إذا انعدمت الصلة بينه وبين حقائق البؤس .

٢. ولقد استطاعت حركة لاهوت التحرير بلوغ ما سبق من خلال آليات ثلاث متفاعلة هى كما يلى:

أ ـ التحليل الاجتماعى التاريخى .

ب ـ التأويل .

ج ـ لموقف العملى .

أولا :التحليل الاجتماعى التاريخى

نقطة البدء نحو تحقيق التحرر الشامل للمقهورين تبدأ من محاولة البحث عن الأسباب التى أدت إلى وجود فقر وقهر انطلاقا من السؤالين التاليين:

لماذا يوجد فقر وبالتالى فقراء؟

لماذا يوجد قهر وبالتالى مقهورين؟

وفى ضوء هذين السؤالين تبدأ رحلة البحث عن الإجابة ويرصد لاهوت التحرير فى بحثه لظاهرتى الفقر والقهر ثلاث إجابات كما يلى :

أ - الإجابة الأمبيريقية .

ب- الإجابة الوظيفية.

جـ- الإجابة الديالكتيكية.

أ - الإجابة الإمبيريقية.

هى تلك الإجابة التى تنظر للفقر باعتباره "رذيلة "وتنسب أسباب الفقر

إلى الكسل والجهل أو بسطحية إلى الشر الإنسانى وهذه المقاربة تعطى تفسيرا مختزلا وصناعيا لمشكلة الفقر فلا تنظر إلى المسألة بشكل كلى وكل ما فى الأمر أنه بسبب الزيادة المطردة للفقراء ينتج الفقر إذن مجرد تلبية احتياجاتهم يمكن أن تسهم فى حل المشكلة لأن الأمر كله لا يتعدى مجرد العوز الاجتماعى الذى يحل بالإعانة وبالصدقة. ومن الواضح أن الفقر هنا يعالج بمنطق العطف الرحمة.

ب- الإجابة الوظيفية

وهى تلك الإجابة التى تنظر للفقر باعتباره "تخلفا "حيث تنسب المشكلة للتخلف الاقتصادى والاجتماعى وعليه فإن الحل يكون من خلال إحداث إصلاحات اقتصادية مالية مع استحداث تكنولوجيات متقدمة ولا بأس من الاقتراض الخارجى وبهذا يختفى الفقر ويحدث التقدم .رغم أن هذه الإجابة أشمل من الأولى إلا أنها تعالج الفقر من الخارج دون التعمق فى جذور المشكلة بالإضافة إلى أن الفقر والفقراء يعالجون باعتبارهم " موضوعا سلبيا "فالآخرون هم الذين يأخذون القرارات والأفعال نيابة عنهم .

ج. الإجابة الديالكتيكية

وهى تلك الإجابة التى تنطلق من أن الفقر ليس مرحلة عابرة إنه نتاج لأوضاع اقتصادية اجتماعية وسياسية وهيكلية حيث يزداد الأغنياء غنى على حساب الفقراء الذين يزدادون فقرا فالفقر ما هو إلا نتاج للنظام الاقتصادى للمجتمع الذى يستغل "الكتل المسلوبة "و "المهمشة " ويستبعدهم من العملية الإنتاجية بل ويقهرهم أيضا إن المواجهة الحتمية التى تنتج عن هذه الإجابة تتجاوز الإعانة والصدقة والإصلاح والتحديث إلى التغيير الهيكلى فى بنية المجتمع لصالح المقهورين جميعا .

إن الإسهامة التى يقدمها التحليل الاجتماعى التاريخى بصف عامة للفقر وللإجابة الديالكتيكية بصفة خاصة فى تفسير ظاهرة الفقر فى أنها لا ترتكز فقط على الفقر فى وضعه الحاضر بل باعتباره ناتجا لعملية طويلة من النهب والتهميش الاجتماعى.

ثانيا :التأويل

بمجرد فهم الواقع الخاص بالمقهورين والفقراء فإن لاهوتيى التحرير يتساءلون :

ماذا يقول الرب عن هذا الوضع؟

وتبدأ الإجابة من خلال الكتاب المقدس بإعادة تفسير نصوصه والكلمات

الإلهية وتأويلها من وجهة نظر الفقراء بما يتناسب مع الواقع المعاصر آخذا فى الاعتبار الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والروحية .

إن التأويل هنا يسمى "تأويلا تحرريا "أى يعمل على اكتشاف وتمشيط "الطاقة التغييرية "للنصوص الكتابية بحيث توجه الإنسان للانعتاق من واقع القهر الذى يعيشه وإحداث التغيير الشامل لهذا الواقع .

إن القراءة التأويلية للكتاب المقدس تركز على السياق الاجتماعى للنص وتعبد ترجمته بما يتناسب مع السياق التاريخى المعاصر ولتقريب الفكرة نورد ما يلى :"

-فيما يتعلق بالسيد المسيح فإن التأويل التحررى يركز على السياق الاجتماعى للقهر الذى عاشه المسيح والسياق السياسى الذى أحاط بموته ثم الاقتراب من الواقع المعاصر بنفس المنطق حيث يرى سياق القهر المعيش الآن فى العالم الثالث واستشهاد جماهير كثيرة نتيجة هذا القهر .

ثالثا :الموقف العملى

فى ضوء التحليل الاجتماعى التاريخى والتأويل لابد من النزول إلى الواقع والعيش وسط المقهورين والمشاركة معهم فى وضع البرامج العملية بغية التغلب على القهر انطلاقا من الالتقاء بالمسيح الفقير وسط هؤلاء الفقراء والمقهورين وإيمانا بضرورة أن يتخذ كل إنسان مؤمن بالتحرر موقفا عمليا لإحداث التغيير انتشرت فى أمريكا اللاتينية ما سمى :بـ " الجماعات القاعدية . Basic Communites

إنها مجموعات بشرية تتكون من ٢٠ إلى ٣٠ شخصا يعيشون معا فى مناطق مختلفة من بلدان أمريكا اللاتينية حيث يتحدثون عن مشاكلهم التى يعانون منها ويتبادلون الأفكار والخبرات ويأكلون معا ويشجعون بعضهم بعضا على الحديث كل بكلماته وبأسلوبه ومصطلحاته بحيث يعبر كل عضو عما فى نفسه حسب اهتماماته وثقافته وأفكاره ويتطرق الحديث بالطبع إلى الأسباب العميقة للفقر والظلم واللامساواة والبؤس .

ومع مرور الوقت يتشكل ما يسمى بـ "الوعى الجمعى "للجماعة القادرة على "الفعل "وتتطور المسألة إلى تخطيط كل ما يعانون منه .وبذلك يحققون "المجتمع الجديد "فى نطاق الجماعة القاعدية أو ما وصفوه بعد ذلك بـ "كنيسة الشعب ."

إن المشاركين فى الجماعات يأتون من المناطق الريفية ومن حدود المدن الكبيرة إنهم المهمشون بصفة عامة الذين يعانون من ضعف الخدمات

والظلم الاجتماعى المتمثل فى الطرد من الأرض أو المساكن العشوائية وأيضا من الكوارث الطبيعية وتتيح لهم الجماعات القاعدية فرصة المشاركة الحقيقية التى افتقدوها فى المجتمع وأيضا يقومون بدراسة الكتاب المقدس فى حلقات نقاشية بنفس المنهج التأويلى الذى ذكرناه سابقا .فمثلا فى إحدى هذه الحلقات طلب من المشاركين تقديم تأويل لـ "سبعة التنانين " التى ذكرها سفر الرؤيا من خلال ورقة وزعت على المشاركين كذلك معنى الحمل الذى جاء فى نفس الموضوع فكتبوا التفاسير الآتية للتنانين:

- الشركات متعددة الجنسية .
- قانون الأمن القومى .
- القروض الأجنبية.
- الديكتاتورية العسكرية.
- أسماء شخصيات رسمية.

كتبوا تفسيرا للحمل:

- يسوع المسيح المحرر.
- جماهير الفقراء.

لقد انتشرت هذه الجماعات بصورة كبيرة فى بلدان أمريكا اللاتينية ففى البرازيل وحدها أكثر من ٧٥٠٠٠ جماعة قاعدية.

خاتمة

وبعدو إن ما حاولنا تقديمه فى هذه الدراسة هو بحث جدلية تأزم الواقع الاجتماعى لبلدان قارة أمريكا اللاتينية منذ الاكتشاف وحتى يومنا هذا والاستجابة الفاعلة للحركة الدينية لهذا الواقع الاجتماعى المأزوم لقد استطاعت الحركة الدينية أن تقوم بدور فاعل فى إحداث مصالحة تاريخية بين الجماهير العريضة بانتماءاتها المختلفة دون أن تطرح نفسها كبديل سياسى للأنظمة القائمة معتمدة فى ذلك على "الوعى "و "التحرر " لمواجهة واقع البؤس والفقر والقهر .

وفى ختام هذه الدراسة يمكن أن نرصد بإيجاز أهم الملامح التى تميزت بها تجربة لاهوت التحرير (على أمل أن نتمكن لاحقا من إتمام دراسة تفصيلية حول هذا الأمر فيما بعد) وذلك كما يلى:

ـ تكوين حركة شعبية فاعلة ليست جزئية أو فئوية ومجتمع مدنى قوى غير متصادم لمواجهة واقع الفقر والقهر.

ـ امتلاك قدرة تأويلية للنصوص الدينية تكون فى صالح الإنسان والجماعة لأجل المستقبل .

ـ لقد كان نبذ العنف أحد أهم المبادئ فى فكر الحركة الدينية فى أمريكا اللاتينية .

ـ انفتاح الحركة الدينية فى أمريكا اللاتينية على كل التيارات السياسية والاتجاهات الفكرية وتطعيم طروحاتها بجل ما جاء فى هذه التيارات والاتجاهات لصالح الإنسان والجماعة .

ـ القدرة على النظر إلى الواقع نظرة شاملة (ليست سطحية أو جزئية) تأخذ فى اعتبارها الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية.

ـ تحمل تبعات هذا الموقف رغم المحاولات التى بذلتها أطراف عديدة (الفاتيكان - الإدارة الأمريكية - الأنظمة العسكرية الحاكمة - الأساليب العالمية) لوأد هذه التجربة بشتى الوسائل مستخدمين كل الأسلحة المشروعة وغير المشروعة (ويمكن الرجوع لكتاب . (CRY OF THEPEOPLEلاشك أن هناك جوانب كثيرة فى تجربة لاهوت التحرير تحتاج إلى البحث والتأمل وما هذه الدراسة إلا محاولة متواضعة للاقتراب من هذه التجربة أتعشم أن نكون قد وقفنا فيها .

لاهوت التحرير

التاريخ والسياسة والهوية

د .يسرى مصطفى

أتصـور أن ثمـة انبـهـارا عـربيـا بواقع أمـريكا الـلاتينيـة سـواء تعلق الأمـرالرياضة أو الأدب أو الحـركات الاجتماعيـة .ولاشك أن لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينيـة كان أحد عناصر الانبهار ولكن وهنا أتحدث عن نفسى وعن عدد كبير ممن أعرفهم كنا نتطلع دائما لقراءة أى مادة باللغة العربية عن لاهوت التحرير ولم نجد إلا النذر اليسير .ومن هنا أعى تماما أهمية كتاب" لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية "للأب وليم سيدهم .وأضيف فإن طريقة المعالجة التى تضمنها الكتاب فتحت مجالا للتفاعل النظرى مع محتواه وهو الأمر الذى يجعل قيمته المعرفية متوازية مع قيمته المعلوماتية (١).

تعتبر هذه المداخلة هى محاولة لقراءة نظرية فى بعض جوانب كتاب " لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية . "فقد أثارت لدى قراء هذا الكتاب بعض النقاط التى آمل أن تكون موضوعية والتى ترتبط بعلاقة لاهوت التحرير بالتاريخ والسياسة والهوية .وفى الواقع أن سبب التركيز على هذه النقاط الثلاث هو استكشاف ماهية الوجود التاريخى للاهوت التحرير وعلاقة البعد الروحى بالموقف السياسى ثم علاقة لاهوت التحرير المسيحى بسياقات ثقافية أخرى .وربما يكون أحد الدوافع من وراء هذا هو الاقتراب أيضا من السؤال الذى يجرى طرحه على سبيل التمنى وهو :هل يمكن للاهوت التحرير أن يجد أرضا خصبة فى واقعنا العربى والإسلامى

ويمكن القول أن الكتاب لم يتعرض لهذه القضية لأنه كان معنيا بالأساس بنشأة وتطور ومضمون لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية أى داخل سياق مسيحى كاثوليكى بالأساس كما أن الكتاب تعرض للمشكلات التى واجهها لاهوت التحرير فى داخل المؤسسة الكنسية بالأساس فهو فى النهاية صراع داخلى .ولكن لاشك أن لاهوت التحرير قد واجه تحديات أخرى بالمعنى السياسى والطبقى من خارج المؤسسة الكنسية.

أما السؤال حول ما إذا كان ثمة امتداد للاهوت التحرير فى العالم

العربى والإسلامى فحسب علمى ليس هناك إجابة تؤكد هذا لأن القليل الذى كتب فى هذا الصدد يتعلق بمحاولة اسقاط مفهوم لاهوت التحرير على بعض التوجهات الإسلامية مثل نموذج على شريعتى الشيعى .أى محاولة مناقشة ما إذا كان الإسلام قادرا على إنتاج لاهوت تحرير مماثل لما أنتجته المسيحية فى أمريكا اللاتينية.

أولا :التاريخية

أن تكون الكنيسة فاعلا تاريخيا فهذه قضية ليست جديدة وأن تلعب الكنيسة دورا سياسيا فهذه أيضا ليست مسألة جديدة وأن تنحاز الكنيسة لمصالح طبقة ضد أخرى لا يمكن أن نقول أنه توجه جديد هل معنى هذا أن لاهوت التحرير لم يأت بجديد سوى أنه اتخذ نفس المسار ولكن ضمن انحيازات مختلفة هل أن لاهوت التحرير كسر حياد الكنيسة أم أنه كشف عن أن لا حياد وأن لا بديل عن الانحياز الأخلاقى لفئات المستضعفين؟

لاشك أن علاقة الدين بالتاريخ تحتل موقعا متميزا فى هذا الكتاب عن لاهوت التحرير أو بالأحرى فى خطاب لاهوت التحرير ذاته وأضرب مثالا على ذلك بما ورد فى استخلاص مضمون لقاء الأسكوريال أسبانيا (١٩٧٢) والذى جاء فيه: يرتدى هذا المشروع "أى لاهوت التحرير "طابعا نبويا ونقديا فإنه يعيد تفسير الحقائق الإيمانية انطلاقا من واقع الكنيسة التاريخى ويخضع فى الوقت نفسه لتفسير الإيمان .وهذه العلاقة الجدلية بين الإيمان والتاريخ تجعل من الحقيقة الإيمانية واقعا ديناميا يدفع الكنيسة إلى الأمام كما يجعل من التاريخ محكا واقعيا يمكننا من معرفة الدرجة التى وصل إليها تجسد هذا الإيمان. "كما تم أيضا استخلاص أن " التاريخ هو المكان الذى يولد فيه اللاهوت فى الأساس لأنه الإطار الذى يتجسد فيه حضور الله للبشر. " (ص ٥٣ – ٥٦)

ونجد بين دفتى الكتاب الكثير من العبارات التى تتعرض لعلاقة لاهوت التحرير بالتاريخ .وأود هنا أن أوضح أن تجسد الدين فى التاريخ ـ كما سبق أن أشرت ـ ليس مسألة جديدة فالدين دائما متجسد تاريخيا .وعندما أقصد الدين فلا أعنى النص الدينى بل أعنى تأثير وتأثر هذا النص بالواقع المعيش تاريخيا .ومن هنا فإن الجديد الذى يمكن أن يقدمه لاهوت التحرير فى هذا الصدد يمكن استكشافه على مستويين:

أولا :على مستوى علاقة لاهوت التحرير بالكنيسة فمن الواضح أن لاهوت التحرير على وعى تام بنمط التجسد التاريخى للمسيحية فى التاريخ أو بمعنى آخر فإنهم لم يفترضوا انفصالا ما بين الكنيسة والتاريخ

كل ما فى الأمر يتعلق بجوهر هذا التجسد التاريخى :ماهيته ولصالح من

ثانيا :تختلف هذه العلاقة عما عهدنا فى الجدل السائد حول علاقة الإسلام بالتاريخ .فقد جاءت هذه العلاقة الأخيرة فى إطار الجدل بين الثابت والمتغير وبالتالى فإنها مسألة نظرية بالأساس الهدف منها ربط النص الدينى بشروط تاريخية سواء فيما يتعلق بأسباب نزول القرآن

أو فيما يتعلق بالاجتهاد والتأويل .أما لاهوت التحرير فيطرح منطلقا مختلفا حيث تكون علاقة لاهوت التحرير علاقة تجسد وممارسة بهدف خلق دور تاريخى اجتماعى وربما سياسى للاهوت وبالتالى فإنها ليست مسألة جدل نظرى يتمحور حول النص بل جدل ممارسة يتمحور حول شروط الحياة الاجتماعية.

وقد شهدت الساحة العربية اسهامات للعديد من المفكرين ممن سعوا إلى وضع الإسلام ضمن سياقاته التاريخية سواء فيما يتعلق بتاريخية النص القرآنى أو بظواهر أخرى مثل التدين الشعبى .وقد جاءت هذه الإسهامات فى مواجهة الاتجاهات المحافظة التى تريد أن تنزع الدين من سياقه التاريخى .وهذا الجدل أصبح معروفا ومن ثم فلسنا فى حاجة هنا إلى الخوض فيه .ولكن الجدل المرتبط بلاهوت التحرير يبدو أنه لا يقارب فكرة أثر التاريخ على الدين بقدر ما يبغى مقاربة استجابة الدين لمقتضيات اللحظة التاريخية .وهذه مسألة مختلفة .

وبالتالى يمكن القول أن النموذج الإرشادى paradigm الذى يحكم الجدل الراهن حول علاقة الإسلام بالتاريخ يختلف عن ذلك الذى يحكم العلاقة بين لاهوت التحرير والتاريخ .فالأول ثقافى يتمحور حول الثابت والمتغير والثانى سياسى يتمحور حول الصراع الطبقى والظلم الاجتماعى .وهذا ليس معناه أن بعض الاتجاهات الإسلامية ليست معنية بالفقر والظلم الاجتماعى ولكن ما أعنيه أن هذا لا يمثل عاملا محركا لمنطق العلاقة بين الإسلام والتاريخ.

وانطلاقا من فكرة أن العامل السياسى مؤثر فى صياغة العلاقة بين لاهوت التحرير والتاريخ فلا يمكن تجاهل أثر الفكر الماركسى على لاهوت التحرير وهنا أتحدث عن الفكر الماركسى ليس كعقيدة فكرية وإنما كممارسة اجتماعية .وهو ما يعبر عنه الأب وليم سيدهم فى كتابه بوصفه أحد ثوابت لاهوت التحرير عندما يقول " :وأما الثابت الثانى فهو الاحتفاظ بمقولة "الممارسة (PRAXIS) "وهى إحدى المقولات الأساسية فى العلوم الاجتماعية الحديثة والمقصود بها تحديدا فى لاهوت التحرير فهم معنى

تطور العملية التاريخية من منظور المقهورين وتناول اللاهوت لا من منظور عقائدى تأملى بل من منطلق تراكم الخبرة العملية للقهر والتحرير فى الآن نفسه التى يقوم بها الإنسان المؤمن. "(ص١٢٤) وهذا ما سوف نوضحه أكثر فيما يتعلق بعلاقة لاهوت التحرير بالسياسية.

ثانيا: السياسة

وفقا لما سبق تشكل علاقة لاهوت التحرير والسياسة المحدد الرئيسى لعلاقته بالتاريخ .ولا أعرف بالضبط إذا ما كان التصنيف الذى يقدمه المؤلف لتيارات لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية له أثر على العلاقة البنيوية بين اللاهوت والسياسية أم أنه يتعلق بتوجهات فكرية تحمل ذات الأيديولوجيا السياسية .على أى حال فإن مفهوم الصراع الطبقى يعد مفهوما محوريا فى فكر لاهوت التحرير .

ورد فى الكتاب تحت عنوان الكنيسة وموقفها من الصراع الطبقى وأشكال الصراع الأخرى أن "التزام الحياد فى هذا الصراع غير ممكن . فالمسألة لا تطرح من زاوية قبول أو إنكار واقع يفرض نفسه علينا بل المطلوب هو معرفة الجهة التى تنحاز إليها الكنيسة :أهى جهة الظالم أم جهة المظلوم (ص ١٠١).

إن هذا فى واقع الأمر اختيار دنيوى سنده الرئيسى ليس النص الدينى بقدر ما هو ركيزة أخلاقية بأن هذا الاختيار لا يتعارض أو ينبغى ألا يتعارض مع الحقيقة الإيمانية .ويبدو أن لاهوت التحرير يحد دون اختيارهم أو انحيازهم لجانب المظلوم من وعى بأن الكنيسة ليست خارج السياسة أو التاريخ لأن الكنيسة مرتبطة بهذا الواقع ولكن بصورة سلبية وبالتالى فإن الصراع الطبقى فى الواقع يجب أن ينتقل إلى الكنيسة لأنه " :حينما تتجاهل الكنيسة الاعتراف بوجود هذا الصراع "أى الصراع الطبقى "فإنها تتصرف من الوجهة الموضوعية بصفتها جزءا من النظام الحاكم .ذلك لأن هذا النظام يسعى فعلا إلى الإبقاء على الصراع فى الوقت الذى ينكر وجوده .كما أن استمرار الصراع يؤمن للنظام استمرار الانقسامات الاجتماعية التى عليها ترتكز الامتيازات التى تتمتع بها الطبقات المسيطرة والمستفيدة من هذا الوضع (ص ١٠١).

إن لاهوت التحرير عندما يرسم دورا سياسيا للكنيسة فإنه أيضا لا يبتدع جوهرا جديدا للكنيسة فقط يسعى لتغيير خياراتها السياسة والطبقية ويكشف عن أن اللاسياسية ما هى إلا سياسة ومنحازة أيضا .فالهدف السياسى واضح هو بناء منظومة من القيم البديلة فى المجتمع وليس الدولة.

وحتى نقترب أكثر من مفهوم الممارسة السياسية عند لاهوت التحرير فى اعتقادى أنه من الضرورة استدعاء أفكار المفكر الماركسى أنطونيو جرامشى بشأن الهيمنة والأيديولوجيا والتى لا أعرف إذا ما كانت ذات أثر فى فكر لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية. ولكن المؤكد أننا أمام رؤية تطبيقية لأفكار جرامشى .فالكنيسة من منظور لاهوت التحرير هى إحدي أدوات الهيمنة الأيديولوجية للطبقة الحاكمة ليس لأنها منخرطة مباشرة فى حلبة السياسة ولكن لأن وظيفتها فى إضفاء الشرعية على العلاقات السائدة تتطلب هذا الحياد .وهذه بالضبط فكرة الهيمنة التى حدثنا عنها جرامشى موضحا دور ما يسمى بمؤسسات المجتمع المدنى فى تنظيم عملية تشكيل الوعى بحيث يتقبل البشر الواقع عن رضاء وطواعية أحيانا .وهو ما يتضح هنا بجلاء فى النص التالى " :إن الحماية التى تتلقاها الكنيسة من الطبقة الاجتماعية المستفيدة من الوضع القائم تتلقاها بصفتها مدافعة عن المجتمع الرأسمالى المسيطر فى أمريكا اللاتينية .وهذا ما يجعل الكنيسة الرسمية نفسها جزءا من عناصر الأيديولوجية المسيطرة .كما أن المقولة السائدة التى ترددها الكنيسة عن موقفها وهى أنها "لا دخل لها فى السياسة "ليست إلا شعارا هدفه تغطية الأمور والحفاظ على سياسة الأمر الواقع. " ..(ص ٨٩).

وبلغة أخرى أكثر حداثة بالمعنى الزمنى فإن الكاتب يعبر صراحة عن الثنائية التي نعرف أن جذورها تعود إلى المفكر الماركسى أنطونيو جرامشى وأعنى بذلك ثنائية "المجتمع السياسى /المجتمع المدنى . "فتحت عنوان من التركيز على المجتمع السياسى إلى التركيز المدنى يقول صاحب الكتاب" : ليس المقصود بهذا التحول عدم الاهتمام بالمجتمع السياسى فسلطة الدولة فى النظام العالمى الجديد ستظل دائما مهمة وحاسمة فى تنمية " المجتمع المدنى "فى مجال التخطيط الاقتصادى خاصة كما فى مجال حماية الطبيعة .ولكن المقصود أن يركز لاهوت التحرير ممارسته التحريرية على " المجتمع المدنى "من زاوية الحركات الأهلية الشعبية فتأخذ هذه الممارسة التحريرية على عاتقها مهمة تجديد المجتمع انطلاقا من هذه المنظمات والهيئات الشعبية فتقوم بإعادة تنظيم العمل وأسلوب الانتاج والتسويق وتكييف التكنولوجيا وتلبية الحاجات الصحية والتعليمية والسهر على حل مشاكل المسكن والترفيه " ..(ص١٢٨).

قد نتفق أو نختلف مع هذه الرؤية التى يقدمها لنا الأب وليم عن لاهوت التحرير ولكن من الناحية النظرية فإنها تحيلنا إلى مفهوم

«المجتمع المدنى» كفضاء للممارسة السياسية ولكن بأساليب أخرى .كما

أن مجموع المطالب النوعية التى يطرحها الكاتب باعتبارها مهما تتحقق من خلال النضال داخل المجتمع المدنى فهى أيضا تؤكد رغبة لاهوت التحرير فى الانتماء إلى الحركات الاجتماعية مستبعدا نموذج الممارسة السياسية على الطريقة الحزبية التقليدية.

يختلف هذا النمط من الحركات الدينية بلا شك عن طروحات الحركات الإسلامية المعاصرة والتى تستهدف الدولة بالأساس.وقد يقول البعض أن هذه الحركات الإسلامية استطاع بعضها العمل من خلال مؤسسات المجتمع المدنى (النقابات المهنية على وجه التحديد) ولذا فقد وصفها آخرون بأنها حركات اجتماعية .فى اعتقادى علينا أن نتريث قبل أن نسلم بهذه الأمور فالخطاب السياسى السائد للحركات الإسلامية هو أقرب للخطاب الحزبى هذا فيما يتعلق بتلك الحركات التى لا تستخدم طريق العنف .أما الحركات المسلحة التى نشطت فى الثمانينات والتسعينات فقد كانت بشكل صريح تستهدف الدولة وليس بهدف مصلحة الفقراء أو حتى أية فئة اجتماعية ولكن لهدف وحيد وهو بناء سلطة إسلامية.

ولذا أتصور أن الاختلاف بين النموذجين يتعلق بالنموذج الإرشادى الذى سبق أن تحدثت عنه .فثمة فرق بين نموذج يربط السياسة بالثقافة وآخر يربط السياسية بالواقع الطبقى والاجتماعى.

ثالثا: الهوية

إن التمحور حول قضايا الظلم الاجتماعى والصراع الطبقى هو الذى أعطى لاهوت التحرير هذه الدرجة من التميز بين الحركات الدينية .فمنطق بناء هوية الجماعة هو أحد الأسس التى تحدد رؤية هذه الجماعة للعالم أى إذا ما كانت رؤية أسطورية أم واقعية .وتمثل هذه القضية بعدا مهما فى التمييز بين ما إذا كانت الحركة الاجتماعية ذات أبعاد اجتماعية أم لا .فلا يكفى أن تتبنى الحركة خطابا يعادى الإمبريالية أو يدعو إلى مناصرة الفقراء لأن منطقه الذى يبتعد عن التجسد فى الواقع والتاريخ يجعله عرضة للانتكاس من الداخل .وأعتقد أن تجربتنا مع العديد من الاتجاهات الفكرية الإسلامية تؤكد ذلك .

ويتضح من كتاب الأب وليم سيدهم أن لاهوت التحرير شأنه شأن كافة "الحركات الاجتماعية أو الدينية "هو عملية بناء هوية

أو بالأخرى عملية بناء هوية داخل هوية أى بناء هوية اجتماعية سياسية داخل الهوية المسيحية الدينية .ويبدو أن هذا هو السبب الرئيسى وهو الموقف الصراعى داخل الكنيسة .ويشكل مبدأ الأخوة هو ركيزة الهوية

الساعية إلى ربط الإيمان بالإنعتاق الطبقى أو جعل الإيمان المسيحى مشروطا بالنضال من أجل خلاص الفقراء.

إذن يمكن القول إن مبدأ الأخوة له بعدان أساسيان الأول روحى والثانى اجتماعي سياسى .أما الجانب الروحى فهو مسلم به ولم يكن موضع تساؤل بسبب السياق العام الذى نشأ فيه لاهوت التحرير فى المجتمع المسيحى فى أمريكا اللاتينية. أما ما كان موضع جدل فهو الجانب الثانى أى الاجتماعى السياسى فهذا النمط من الهوية اصطدم داخل الكنيسة بالنمط السائد للهوية الأم (أى الهوية الروحية بمنطقها السائد داخل الكنيسة) كما اصطدم على مستوى الواقع بالمواقف السياسية النقيضة.

ويتضح فى الكتاب أن الأخوة أو الهوية الاجتماعية السياسية تسعى إلى تجاوز البعد الدينى لتصبح حسب الوصف الوارد أخوة "إنسانية "يكون فيها البعد الاجتماعى السياسى سابقا على البعد الروحى بحكم تاريخية اللحظة واحتياجات البشر فيقول الكاتب " :إن بناء الأخوة يتطلب من الكنيسة فى أمريكا اللاتينية أن تنطلق مما تملكه من إمكانيات روحية ومادية لتقوم بدورها النبوى فى "التنديد "بكل المواقف اللاإنسانية التى تدمر الأخوة الإنسانية "..(ص٩٣).

ويقول الكاتب فى موضع آخر " :إن الأخوة الإنسانية المبينة على كوننا كلنا أبناء الله تتحقق فى الصيرورة التاريخية .وهذا التاريخ يظهر لنا اليوم وله خصائص أزموية تحول دون بنيان هذه الأخوة .فانقسام البشر إلى طغاة ومسحوقين هو مشكلة من المشكلات العويصة التى نواجهها الآن ..فهناك أصحاب وسائل الانتاج وهناك آخرون وهم المقهورون والمسلوبون من ثمرة أعمالهم .أى أن هناك طبقات متصارعة المصالح ..فكيف تعيش إذن القيم الإنجيلية فى مثل هذه الظروف كيف يمكن مصالحة العالمين علما بأن التوجه الغالب هو لصالح طبقة اجتماعية معينة .إن الوحدة بين البشر مطلب كنسى مهم ولكن الصراع الطبقى يفرق بين هؤلاء البشر (٩٧).

وفى الواقع أن بناء الهوية بمثل هذه الصورة الطبقية أدخل على ما يبدو التيارات الاجتماعية السياسية من لاهوت التحرير فى مأزق ولا أعنى بذلك بسبب الصراع داخل الكنيسة ولكن ما أعنيه هو المأزق التاريخى الذى واجهته الأيديولوجيات التى قامت على اساس الصراع الطبقى دينية كانت أم علمانية .فمع انيهار الاتحاد السوفيتى برز على السطح الوعى بأن العالم أكثر تعقيدا مما نتصور بل إن الصراع الطبقى ذاته أكثر تعقيدا مما نتصور.

ولم يغفل الكتاب الذى بين أيدينا مثل هذا النقد فقد ورد على عجالة وجاء فيه أن أحد أوجه النقد التى وجهت إلى لاهوت التحرير هو "عدم الدقة فى التحليل الاجتماعى الاقتصادى لتاريخ أمريكا اللاتينية وحصر هذا التحليل وبطريقة سطحية فى التناقض الجذرى بين الاشتراكية والرأسمالية ."ويضيف "نلاحظ أن استخدام "أدوات التحليل الماركسى " كان استخداما يخلو من النظرة النقدية لهذه الأدوات . "أما من الناحية العملية فيقول .. "من غير المقبول أن يعمم مبدأ الصراع الطبقى ومبدأ استخدام العنف وأن يفسر الكتاب المقدس تفسيرا ماديا فقط ".

(ص١١٧ - ١١٨)

يمكن القول بأن العناصر التى تضمنها هذا النقد ووصفها الكاتب بأنها أخطاء هى فى حقيقة الأمر ليست من قبيل الأخطاء لأنها جاءت ضمن سياق تاريخى تجرى مراجعته الآن خاصة بعد انهيار المنظومة الاشتراكية . ومع ذلك يبدو أن هناك ضرورة أيضا لأن نسأل أنفسنا :كيف وبأى منطق سنراجع ما اعتبرناه من قبيل الخطأ أو الانحراف

إن إحدي الاستجابات السريعة التى تضمنها الكتاب حول هذه المراجعة قد تثير جدلا أكثر مما تضيء طريقا لأنها قد لا تشكل إعادة تنظيم إشكاليات الجانب السياسى الاجتماعى داخل لاهوت التحرير وفقا لمتغيرات الواقع وبالتالى فإنها لا تعدو أن تكون مجرد مصالحة بين الهويتين المتنازعتين داخل لاهوت التحرير :الهوية الإيمانية والهوية السياسية فقد كانت الاستجابة كالآتى " :وهذه الأخطاء وقد يضاف إليها بعض الأخطاء الأخرى التي يمكن تفاديها لكن المهم فى النهاية أن نلجأ إلى الاعتدال فى المواقف الشخصية وتوجيه النقد .كما يجب الرجوع دوما إلى ما يشكل مركز إيماننا والشروع فى تعاون خلاق بين اللاهوتيين والسلطات الكنيسة .ذلك لكى يجد لاهوت التحرير وحدته فيصبح تيارا خلاقا يحترم التعددية وواقع الإنسان . " (ص١٨٨).

لا أدرى إذا ما كان "مركز الإيمان "و "وحدة اللاهوت "هما السبيل لاحترام التعددية ولكن القضية تبدو إشكالية بصورة أكبر إذا ما انتقلنا بطموحات لاهوت التحرير إلى المنطقة العربية فكما سبق أن قلت أن الجانب الروحى أو الإيمانى فى "الأخوة "لم يكن موضع جدل أو صراع كبير داخل أمريكا اللاتينية ولكن فى حقيقة الأمر أن هذا الجانب على وجه التحديد هو الذى سيشكل عقبة أمام انتشار لاهوت تحرير داخل المنطقة العربية ليس فقط فى مواجهة الهويات الإسلامية وإنما المسيحية الشرقية واليهودية أيضا .

خاصة أن خطاب لاهوت التحرير عندما يتحدث بعفوية وهذا ما يتردد فى الكتاب عن الفقراء أو الإنسانية أو غيرها فإنه معنى صراحة أو ضمنا بمن هم داخل الهوية الأم أى المسيحية .وهذا فى حد ذاته مشروع سواء داخل أمريكا اللاتينية أو خارجها .ولكن السؤال أن مثل هذا الوضع قد لا يكون مصدر تحديات فى مجتمع مسيحى فهل سيكون كذلك دوما؟ لقد أهملت الماركسية التى تأثر بها لاهوت التحرير خطورة التناقضات الثقافية فهل سيمكن لحركة تنطلق من أرضية دينية قادرة على أن تلعب دورا فى حل التناقضات الثقافية فى اعتقادى أن هذا الأمر قد يكون مستحيلا إلا فى حالة واحدة أن يكون السياق الثقافى والسياسى الأوسع الذى يتواجد فيه لاهوت التحرير أو غيره من الحركات الاجتماعية أو الدينية قادرا على احتواء الهويات الدينية والثقافية وتنظيمها .وللأسف فهذه قضية تحتاج إلى جهد ضخم للبناء.

لاهوت الحياة

يقول الكاتب فى الفصل الخامس من الكتاب تحت عنوان "المتغيرات الدولية ومستقبل لاهوت التحرير" : "يرى دعاة لاهوت التحرير أن الانحياز إلى جانب الفقراء فى هذه اللحظة التاريخية يعنى الانحياز إلى طاقة الحياة الكامنة فيهم ويتحول هذا اللاهوت من "لاهوت التحرير "إلى " لاهوت الحياة . "والمقصود هنا هو الدفاع عن الحياة من أجل الجميع لا من أجل بعضهم والحياة لكل العالم لا لفئة على حساب فئة أخرى .فيفترض هذا الاختيار الجيد القديم إبداع ثقافة جديدة وأخلاقيات جديدة ورحانية جديدة وبالتالى لاهوت جديد يقف فى وجه توجه الرأسمالية الحالية الجديد . "(ص١٢٦).

وهكذا فإن الانتقال من لاهوت التحرير إلى لاهوت الحياة هو انتقال فى التاريخ والممارسة السياسية.

من الواضح أن مثل هذه الرؤية تسعى لتواكب المتغيرات التى شهدتها الساحة الدولية فيما يتعلق بالقضايا والقوى المفترض أن تكون فاعلة فى عمليات التغيير .فيبدو أنه ثمة قبول بالتنازل عن مفهوم الصراع الطبقى القديم بدون التنازل عن فكرة الدفاع عن مصالح الفقراء .وهذا فى الواقع لا يخص لاهوت التحرير بمفرده لأن مثل هذه المراجعات شملت العديد من الحركات اليسارية التقليدية .بل ويمكن القول بأن أنصار هذه الحركات تركوها وانخرطوا فى حركات اجتماعية نوعية تدافع عن قضايا محددة نعرفها جميعا مثل البيئة وحقوق الإنسان والمرأة والأقليات... الخ، ولعل

مجموع هذه الحركات يشكل حركة كونية راديكالية تلك المعروفة بمناهضة العولمة .وقد استجمعت هذه الحركات قواها فى مواجهة النزوع العسكرى للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها .

أتصور أن هذا هو السياق الذى يمكن أن ينشط فيه لاهوت التحرير ويتواصل مع الحركات الاجتماعية الأخرى .بمعنى آخر بقدر ما تنشط هذه الحركات فى منطقة ما ـ لتكن المنطقة العربية مثلا ـ فإنها ستوفر سبل الوجود للاهوت التحرير وتجنبه صدام الهويات الدينية .وبالتالى فإن أحد التحديات التى يجب أن يضعها لاهوت التحرير فى المنطقة هو المساهمة فى حث وتشجيع مثل هذه الحركات.

وأخيرا أقول إن بزوغ لاهوت فى المنطقة العربية سيظل مشروطا ليس بالأسباب التى ينبغى أن ينشأ من أجلها فقط وأعنى تزايد حدة الفقر وانتهاك الحق فى الحياة ولكن أيضا بتوافر مناخ ايجابى يهتم فيه الفاعلون بالقضايا الاجتماعية عوضا عن إنتاج وإعادة انتاج التناحرات الثقافية .

هوامش

١ـ قراءة فى كتاب "لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية :نشأته تطوره مضمونه "للأب وليم سيدهم دار المشرق بيروت ١٩٩٣،

لاهوت التحرير والماركسية

د .أنور مغيث

نقول للطلاب اضطرارا إن القديس توما الاكويني هو من قال "على الشعب ألا يقود وأن يكتفى بالصلاة "وكنا نذكرها على لسان الفقهاء الرجعيين على اعتبار أن ذلك أيضا موجود بالمسيحية أى وجود لاهوتيين يطالبون بعدم الثورة والاكتفاء بالدعاء .وعلى هذا الأساس اتهم عصر التنوير الكنيسة بمساندة الرجعية واتهامها المناضلين الاشتراكيين بمساندة الرأسمالية ومن الصعب أن نأخذ بشكل عام أنها أيدت ذلك ولو أخذنا على سبيل المثال الفترة اللى عاصرتها أوروبا بين الحربين مع ظهور الفاشية، احتلال النازى لفرنسا، كان الموقف تدعيم الكنيسة وثم أثناء الحرب الأهلية الأسبانية بدأ فى تشجيع لفرانكو وبدأ المثقفون الكاثوليك وليس رجال الدين يوجهون انتقادات بالكفر والرجعية فى أسبانيا ومع الاحتلال النازى مارتيان هاجر لأمريكا والمؤيدون للمسيحية التقليدية اعترضوا على هذه الممارسات، وجاك ريتان سمح بصياغة لاهوت جديد يسمح بالعودة للسياسة لأن مع عصر التنوير كانت مهمة الكنيسة أن تسمح للناس بدخول الجنة بعد موتهم وللدولة شئون الحياة ولأن الدولة لا تضمن للناس دخول الجنة فليس لها أن تكره الناس على الصلاة هكذا أصبحت الكنيسة دورها يقتصر على ما هو بعد الموت لكن مع "جاك مارتيان "فى استقلالية تسمح للكنيسة بأن تتعامل مع المجال الزمنى لكن لاهوت التحرير نفسه فى أمريكا اللاتينية حركة اجتماعية سبقتها حركات مثل الشبيبة الكاثوليكية فى أمريكا اللاتينية.

وهناك كلمة لأحد القديسين يقول فيها «ظللت وقتا طويلا أدعو الناس لمساعدة الفقراء فكانوا يصفوننى قديسا .وعندما طرحت سؤال لماذا يوجد كل هذا الفقر أصبحوا يعاملوننى على أننى شيوعى»، العلاقة بالماركسية تبدأ عندما يبدأ رجل الدين فى البحث عن الأسباب.

من الصعب أن نقدم نظرة شاملة عن علاقة لاهوت التحرير بالماركسية

لكن لو أخذنا مثلا فى كتاب لاهوت التحرير باعتباره نص أساس لإيضاح الخلفية الفكرية للاهوت التحرير يقول «إن لاهوت التحرير ليس فكرة لتبرير موقف متخذ سلفا ولكنه يرى استجابة للتحدى المطروح أمام الكنيسة .وعلى الكنيسة أن توفق بين حب الله للجميع.. الطابع اليونفرسال العام» وفكرة أفضلية الفقراء .ومسألة الجمع بينهم وجدت فى فكر ماركس أن البروليتاريا عندما تحرر نفسها فهى تحرر البرجوازية فى نفس الوقت. وهنا روح إنجيلية عندما يجعل جوتيريز الوحى يتحقق فى التاريخ إله الحياة فهو ليس إلها مجردا متعاليا موجودا فى السماء ولكنه مسيرة للتاريخ تتحقق من خلال فعل الناس.

فيما يتعلق برجوعه للنظرية الماركسية فهو يرد على "فيورباخ "فى كتابه المشهور (جوهر المسيحية) الذى يصف فيه الدين "هو اغتراب "وإن الإنسان أسقط كل مكانة على كائن هو الله وإن الدين يفرق والحب يجمع يرد عليه بأن ماركس نفسه قال إنه عندما كان ماديا لم يكن تاريخيا وعندما كان تاريخيا لم يكن ماديا.

ماركس هو الذى يطرح على الفكرة الإمكانية للتحقق .من خلال فكرة الأمل الذى يحدث فى المستقبل .عند جابريل مارسيل مثلا يرى "يجتوريز "أنه أمل فردى لكن الأمل ند "إبرستيك بلوك "هو خبرة تاريخية واجتماعية .لاهوت الأمل هو الرد على لاهوت موت الإله النابع من فلسفة "فيرورباخ . "وللظرف الخاص بأمريكا اللاتينية يهتم جيتوريز بنظرية التبعية خاصة عند كثير من المفكرين الماركسيين اللاتين وفى النهاية يرى أن على رجل الدين أن يكون متثقفا عضويا على طريقة "جرامشى "هنا نلاحظ أن "جيتوريز "جمع بين الماركسية ولاهوت التحرير من خلال بعض المحاور.

"جيتوريز "ركز علي أن كون هناك اختيارات أخلاقية تجعل هناك يوتوبيا للمستقبل وهنا يتفق مع ماركس في أن يكون هناك مجتمع عادل يتجاوز المجتمع الموجود.

الماركسية التى يرجع إليها مفكرو لاهوت التحرير ضد الماركسية السوفيتية حيث يحولوا مبدأ ماركس بأن البروليتاريا تحرر نفسها بنفسها " على ما هو أشمل إلى "الفقراء يحررون أنفسهم بأنفسهم "أى أن الفقراء هنا ليسوا موضوعا للعطف .ولكنهم يدفعون الفقراء لكى يحرروا أنفسهم بأنفسهم.

المحور الثانى: الذى جمعوا فيه بين الماركسية ولاهوت التحرير هو نضال

الكتاب المقدس ضد الأصنام وضمنية السلع، يتهم ماركس الرأسمالية بأنها نظام غير عقلانى يحول السلع لصنم يعبده الناس .ويتطابق مع ذلك المجازات اللاهوتية عند كارل ماركس حينما يصف البورصة أنها معبد بعل .ويصف النقود بأنها الإله الأصفر والأمر وصل لمراجعة موقف الكنيسة من الإلحاد، والمعروف أن ماركس ملحد لكن ليس هذا مبررا لأن تعاديه الكنيسة لان التصور القديم للإلحاد مسألة ـ من وجهة نظر لاهوت التحرير ـ يجب أن تتغير لأن الإلحاد ليس رفض الوجود الإنطولوجى ولكن رفض الرأسمالية دين زائف، وبالتالى هنا هذا النقد اللاهوتى يتم باسم الدين لكنه يهدف للقضاء على الرأسمالية بهدف تطويع المسيحية لكى تصبح لاهوتا للسوق.

ومن هنا العلاقة بين الماركسية ولاهوت التحرير علاقة جدل ولكن السؤال ماذا بعد انهيار المعسكر الاشتراكى، ما هو موقف لاهوت التحرير من الماركسية الآن؟ لو رجعنا إلى كتابات «يجتوريز» فى المقدمة الثانية اللى كتبها سنة ١٩٨٨ سنجد المسألة تجاوزت الصراع الطبقى ويطالب بمطالب جديدة مثل حقوق الأقليات العرقية والثقافية .وأحد مفكرى لاهوت التحرير وهو سونج من أصل كورى .عن كتاب عبادة رأس المال وموت الفقراء فى كتاب آخر صدر سنة ١٩٩٥ .

تعليم المقهورات كأداة لتحرير النساء

فريدة النقاش

اخترت موضوع تعليم المقهورين كأداة لتحرير النساء لكى استكشف إمكانية النظرية التى طرحها باولو فريرى وهى النظرية التى تأثرت بلاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية وكما نعرف أن لاهوت التحرير وتعليم المقهورين نهلا من منبعين هما فكرة التحرير والممارسة، والنظريتان الظاهرتان ظاهرات عالم ثالث، وهنا يعد من احتياجاته الأساسية باولو فريرى رأى أن التعليم عمل سياسى فى المقام الأول وسوف يترتب على ذلك قيم وممارسات .هو وسيلة مباشرة لتدخل المظلومين ضد ظالميهم فى المجتمعات القائمة على الظلم وهو قائم على ثلاث دعائم جدلية الذات والموضوع وعملية الانسنة ثم الممارسة المبدعة فى التاريخ وعملية التغيير لا تتم إلا بجهود الإنسان وإذا كان الإنسان هو الذى يحدث التغيير فإن تلك الحقائق تصبح عملا تاريخيا من صنعه أما اللاأنسنة أو التشيؤ فهى ليست قدرا بل ظاهرة مؤقتة تعكس الظلم .لأن اللاأنسنة إخلال يحول دون تحقيق أنسنة المقهورية وسرعان تحت وطأة الاستلاب أن الإحساس ينمو بنضال المقهورين ضد ظالميهم أما الممارسة المبدعة للثقافة .فإن الإنسان لا ينتج بضائع مادية فقط بل مفاهيم وهو قادر على تحويل الزمن إلي ماض وحاضر ومستقبل وهو قادر على تطوير العالم والجماهير هى القوة الحية الفعالة وهى صانعة التاريخ.

وينهض المجتمع القهرى على مجموعة من الأسس هى تقمص عملية «فرق تسد» ثم الاستغلال وفكرة المحو الثقافى وباولو فيريري يصف التعليم القائم على التلقين بالتعليم البنكى اللاحوارى ويعيد إنتاج المجتمع القائم

على الاستغلال، والتعليم البنكى يتميز بلهجته المتعالية وهو وسيلة من وسائل القاهريين على فرض ثقافة التسلط وعند منطقة الأبوية يتقاطع فيريري مع الحرمة النسوية .أن المقهورين لا يستطيعون تحقيق وجودهم الذاتى إلا فى وجود الحرية ولكنهم فى الوقت ذاته يخافون الحرية فكيف يستطيع المقهورون أن يسهموا فى تطوير التعليم خاصة أن تعليم المقهورين أداة نقدية يكتشفون فيها أنفسهم، وهنا صدى لمدرسة لاهوت التحرير .

ويرد فيرارى أن تعليم المقهورين يستند لنظرية العمل الثورة الحوارى الذى يتأسس على التعاون يتضمن أناسا لهم هدف واحد هو تطوير العالم بعد تغييره .وهو لا ينفى دور القادة ولكن دور هؤلاء هو التعاون مع الناس وليس توجيههم وهنا يقدم فيريري نقدا للبرجماتية فى التعليم، والتى ترى أن الأقوى هو صاحب الحق .وبين هذا التعاون تحقق وحده من أجل التحرير ومعاونة الجماهير على قطع علاقتها بالسحر والخرافة .الوحدة من أجل لتحرير ومعاونة الجماهير على قطع علاقتها بالسحر والخرافة. الوحدة والتعاون يتطلبان التنظيم والتنظيم يحتاج للسلطة ولابد أن يكون خاليا من التسلط وهناك عند التآلف الثقافى حيث يتعلم القادة من الجماهير ويؤثر هذا الشكل فيما سماه بالأفكار المولدة.

وهى نقطة البدء فى عملية التآلف الثقافى ومن لا يستطيع أن يتعامل مع الجماهير يخدع نفسه .ومن ينظر للجماهير باعتبارها جاهلة يجب عليه مراجعة نفسه لإنشاء علاقة تضامنية مع الجماهير والحوار لا يستطيع أن يأخذ من اليأس بيئة له.

ولذا فإن التعليم الحوارى يركز على الإدراك .فالتعليم البنكى يرتكز على معلم حاك وتلميذ متلق .

شدد باولو فيريري على مفهوم الوعى الكامن الذى يكتشف فى سياق العملية التعليمية حيث يدرك الإنسان إمكان تجاوز الواقع وبذلك يتحقق واختار فيريري كبار السن ليتوجه إليهم بنظريته لأن الكبار لم يمروا بتجربة المدرسة ويعيشوا القهر ولأنهم يستطيعون إنشاء جيل آخر بناء على نظرية

العمل الحوارى لحمايتهم من تجربة القهر وإن ثلث الأميين فى العالم نساء وفى الوطن العربى هناك ٦٥م أمى ثلثهم من النساء فإن نظرية فريرى تصلح عبر شعارها البسيط "أتعلم أتحرر "فالنساء مهمشات ضمن الملايين الفقيرة وهن مهمشات مرة أخرى بسبب الطابع الذكورى للمجتمعات .حيث يجرى التمييز ضدهن بدءا بالأسرة ونتيجة للقهر المركب للمرأة تراكمت ثقافة الصمت وهنا يكتسب المفهوم الحوارى لتعليم النساء منطقا عمليا .حيث تشعبت النساء بالصورة النمطية التى رسمها القاهرون لهن وقد جرى استخدامها على نطاق واسع لمشروعية قهرهن وتتجسد أكثر أشكال القهر عندما يمارسه المقهور ضد نفسه وهو ما يسمى القهر الطوعى للذات وقدر لى فى عدة تجارب مارست فيها التدريس فى فصول محو أمية الكبار من النساء أن ألمس عن قرب الفاعلية الكبرى لتقديم تأويل تقدمى للدين .

وقد جرى ذلك كله قبل أن أقر باولو فيريري كنت قد اكتشفت بالتجربة الواقعية أن أفضل الدروس هى التى يشارك الدارسون فى انتاجها .كنا ننطلق كحزبيات من الثقة فى الجماهير ولم نذهب بحلول جاهزة وكنا نبحث عن الحلو وكنا نصطدم بما جرى تلقينه لهن من أن مشكلتهن من صنعهن كنا نتعامل مع نساء متعرضات لقهر مزدوج .

أتيحت لى فرصة التدريس لمجموعات من النساء فى فصول تعليم الكبار مستخدمة منهج فيريري الأمر الذى مكننى من التعرف على بداية لعلاقات أسرية جديدة أو بداية لانهيار الأسرة لأن المرأة كانت تكتشف كم هى مهانة.

وأنا أميل للاعتقاد أن الصمت تحت وطأة المحرم والصورة النمطية جعل الناس أكثر قابلية للتواصل الخلاق إذا أتيحت لهم الفرصة.

أريد أن أصل للفكرة المركزية عند فيريري أنه ينقلنا بفكرة التعليم الحوارى إلى عتبة العمل السياسى.

ويذكرنا بفكرة طه حسين وكتابه عن «مستقبل الثقافة فى مصر» حيث كان يتصور أنه بوسعه بالتعليم فقط أن يغير المجتمع وثبت أن هذا غير

صحيح وأن تغيير المجتمع عملية نضالية طويلة جوهرها هى الوعى السياسى ثم العمل السياسى .وقد علمتنى التجربة أن النساء اللاتى يتحررن من الصورة المشوهة عن الذات يتذكرن صيغا لا تخطر على البال على سبيل المثال شاركت النساء مع الفلاحين ضد قانون تغيير العلاقة بين المالك والمستأجر لصالح الملاك.

وهو موضوع يحتاج لدراسة شاملة.

لاهوت التحرير الفلسطينى

محاولة تستدعى الدراسة لكى تستمر

لونا فرحات

لاهوت التحرير الفلسطينى محاولة لتأسيس رؤية لاهوتية مسيحية للقضية الفلسطينية قدمها القس نعيم عتيق فى كتابه " الصراع من أجل العدالة " الذى يقول عنه مؤلفه بأنه " لا يخلق لاهوتا جديدا وفريدا ومنفصلا للمسيحيين الفلسطينيين، وإنما هو محاولة من أجل إعادة اكتشاف التحرير الذى قام به السيد المسيح والذى يجب أن نكون على علم به ورؤية للسلام العادل مبنية على أساس الإيمان بالله وفى خطى المسيح فى أسلوبه اللاعنفى" .

قضايا اللاهوت الفلسطينى وأهدافه :

من المعلوم أن كافة حركات التحرير التى وجدت سواء فى أمريكا اللاتينية أو أفريقيا كانت تهدف إلى إعادة قراءة الكتاب المقدس على نحو يجعله أكثر صلة بواقع المجتمعات ومشاكلها وإعطاء دور أكبر للكنيسة فى المجتمع. وأن كل لاهوت تحرر يجب أن يخاطب بالضرورة قضية العدالة وهى القضية الأساسية بالنسبة للفلسطينيين مسيحيين كانوا أو مسلمين .

الكتاب المقدس والمأزق اللاهوتى:

وقع الفلسطينيون المسيحيون فى مأزق لاهوتى كبير تمثل فى السؤال التالى:

" كيف يمكن لهم أن يستعملوا النصوص الواردة فى العهد القديم (أى التوراة) التى هى نفسها مصدر معاناتهم اليومية والتى تبدو لا نهاية لها ! " . فما يثير الاضطراب اللاهوتى لدى هؤلاء إن الحركة الصهيونية والأصولية المسيحية قد استعملت التوراة كتبرير للظلم الواقع على الفلسطينيين . المأزق الثانى الذى وقع فيه المسيحيون الفلسطينيون هو كيف يمكن لله أن يقبل مثل هذا الظلم؟ ومع من يقف هل يقف مع المظلوم ؟ وأين هو الله من كل ما يحدث فى فلسطين من قهر؟ ، مما جعل بعض

هؤلاء يتساءلون عن طبيعة الله خصوصا وأن المسيحى يفهم ما هو الله من خلال السيد المسيح. فكيف يكون الله هو المحبة بينما يقبل بما يجرى لهم من مآسى على أيدى اليهود الذين يستعملون نصوص العهد القديم لدعم الظلم لا العدل. ومما زاد من صعوبة المسألة هو أن الكنيسة وقفت عاجزة عن تقديم إجابات لكل تساؤلات المسيحى الفلسطينى. فلا يستطيع اللاهوت المسيحى الفلسطينى تجنب معالجة الكتاب المقدس، لذلك فهو يحاول الإجابة عن سؤال أساسى هو : كيف يمكن للعهد القديم أن يكون كلمة الله فى الوقت الذى استخدمته الصهيونية لتبرير معاناة الفلسطينيين؟

للخروج من هذه المآزق اللاهوتية يؤكد لاهوت التحرير الفلسطينى ضرورة وضع النصوص التوراتية فى سياقها التاريخى وهى تعكس مفهوما بشريا لله كان سائدا فى فترة تاريخية معينة وأن هذا المفهوم يساعد المسيحيين الآن لمعرفة كيف كان ينظر لله وكيف تغير هذا المفهوم بمجىء السيد المسيح. فأى حدث يقع فى التاريخ يستطيع المسيحى أن يعرف ما إذا كان الله موافق عليه أم لا من خلال سؤال أنفسنا هل هذا الفعل يوافق طبيعة الله التى عرفناها فى المسيح؟

قضية العدالة وخصائصها:

يرى لاهوت التحرير الفلسطينى أن العدالة قضية أساسية فى الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى، ويعالج هذا اللاهوت قضية العدالة ضمن الأبعاد التوراتية. فهو يتوجه إلى اليهود أولا متسائلا كيف يمكن لليهود الذين يدأبون على تذكير العالم بمآسيهم ومعاناتهم فى أوروبا فى الوقت نفسه يضطهدون غيرهم من لا حول ولا قوة لهم .

ويحاول اللاهوت الفلسطينى توضيح الفكرة التالية وهى أن الشعب اليهودى يملك تقليدا توراتيا مليئا بالمعانى فهو سجل حافل للجيد والسيىء. ويستند القس عتيق صاحب هذا اللاهوت إلى المقولة القديمة لموسى: " لقد وضعت أمامكم الحياة والموت، البركة واللعنة، لذلك اختاروا الحياة لكى تحيوا أنتم وأحفادكم" . وهو بذلك يتوجه بالخطاب لمضطهدى الفلسطينيين بالقول: " إن الخيار الموجود أمام الأقوياء إما العيش والتصرف بعدالة أو العيش والتصرف بظلم " . كما يرد على أصحاب نظرية الإله القومى بالقول : " أن العهد القديم فى أعلى نقاط إلهامه وفهمه لله يقدمه كإله واحد، خالق العالم، إله البر والعدل والرحمة" . فيجب على الشعب اليهودى أن يعترف بأن الله يهتم بجميع الناس معتنقين

بذلك الصورة الأكثر عالمية لله. ويرى القس عتيق أن " رؤية الإله بهذا المنظور تصبح الأساس التوراتى واللاهوتى لمعالجة مشاكل العدالة فى العالم" .

انطلاقا من هذا المفهوم يمضى القس عتيق فى دراسة العدل حيال الفلسطينيين وعلاقته بمختلف نواحى حياتهم . فبالنسبة لعرب ٤٨، فهم يخضعون لقوانين تصنفهم كمواطنين من الدرجة الثانية مع ما يستتبع ذلك من تمييز مجحف بحقهم.

فالقوانين " الإسرائيلية " تخالف ما أصبح راسخا فى المجتمع الدولى وهو رفض التمييز بكافة أشكاله وصوره. أما الفئة الثانية من الفلسطينيين وهم سكان الضفة الغربية وقطاع غزة تطبق بشأنهم قوانين المحتل العسكرى وأوامره العسكرية التى لا تقل عن ١٢٠٠ أمراً صادراً عن الحاكم العسكرى منذ العام ١٩٦٧ ، وهذا بالإضافة إلى مصادرة أراضيهم. فبحلول عام ١٩٨٨ تم الاستيلاء على أكثر من خمسين بالمئة من أراضى الفلسطينيين . وإذا رفع الفلسطينى أمره للقضاء فلن يجد سوى جلاده بانتظاره ليثبت الانتهاكات المتكررة والمستمرة لحقوقه الأساسية .

جملة القول أن إسرائيل التى تملك القوة فى حالة انتهاك دائم للعدالة هذا الواقع دفع بلاهوت التحرير الفلسطينى أن يعالج مسألة لاهوتية أخرى ألا وهى علاقة القوة بالعدالة .

فى الله تتحد القوة والعدل:

يعتبر اللاهوت الفلسطينى أن العدل والقوة يتحدان فى الله وليس فى بنى البشر. وان " فى الله يكون أساس القوة والعدل فى الخير والمحبة " . والرؤية هنا أن القوة والعدل لا يمكن أن تجتمعا فى بنى البشر لأنهم أكثر ميلا إلى الفساد والشر، لذا يساء استعمال القوة باستمرار . وعادة ما يبرر الظالم استقوائه بمبررات عديدة هى أكاذيب لابد من كسرها ومواجهتها .

العدالة المنصفة والسلام:

ان الصلة بين العدالة والسلام أساسية فى العهد القديم فقد شجب الأنبياء كل سلام كاذب يقوم على الاضطهاد فالشرط الأساسى لتحقيق السلام هو العدل أولا ثم يأتى السلام والأمن للجميع .

النقطة الأخرى التى يناقشها لاهوت التحرير الفلسطينى هى أنه وفى حال تحققت العدالة للفلسطينيين وذلك بإقامة دولة لهم فى الضفة والقطاع سيواجهون تحديا آخر وهو كيفية المحافظة على العدل الذى

حصلوا عليه وسيلتهم فى ذلك يجب ألا تعتمد أو تستعمل القوة بشكل مفرط كيلا يقضى على أى عدل وسلام يتم تحقيقهما .

فالعدالة وحدها لا تكفى لتحقيق السلام فعلى المسيحيين أن يستمروا فى التأكيد على أن عدالة الله، كما تفهم وترى فى المسيح، ليست عمياء، وإنما تمارس برحمة ونعمة. وأن البحث عن العدالة الصارمة، بما فيها من دلالات تشير إلى الانتقام، يمكن أن تنزل بالناس إلى المستوى اللا إنسانى، بينما ممارسة الرحمة والمصالحة ترفعهم إلى المستوى الإنسانى والإلهى. وهنا يبدو واضحا أن لاهوت التحرير الفلسطينى يسعى لتحقيق العدالة لطرفى الصراع. وسيبحث موضوع العدالة المنصفة أو غير المفرطة عند الحديث عن رؤية القس عتيق حول حل القضية الفلسطينية فى موضع آخر من هذه المداخلة .

الله مخلص المضطهدين:

جاء لاهوت التحرير الفلسطينى ليؤكد حقيقة " لاهوتية " أن الله يظهر من خلال العهدين القديم والجديد اهتماما خاصا بالفقراء والمحتاجين الذين يعيشون فى ظروف صعبة، وإذا لم يكن هناك من يحميهم من البشر فإن الله يتدخل وإذا لم يدافع عن قضيتهم أحد فإن الله يكون محاميا لهم . وأن الحماية الإلهية تمتد إلى جميع الذين يعانون الظلم أو الاضطهاد . فقد كان لزاما على هذا اللاهوت أن يبين أين يقف الله فيما يتعلق بالاضطهاد مما يسمح للفلسطينيين أن يعيدوا ترسيخ إيمانهم بإله عادل وبار، يأخذ موقفا غير مشروط إلى جانب الضعفاء مما يعطى دفعة للراحة والأمل فى آن واحد. فى المقابل، يطالب اللاهوت الفلسطينى من الطرف الآخر أى اليهود أن يدركوا الحقيقة فى الكتاب المقدس ألا وهى أن اهتمام الله الرئيسى هو بضحايا الظلم وإذا تحقق هذا الفهم (وهو أمر مشكوك فيه) يجب أن يؤدى إلى مسئولية سياسية. غير أن الأمل فى وسط الظلم والاضطهاد قد يخبو وميضه ويتحول إلى استسلام وإحباط . لذلك ، فالأمل الحقيقى فى عدل الله هو أمل عادل وديناميكى، " يدعو الناس أن يصبحوا عاملين يشتركون مع الله" . فلاهوت الأمل للفلسطينيين ينبع من إدراكهم أن الله يقف إلى جانب المضطهدين الذين يعملون من أجل يوم أفضل، ويواجهون الذين يضطهدونهم بخطيئتهم على أن يتمسك الجميع بالتقليد المسيحى المتعلق بمقاومة العنف. فالطريق التى يعلنها اللاهوت الفلسطينى لمقاومة الظلم هى طريق اللاعنف التى تمثل أسلوب يسوع وفلسفته القائمة على اللاعنف.

دور الكنيسة:

وهذه دعوى موجهة ليس فقط للناس بل للكنيسة أيضا التى يقع على عاتقها أيضا العمل مع ضحايا الظلم ضد مضطهديهم الأقوياء، فبإمكانها لعب دور قوى فى دعم العدل والسلام من خلال وسائل الاعنف الفاعلة. ولأن السلطات الإسرائيلية تدرك أهمية مثل هذا الدور فقد عمدت إلى إقصاء الرئاسات الدينية والسيطرة عليهم بإعطائهم امتيازات معينة

أو إخضاعهم لأشكال مختلفة من الابتزاز مقابل صمتهم وبقائهم مهمشين. ولكن الكنيسة اتخذت موقفا اعتبره القس عتيق موقفا شجاعا وشكل تحولا كبيرا فى موقف الكنيسة تجاه ما يجرى من أحداث. وذلك عندما عبر رؤساء الطوائف المسيحية فى القدس عن تضامنهم مع الفلسطينيين الذين كانوا يقاومون الاحتلال أثناء ذروة الانتفاضة فى كانون الثانى من العام ١٩٨٨ وأصدروا بيانا أعلنوا فيه عن وقوفهم مع الحق والعدل وضد كل ظلم وأحجاف .

رؤية لاهوتية فلسطينية لحل الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى:

قدم القس نعيم عتيق رؤية للسلام العادل مبنية على أساس " الإيمان بالله وفى خطى السيد المسيح فى أسلوبه اللاعنفى. فمن الناحية الأولى يجب الإصرار على أن الحل الوحيد يكمن فى إحقاق العدل وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة الكاملة . ومن الناحية الثانية إبراز أهمية الأمن والاستقرار لكلتا الدولتين على أن تتحمل إسرائيل مسئوليتها فى ارتكاب الظلم الذى أوقعته بالفلسطينيين " . على أنه يأمل فى أبعد من ذلك . فهو فى نهاية المطاف يتطلع إلى إنشاء دولة واحدة يعيش فيها الفلسطينيون واليهود معا . ولكن القس عتيق يعترف بأن ذلك غير ممكن لأن اليهود عندئذ سيصبحون أقلية فى مجتمع ثنائى القومية، وهذا ما يرفضونه . لذلك فهو يتمسك بالحل الأول الذى يضمن بحسب رأيه حق الشعبين مطبقا بذلك مبدأ العدالة غير المفرطة . وعلى الرغم من أنه يعترف بأن لا حق لإسرائيل فى الوجود على أرض فلسطين إلا أن إزالة إسرائيل سيعنى ظلما أعظم لملايين الناس. كما أنه يؤكد أن قيام دولة إسرائيل كان جرما ضد الحق الفلسطينى وأن أية تنازلات يقبل بها الفلسطينيون فى نهاية المطاف، كحد أدنى للعدل، هو نابع من رغبتهم فى تحقيق السلام والعيش فى الأمن والحرية لا لأى حق مسبق لإسرائيل فى أرض فلسطين!

ولكن قد يتساءل المرء كيف يمكن الاعتراف بجريمة وترك نتائجها

تثبيت يوما بعد يوم؟ كيف يمكن رفض فكرة الاحتلال الذى هو خطيئة لما يسببه من ظلم، وقبول تطبيقها؟ ألا يدخل ذلك المسيحى الفلسطينى بمأزق لاهوتى آخر؟

أسس الحل المقترح : مواقف متبادلة:

لتحقيق العدالة للشعبين الفلسطينى واليهودى على حد تعبير القس عتيق يتعين على الطرفين اتخاذ مواقف جديدة.

التزامات الفلسطينيين تجاه اليهود :

فعلى الفلسطينيين أن يعلنوا أولا أنهم يعترفون بالمحرقة التى تعرض لها اليهود إبان الحرب العالمية الثانية وأن يفهموا أهمية ودلالة المحرقة بالنسبة لليهود مقابل أن يفهم اليهود أهمية ودلالة مأساة فلسطين بالنسبة للفلسطينيين. وأن يذكر الفلسطينيون صراحة بأن التبرير الوحيد الذى سيقبل به الفلسطينيون لخلق دولة إسرائيل فى فلسطين هى المحرقة. الغريب فى هذا الاقتراح أنه يربط بشكل مباشر ما حدث لليهود من اضطهاد وجريمة إبادة مع العلم أن فكرة الاستيطان فى فلسطين تعود إلى القرن التاسع عشر ويستطيع الجميع العودة إلى أى موسوعة سياسية ليقرأ تاريخ نشوء الصهيونية وهو أمر ثابت فى التاريخ. وأن أول طلائع الهجرة اليهودية الأولى إلى فلسطين كانت فى العام ١٨٨٢, وهناك مؤتمر عام ١٨٩٧ والإعلان عن خلق وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين بواسطة الهجرة والتعاون مع الدول الأوروبية لتحقيق هذا الهدف، الذى تحقق فعلا بصدور وعد بلفور فى ١٩١٧/١١/٢، وكل ذلك كان قبل الحرب العالمية الثانية. ولا يخفى على أحد أيضا ما حصل من تواطؤ بين الحكم النازى فى ألمانيا والحركة الصهيونية من أجل تهجير يهود ألمانيا إلى فلسطين . وهذه الحقيقة ليست غائبة عن القس عتيق الذى قال : " .. كانت المحرقة هى التى جعلت من إنشاء وطن لليهود أمرا ضروريا . لم تفتح بعض البلدان الغربية أبوابها لليهود، وكانت القيادة الصهيونية فى ذلك الوقت مسرورة بسبب ذلك ، لأنها أرادت فى الحقيقة أن يذهب جميع اليهود إلى فلسطين"! ..

فإذا كانت الحقيقة على هذا النحو كيف يمكن تأسيس سلام على أباطيل وكذب والقس عتيق قد ذكر فى كتابه أن " السلام مرتبط مع الحق ولقد حض الرب الناس فى نبوءة زكريا : " أحبوا الحق والسلام " ، وأن الأباطيل والكذب من العوامل المساهمة فى استمرار الصراع " . فما هو موقف المسيحى الفلسطينى الذى قرأ التاريخ وعرف الحقيقة ، ألن يدخله

ذلك فى مأزق لاهوتى آخر؟ . وهو يعرف ماذا حصل ولكن عليه أن يقنع نفسه بما يغاير الحقيقة.

أما ما يترتب على اليهود من التزامات فهى تتمثل بالاعتراف بأنهم اخطئوا حقاً بحق الفلسطينيين وأن يطلبوا السماح منهم، وأن أفضل الحلول لأى نزاع هو المفاوضات وحلول الوسط، وأنهم يختارون العيش بسلام مع الفلسطينيين ومستعدون للتفاوض مع منظمة التحرير .

والجديد فى لاهوت القس عتيق هو مطالبة إسرائيل بالتخلى عن حلمها بإنشاء إسرائيل الكبرى، فهو حلم غير واقعى وخطير. وإذا تحقق فلن يكون إلا بواسطة قوة السلاح. ولن تستطيع العيش إلى الأبد خلف جدران تضعها لنفسها، وأن ترتكب الظلم دون أن يقاومها أحد . وأن التوسع لن يجلب إلا النزاع . والقاعدة اللاهوتية التى تبرر هذا المطلب المسيحى الفلسطينى هى : ما جاء فى سفر تثنية الإشتراع : " العدالة .. وفقط العدالة يجب أن تتبعها " .

فالفكرة الرئيسية التى يركز عليها لاهوت التحرير الفلسطينى هى : " ليس لأى أحد الحق فى أن يظلم حتى لو لحق الظلم به " . وأخيرا يوجه القس عتيق نداء إلى شعبه أن يحبوا أعداءهم عملا بقول السيد المسيح " أحبب عدوك واصفح عنه وإذكره دائما بالعدل والحق " .

كلمة أخيرة:

أن لاهوت التحرير الفلسطينى شكل محاولة من قبل قس فلسطينى من عرب الـ ٤٨ ، يعكس إلى حد كبير شهادة شخصية لاهوتية أراد صاحبها أن ينقلها إلى أبناء شعبه، محاولاً الإجابة عن العديد من الأسئلة اللاهوتية. وهى تمثل عرض لوجهة نظر لاهوتية أيضا من منطلق رجل إيمان لا سياسة لحل القضية الفلسطينية.

ويمكن القول أن أهم ما جاء فيها هى الدعوى الموجهة لليهود أنفسهم لكى يكونوا لاهوتا تحريريا خاصا بهم يعيدوا النظر من خلاله فى سياساتهم ونظراتهم تجاه الآخرين خصوصا الفلسطينيين . ولكن يبدو وبناء على المشاهدات اليومية للصراع الفلسطينى - الإسرائيلى أن الأمل فى تغيير ذهنية " العدو " هو أيضا حلم قد لا يرى النور أبداً .

يحررنا فنلتقي مع الآخر

ريتا أيوب

فى البداية، يهمنى أن أقدم نفسى، كعاملة اجتماعية فى مجال الحوار والتواصل بين أبناء مجتمع تعددى هو المجتمع اللبنانى. عندما طلب منى الأب وليم سيدهم أن أقدم ورقة عن "لاهوت التحرير" لم أذهب إلى تجربة أمريكا اللاتينية، كى أقوم بمقاربة بينها وبين مشرقنا العربى، بل انطلقت من الواقع الذى أعيشه فى مجتمعنا اللبنانى، لذا فإن ما سأطرحه فى مداخلتى، ينطلق من الاختبار الروحى الشخصى والعملى، ليلاقى كلمات المسيح انطلاقا من الأناجيل الأربعة، ومستندا إلى المبادئ الأساسية التى كانت وراء انطلاقة لاهوت التحرير كما وردت فى دراسات الأب وليم سيدهم الأولى .

" تعرفون الحق ، والحق يحرِّركم "

من هنا يهمنى أن أبدا حديثى، من الحق الذى يحرر، من المسيح الذى يحرر فتلتقى مع الآخر، وليس من خلال المسيح الذى على صورتنا صنعناه، فسجنا أنفسنا به .

منذ بداية الحرب فى لبنان سنة ١٩٧٥، بدأت تتراكم فى داخلى، صور عن ذلك الإنسان المسيحى المضطهد، الذى عليه أن يحارب بمقتنيات مادية، ليحافظ على كيانه لا كفرد بشكل عام وحسب ، ولكن كمجتمع بشكل خاص أيضا .

ولعل ما عشته من تهجير (أعطاه الناس وجها دينيا) وهروب خلال سنوات الحرب رسخ فى داخلى فكرة مسيح المسيحيين الخاص الذى من مسؤوليتى أن أدافع عن صورته وأن أحصنها وأضعها فى إطار يحميها مما هو خارجا عنها .

لم أع حينها، أن الوسائل التى استخدمتها لأدافع عن هذه الصورة، هى نفسها التى استخدمها كى أرسم المسافات بينى وبين الآخرين ولم أعِ أكثر

من ذلك أيضا أن الوسائل التى استخدمها للدفاع عن المسيح (الذى كنت أعيش) بغية تحريره، هى نفسها التى يستخدمها غير المسيحى ليدافع عن الله وفق ما يعيشه بغية تحريره. كنت على يقين بأنه علىّ المشاركة فى تحرير المسيح ، بدل أن أعمل لاكتشف المسيح الذى يحرر، إذ كنت بذلك أضع على الهامش الله المحرر ، الله الذى علىّ اكتشافه فى داخلى محررا فأتحرر، ويحضرنى هنا المسار الذى عشته حيث زعزعت النزاعات التى عايشتها وعشتها من خلال تنازع مسيحيين ضد بعضهم البعض فى لبنان ، زعزعت لى مقولة: " طوبى لكم إذا اضطهدوكم من أجل اسمى.. " . التى جعلتنى طوال سنى الحرب، أعيش الحرب على أنها دفاع عن النفس فى وجه أعداء المسيح .

عندما بدأت العمل فى برامج تطال المصالحات فى قرى الجبل اللبنانى، من خلال عدة جمعيات محلية وغير محلية، وبرامج تطال التلاقى المسيحى الإسلامى من خلال معهد الدراسات الإسلامية المسيحية التابع لجامعة القديس يوسف (فى بيروت) فى منتصف التسعينات، بدأت أجرؤ رويدا رويدا على الدخول إلى ذاتى مفتشة عن مسيح أعيشه فلم اكتشف غير صورة إنسان صنعته على مثالنا البشرى، وحملته كل الوسائل البشرية التى نهوى والتى بها يدافع عن وجوده وعن وجودنا نحن أتباعه .

ولعل إحدى تلك اللحظات التى جعلتنى أعى أى إله أعيش، هى تلك اللحظة التى سألتنى بها امرأة مسلمة ، اختارت أن تنتقل بعد الحرب لتعيش فى منطقة ذات غالبية مسيحية، فقد سألتنى هذه المرأة عن السبب الذى يجعل مِن مَن تتشارك وإياهم المبنى عينه، يبتعدون عنها عند معرفتهم بإنتمائها الدينى، وهى التى تعرف أن المسيح يعنى فى أول ما يعنى محبة غير مشروطة .

لقد دفعنى ذلك، إلى التفتيش بخجل فى داخلى عن المسيح الذى أبرر معه الجواب، غير أننى تجرأتُ واصطدمت بصورة مغايرة للتى رسمت طوال تلك السنين .

لقد ساعدنى العمل فى إطار الحوار المسيحى الإسلامى، على وضع سائر الصور أمامى ، والعمل بالتالى على توضيحها لذاتى قبل توضيحها للآخرين .

ويمكننى أن ألخص فى عدة محاور، ما استطيع أن أدعوه باباً يحملنا على أن نتحرر بالمسيح للقاء مع ذاتنا والآخر .

أولا : فعل المحبة

فى الوصية الأساسية التى دعا إليها المسيح " أحب قريبك كنفسك " لم يكن هناك أى استكمال لتوضيح مفهوم القريب، فالقريب يمكن أن يكون الفقير الذى يعيش خارج حقل رؤيتنا ، والذى تكلم عنه "كاميليو وريس" حين أراد التطرق إلى مفهوم الأخوة الإنسانية من خلال التشارك مع الفقراء إذ قال : " إن الجماعة المسيحية لا تستطيع أن تقدم الذبيحة على وجه أصيل، إن لم تكن قد حققت أولا وبطريقة فعلية وصية محبة القريب " (لاهوت التحرير فى أميركا اللاتينية ، الأب وليم سيدهم) كما يمكن لهذا القريب أن يكون أيضا هذا الذى فصلنا بيننا وبينه من خلال سجنه فى كلمة "آخر" ، جاعلين له معيارا أساسيا هو : أن يكون مختلفا عنا فى إنتمائه الدينى. فالمحبة التى تكلم عنها المسيح ، ليست محبة مشروطة بالآخر بل هى فعل ينطلق من الذات ولا يقف إزاءه حائل، فوصية المسيح: " أحبو بعضكم بعضا كما أنا أحببتكم " (يوحنا : ١٥) لم تستثن أحد لكأنه يقول ، أحبوا لأنكم أنتم الحب .

هذه الدعوة للحب غالبا ما يقف قسم كبير من المسيحيين - كى لا أقول أيضا من غير المسيحيين - فى مواجهتها ليبرروا بأنها قدرة كامنة فى شخص المسيح بالذات فقط، وإنه لضرب من ضروب المستحيل أن يعيش إنسان ما هذا الأفق من المحبة. إن مجرد التفكير فى أن المحبة غير المشروطة بالآخر هو يوتوبيا بعيدة عن قدراتنا البشرية، لهو كمن يقول بأن المسيح كان ساديا، يهوى إيلام البشر، فيعطيهم مهمات مستحيلة ، ويجعلون حياتهم أسرى بها، وهو القائل : " كونوا كاملين كما أن أباكم السماوى كامل هو " .

إن المسيح الذى اختبرته هو كامن فى داخلى؛ والله الذى أعيشه، ليس منفصلا عنى بل هو فى ومنى من خلاله أراه فى الآخر، أيا يكن هذا الآخر والله الحب الذى فى هو الذى يسمح لى بأن أعيش الحب دون إضافة أية شروط خارجية. إن المحبة كما اكتشفتها لا يمكن أن تشترط حب الآخر. هى ليست اختبارا تقوم به كى نقرر بعدها وفق رد فعل الآخر، إن كان علينا محبته أم لا ، لأن ذلك يحولها إلى دين نتعامل معه وليس إلى حب نعيش من خلاله. فالحب ينطلق من إرادة فى داخلنا للوصول مع الآخر كى نتطور سويا وليس من تنافس فى مواجهة الآخر كى يغلب القوى الأضعف فإذا كان الله خالق الجميع بمعنى أن له حق على الجميع بأن يفعل ما يشاء لأنهم خالقهم، هو بنفسه " يشرق على الأشرار والأبرار .. " ، فكم بالحرى نحن الذين منه خلقنا ألنا الحق بأن نقصى بعضنا ونوزع

محبتنا (التى ندعوها محبة) هل نختارهم وفق المعايير البشرية التى وضعناها؟ .

لقد كانت لقاءات الحوار التى نقوم بها، لتجعل كل إمرئ يكتشف أن ما لديه فى تكوين روحه هو لدى الآخر، ولعل أحد التحديات الأصعب، هى عندما نعى أن الخير الذى فينا هو هو عينه فى الآخر بحيث يشكل حقا آخر له علينا للإلتقاء به ولمحبته .

ولعل أهم خطوة يمكن البدء بها هى القبول فى البداية بمفهوم المحبة هذا حتى ولو لم يكن بمقدورنا عيشه إذ أن مجرد القبول به هو بمثابة الخطوة الأساسية الأولى التى تسمح لنا بأن نبدأ بالنظر إلى أى إنسان أيا كان لونه أو دمه أو فكره، كقريب معه نختبر مدى عيشنا للمسيح .

ثانيا : الخدمة

" إن كانت صلتنا بخدمة القريب غير موجودة فى الواقع، فإن صلواتنا وطقوسنا وكلامنا عن الله يتدهور ويصبح مفارقا ومزيفا " (اللاهوتى شكلبيكس : وفق كتاب لاهوت التحرير فى أميركا اللاتينية للأب وليم سيدهم) . إن قراءتى لهذا النص، تدفعنى لإلغاء كلمة " القريب " منه ليصبح " : إن كانت صلتنا بالخدمة غير موجودة .. " ، دون تحديد خدمة من ففى يوحنا ١٣ ، توقف يوحنا فى سرده لأحداث العشاء الأخير، عند خدمة المسيح ليس أكثر ، إذ قام وغسل أرجل التلاميذ دون تمييز فيما بينهم، وهو الذى كان يعلم أن واحدا منهم سيسلمه. وقد كان واضحا إذ قال " .. إذا كنت أنا الرب والمعلم قد غسلت أقدامكم، فيجب عليكم أنتم أيضا أن يغسل بعضكم أقدام بعض، فقد جعلت لكم من نفسى قدوة، لتصنعوا أنتم ما صنعت إليكم " .

إن روح الخدمة إذن، تتسع للوصول إلى المحبة الأخوية التى

لا يحدها رابط دموى، أو عقائدى ، أو أى رابط بشرى. وتقودنى صورة المسيح الخادم هنا إلى مفهوم التواضع حيث أن المسيح وضع ذاته فى خدمة الكل ، لا بل يجعل ذاته مساويا للكل ؛ ويحضرنى هنا السؤال: هل عشنا ارتباطنا بالمسيح بشكل جعلنا ننظر إليه كإلة يخدم فقط من إنضوى تحت ستار جناحه، ويؤثر مجموعة أحبائه ليفصلهم عن البشرية؟ أو لم يحن الوقت بعد للنظر إلى هذا المسيح الشامل، وليس المسيح الخاص ex-clusif !

ثالثا : المساواة

تقود بى النقطة السابقة، إلى مفهوم المساواة الذى يتطرق إليه لاهوت

التحرير غير أن المساواة كما أراها، لا تنحصر بالمساواة بالحقوق الاقتصادية أو الاجتماعية أو حتى السياسية. المساواة كما اختبرتها من خلال العمل فى لقاءات الحوار، وهى مساواة بالروح قبل أية مساواة. ولعل نتيجة هذا الشعور بالمساواة فى عين الله، هى التى تولد مساواة على صعيد البشرية المذكورة .

إن قسما كبيرا من المسيحيين، والمسلمين (كى لا أتطرق إلى الانتماءات الدينية الأخرى كافة، كوننا معنيون هنا فى ما خص الحوار الإسلامى المسيحى) يعيش كونه ولد مسيحيا أو مسلما، كنعمة أغدقها الله عليه وحده وحرم منها سواه ، وبالتالى يعيش مع أفكار ينمو معها موجزها أن له الأفضلية له على غيره عند الله فتصبح الخصوصية هنا عاملا مفرقا بين البشر، ويصبح الله بالنسبة لنا كأى إنسان يستعمل مقاييس البشر كى يقسم الناس وفق تراتبية تفصل ما بين البشر بعين الله . وتحضرنى هنا أفكار كانت تسكن داخلى مذ طفولتى ، ولم أكن حينها أجرؤ على النظر إليها حتى مع ذاتى ، إذ لم أكن أقتنع بإله يعطى الخلاص لى لأنى ولدت فى عائلة مسيحية ويحرم منه زميلتى غير المسيحية التى أجلس معها على مقعد الدراسة، إله يخلص أبناء بلدتى، ويحرم أبناء البلدة المجاورة الذين كانوا يتشاركون معنا الزمان والمكان والحياة إننى لست هنا فى معرض البحث فى ما إذا كان الله يفضل أحدا أم لا بل الموضوع الذى أطرقه هنا هو إنطلاقنا نحن كبشر من معادلة تفضيل الله لأحد دون أحد فتتعاطى مع بعض وفق فوقية فاصلة تعمى عيوننا عن إحدى ركائز الحقيقة، وهى أن روح الله التى سكبها فى الإنسان ، هى فى كل الناس ، وأكرر كل الناس؛ وأن هذه الشرارة الإلهية التى تكون ذاتنا لا تختلف بشىء عن تلك الشرارة التى تكون كل إنسان هذا النور الذى يكمن فى داخلنا، هو نفسه يكمن فى داخل كل إنسان، إن ما يختلف ربما، هو نسبة وعى كل منا لتلك الذات ورؤيتها من خلا أفكار عقلنا البشرى الذى سجن ذاته ضمنا فى الماضى والذاكرة بدل أن يكون الماضى بالنسبة إليه جسرا يعبر منه إلى الحاضر، إن المسيح الذى يحررنا، هو هذا المسيح الذى يجعلنا نخرجه من سجن أفكارنا، فيجعلنا ننطلق دون قيود عقلنا المقفل على نوره، لتلتق مع بعض فى فسحة إلهية مسكوبة فينا منذ البدء .

ولعل أحد المؤشرات الأساسية لتلك الحقيقة، هى هذه الإرادة لدى المشاركين فى لقاءات الحوار، للوصول إلى الالتقاء بالآخر ومعرفته، بغية إيجاد فسحة نورانية مشتركة تكون أساس لإيجاد العالم الذى وجدنا فيه لنعيش بسلام .

رابعا : التسامح

بعد صراع مع مفهوم التسامح الذى كبلنى على مدى سنوات من حياتى، استطاعت الوصول إلى المكان الذى أنظر منه إلى هذه الكلمة كنتيجة وليس كفرض لعل مفهوم المساواة بالروح كما اكتشفته، هو أحد الركائز الأساسية التى ساعدتنى لتوضيح مفهوم التسامح، إن اكتشافى بأن ما يختلف بيننا هو نسبة وعينا للحقيقة ، وليست الحقيقة عينها، ساعدنى على النظر إلى الفعل السلبى الذى يقوم به أى آخر، كفعل ناتج عن عدم الوعى الكامل لدى الشخص للحقيقة ، لا بل لحقيقته الإلهية الكامنة فى ذاته ، وبالتالى فإن ما يقوم به هو فعل وليس فاعل . بمعنى أننى استطعت التوضيح لذاتى، بأن فعل الشر الذى يقوم به أى أخر، هو منفصل عن حقيقته الإنسان ، أيا كان ، هى فى أساسها حب وخير أما فعل الشر الذى يعمل فهو فعل واحد يقوم به بلحظة ما ، نتيجة لظروف ما، تجعل وعيه ينجذب نحو أهواء ومشاعر شخصية، بدل أن ينجذب إلى ذاته الحقيقة؛ وبالتالى فإنه كلما وعينا أكثر حقيقة إله الحب الذى يكوننا، كلما تحررنا أكثر من تسلط مشاعرنا وأفكارنا على ذاتنا، وبالتالى أصبح الله ملك على قلبنا . فكلما وعينا الله الذى فينا، كلما أصبحنا أكثر فأكثر نعكس وجه الله، دون أى مجهود عقلى حتى .

إن النظر من هذه الجهة، جعلنى أفهم فعل الشر من هذا المنطلق وبالتالى جعلنى ارفض فعل الشر الذى يقوم به مطلق إنسان آخر، مع قبولى المستمر لشخصه وبحب ، وبالتالى دخولى مفهوم التسامح من هذا الباب. ويمكننى أن أضيف هنا، أننى لم استطع فهم هذه المعادلة ، لولا رؤيتى لها فى ذاتى، فبقدر ما وعيت هذه الحقيقة، بقدر ما تخلصت من الشعور بالذنب على ما قمت به فى الماضى للوصول إلى هنا، فتحررت فى الحاضر من الماضى الذى كان يكبلنى ، وبالتالى قبلت ذاتى والآخر إنطلاقا من كينونة الله الحب فى ذاتنا. كما وعينا أكثر هذه الحقيقة كلما أصبحنا هذه الحقيقة .

خامسا : التشارك

لن أطيل الكلام أكثر ، ولكن لابد لى من التوضيح بشكل سريع، بأن إحدى أهم الصور التى ساعدتنى على النظر إلى الآخر كذات وليس كأخر، وهى صورة جسد الإنسان. فجسد الإنسان يكون جسدا متكاملا، عندما تعمل سائر أعضائه بشكل طبيعى . لقد ساعدنى المرور من مفهوم الجسد الذى يعنى الجماعة المسيحية ، إلى مفهوم الجسد الذى يعنى

الجماعة البشرية، للنظر إلى وجود كل آخر عن أنه وجود ضروري لتكامل الجسد، فالقلب على أهميته، لا يستطيع أن يحلّ مكان الأصبع الصغير لليد اليمنى، وهذا بدوره يمكنه أن يؤدى إلى موت حتمى للجسد، إذا ما أصيب إصابة سامة لم يتم علاجها مباشرة .

أخيرا

إن ما طرحته هو نظرة نقدية لمسار حياتى، ما استطعت عبوره لولا قبولى بالنظر إليه كما هو . هو ليس انتقادا لفعل قام أو يقوم به بعض من الناس، قد يكونون ينتمون إلى أى فئة من الناس، فى أى زمان ومكان . إن ما قمت به، هو دخول إلى الذات بغية الوصول إلى الآخر .

وأجرؤ على القول هنا، بأن المسيحى مطالب بأن يجعل غير المسيح يلتقى بالمسيح من خلاله ، المسيح الذى يعمل من خلالنا، وليس المسيح الذى نعمل من خلاله. بالمقابل، فإن غير المسيحى، مدعو إلى أن يطالب المسيحى بأن يريه وجه هذا المسيح حين يلتقى به. وأكثر من ذلك ، فإنى أختم بالقول ، أن كل إنسان مطالب بأن يرى الآخر وجه الله الخير والحب الذى فيه، فتصبح البشرية كينونتها الحقيقية ، أى جسد الله الحى .

البحث عن لاهوت تحرير مصرى - مسيحى - إسلامى

الأصول - الإشكاليات - الفروض

د. عاصم الدسوقى

ليس هناك شك فى أن الأديان السماوية نزلت لخير الإنسانية ورفاهية الإنسان، تحض الناس على فعل الخير وتجنب الشر، وعلى تحقيق العدل ورفع الظلم، وعلى التسامح والبعد عن البغضاء، وعلى الحب وليس الكراهية إلى آخر تلك القيم المثالية التى تستهدف رفع الإنسان من واقع الحياة بكل ما فيها من تعقيدات ومستحيلات إلى عنان السماء حيث السمو الأخلاقى.

غير أن هذه القيم المثالية الخالدة اصطدمت بالواقع الاجتماعى حيث نزلت الأديان. وكان هذا الواقع طبقيا بكل معانى الكلمة، فلقد اصطدمت المسيحية بالحكم الرومانى الذى يقوم على العبودية والاسترقاق، واصطدم الإسلام بذات المجتمع فى الجزيرة العربية حتى إن تحرير الرقيق (فك الرقاب) كان علامة على الإيمان الحقيقى وطريق إلى الجنة. وبينما آمن معظم سادة قريش أصحاب العبيد برسالة الإسلام مما سهل انتشاره دون صدام حاد ليندفع الجميع بعد ذلك إلى خارج الجزيرة لنشر الدين، وقف السادة الرومان بكل قوة ضد رسالة السيد المسيح وأعملوا القتل فى الذين آمنوا بها فكان عصر الشهداء أيام دقليديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥) الذى كان أحد علامات انهيار الإمبراطورية، ولم ينقذ المسيحيين جزئيا إلا اعتناق أحد أباطرتها (قسطنطين) المسيحية مما نتج عنه انقسام الإمبراطورية، وسرعان ما سقطت روما فى يد الجرمان (عام ٣٩٥) وانتهت الإمبراطورية بذاتها عام ٤٧٦.

ولم يكن هذا التوافق السياسى - الدينى فى البلاد المسيحية والإسلامية يعد تحقيقا لرسالة الله على الأرض فى الحرية والعدل والمساواة. فالحاصل وباختصار أن رجال الدين وضعوا أنفسهم فى خدمة السلطة السياسية، يسعون لإرضائها، ويتجنبون استعدائها وإثارتها ضدهم. ولما كانت السلطة السياسية طبقية وفى يد أرستقراطية الأراضى

والعقارات ورأس المال التجارى والصناعى، فقد مال رجال الدين فى العقيدتين نحو تبرير سياسات تلك السلطة، وإضفاء المشروعية عليها تجنبا للأذى. والتاريخ حافل بمثل هذه المواقف فقد اعترف آباء الكنيسة مثلا بالنظام الطبقى اجتماعيا وبرروا ذلك بأن رأس النظام السياسى هو أهم عضو فى المجتمع لأن المسئول عن قيادة الأمور، وبالتالى له أن يتمتع بميزات لا يتمتع بها سائر أفراد الناس فيما عبر عنه الإنجليزى تاونى Tawneyبالنظرية الوظيفية للنظام الطبقى Functional Theory of class Organization .وقد وافق هؤلاء الآباء على الملكية الفردية بدعوى أن الملكية الجماعية تزيد المنازعات، واكتفوا فى مواجهة التناقض الاجتماعى القائم بالمناداة بالاعتدال وعدم المغالاة فى الربح والأسعار وتحريم القرض بفائدة إلا إذا كانت الفائدة على سبيل التعويض عما قد يلحق المقرض من ضرر بسبب ضياع فرصته فى استثمار المال الذى أقرضه. وغنى عن البيان أن مثل هذه المواقف تتناقض مع تعاليم السيد المسيح التى تقول: إذا أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء، فيكون لك كنز فى السماء، وتعال واتبعنى (متى - ١٩ : ٢٢) .

وكان القديس توما الإكوينى (١٢٢٥ - ١٢٧٤) أبرز جماعة المدرسيين التى بلورت هذه الأفكار. ومما ساعد على هذا التوحد بين آباء الكنيسة والسلطة السياسية أن التعليم الكنسى كان يقتصر على أبناء الاستقراطية الذين يتولون وظائف السلك الكنسى على حين يذهب أبناء العامة للعمل فى أى حرفة، فأصبح رجال الدين والحال كذلك جزء من النظام السياسى .

وفى البلاد ذات الحكومة الإسلامية بالمعنى الاصطلاحى وقع الفقهاء فى ذات المأزق إذ نجدهم يبررون الطبقية فى المجتمع بالاستناد إلى نصوص تدعو إلى الرضا بالمقسوم والمقدر والمكتوب (.. وفى السماء رزقكم وما توعدون .. لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم .. ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ..) وكان منطق أرسطو طوق النجاة لأولئك الفقهاء فى استصدار الأحكام والفتاوى إذ يكفى التقاط مقولة منزوعة من قلب السياق ويتم ترتيب الحكم عليها. ولقد تنبه الإمام على بن أبى طالب على هذه المسألة حين قال : إن القرآن حمال أوجه فأوغلوا فيه برفق.

ولقد زاد من تأكيد وضع الفقهاء إلى جانب السلطة السياسية أن العثمانيين عندما دخلوا مصر أقاموا منصب مشيخة الأزهر (١٥٢٢)

ولم يكن للجامع شيخا، وتعاملوا مع رجاله كطائفة يتساوى شيخها مع سائر رؤساء الطوائف الدينية القائمة آنذاك وله مكانه فى البروتوكول. ثم زادت درجة التبعية أكثر عندما أنشىء مجلس إدارة للأزهر فى ١٨٩٦ يكون من بين أعضائه مندوبون عن الحكومة، فأصبحت هذه الهيئة فى قبضة السلطة منذ ذلك التاريخ البعيد وتأكد ذلك بتوالى القرارات المنظمة للأوقاف وللمعاهد الدينية .

والخلاصة أن الهيئة الدينية مسيحيا وإسلاميا وضعت نفسها فى خدمة السلطة السياسية أيا كانت تجنبا لبطشها وإيثارا للسلامة، واكتفى رجالها بإقناع العامة بالرضا بالأمر الواقع والتسليم بالمقدر والمكتوب لأن الإنسان مسير ومجبر وليس مخيرا، بل نراهم يلقون التبعة على الناس أنفسهم لقوله تعالى " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " ومن هنا ارتبط الدين بالمحافظة ووصف رجاله بالرجعيين. وكان كارل ماركس قد اكتشف مبكرا التناقض بين المثال (الدين) وبين الواقع مع أنه كتب وهو فى السادسة عشرة من عمره يقول: إن الدين يعلمنا ضمن ما يعلمنا أن الفرد يبذل نفسه فى سبيل إسعاد البشرية. ومن هنا اختلف مع أستاذه هيجل عندما قال فى كتابه " الحق " : إن كل حقيقى عقلى وكل عقلى حقيقى، إذ رفض ماركس أن يكون المجتمع فى زمنه حيث سيطرة رأس المال أمرا حقيقيا وبالتالى عقلانيا يجب قبوله ..

والحال كذلك .. كيف بدأ لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية عام ١٩٦٨؟. وبمعنى آخر .. كيف خرجت الكنيسة هناك من حضن السلطة السياسية ومن إطار المحافظة على الأوضاع الطبقية لتقف إلى جانب التحرير الاجتماعى.. تحرير الإنسان من العوز والفاقة ليكون الدين دين الفقراء أيضا وليس الأغنياء فقط ..

إن هذا التحول فى موقف الكنيسة لم يحدث إلا بعد اندلاع الثورة الاجتماعية فى دول أمريكا اللاتينية حين استولت الطبقة الوسطى على السلطة فى كثير من البلاد وأخذت تعمل على إقرار العدالة الاجتماعية بتقريب الفوارق بين الطبقات من خلال سياسة التأميم وتوزيع الأراضى. ففى بوليفيا قامت ثورة شعبية فى ١٩٥٢ أممت المناجم وطبقت إصلاح زراعى؛ وفى كوستاريكا قامت حكومة شعبية بقيادة حزب التحرير الوطنى (١٩٥٣) نجحت فى تهدئة الأوضاع الداخلية واستقرارها؛ وفى هندوراس قامت حكومة تقدمية فى ١٩٥٧؛ وفى يناير ١٩٥٩ اعتلى فيدل كاسترو الحكم فى كوبا بثورة شعبية تعتبر أكبر ثورات أمريكا اللاتينية راديكالية

وتقارن بالثورة فى روسيا ١٩١٧ والصين ١٩٤٩؛ وفى تشيلى نجح حزب الديموقراطية المسيحية فى ١٩٤٦ فى الوصول للحكم وكان أول نظام ديموقراطى فى القارة يطبق نظاما اشتراكيا مسيحيا تضمن تأميم مناجم النحاس وتطبيق إصلاح زراعى وإعادة بناء الوطن للإقلال من آثار سوء توزيع الثروة .

وأمام تلك المتغيرات وجد آباء الكنيسة أن ما تفعله السلطات الجديدة (الطبقة الوسطى) هو ذات ما يستهدفه صحيح الدين فى الحرية والعدل والحق والمساواة، ومن هنا حدث اللقاء بين الكنيسة التى تسعى لإقرار مشيئة الله فى العدل بين الناس وبين السلطة الحاكمة التى تستهدف العدل طريقا، ومن ثم كان لاهوت التحرير حيث كرس مئات الرهبان ورجال الدين أنفسهم لخدمة المطالب الشعبية والبحث عن دور للكنيسة فى التحول الاجتماعى الجديد.

وفى الفترة نفسها تقريبا تغير الحكم فى مصر لصالح الطبقة الوسطى والعمال والفلاحين بقيام الثورة فى يوليو ١٩٥٢ . وعندما أخذت حكومة الثورة بسياسة التحرير الوطنى لمواجهة السيطرة العالمية بما فى ذلك إسرائيل باعتبارها رأس جسر للاستعمار، وبسياسة التحرير الاجتماعى بتقريب الفوارق الطبقية بتنحية رأس المال عن الحكم وتطبيق إصلاح زراعى وإقامة قطاع عام فى الإنتاج والخدمات، وقف الفقهاء مؤيدين لخطوات الثورة واستخرجوا من النصوص الدينية ما يؤيد اتجاهات الحرية والعدل والمساواة، بل لقد بدأ البحث فى اشتراكية الإسلام وإبراز الأحاديث المناسبة مثل: اعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه.. الناس شركاء فى ثلاثة الماء والكلأ والنار.. مقولة أبو ذر الغفارى "عجبت لرجل لا يجد قوت يومه ولا يخرج على الناس شاهرا سيفه" . وفى مواجهة إسرائيل تستدعى الآية القرآنية ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ...

ولما أخذت الأحوال تتغير فى مصر بموت عبد الناصر وتسير عكس اتجاهاته فى السياسة الخارجية والسياسة الاجتماعية، تحول الخطاب الدينى بدوره ليخدم التوجهات الجديدة فوقفت المؤسسة الدينية إلى جانب راس المال الجديد وشروطه وشركات توظيف الأموال ، بل وإلى جانب التسوية السياسية مع إسرائيل بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ باستدعاء آية: وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله، وترك الشباب خارج المؤسسة يواجه وحده تعنت السلطات.

وعلى هذا فإن موقف المؤسسة الدينية فى كل من أمريكا اللاتينية وفى مصر على نحو ما عرضنا يؤكد ما سبق أن ذهبنا إليه من أن رجال الدين يكونون حيث تكون السلطة .

كيف يمكن صياغة لاهوت تحرير مصرى (مسيحى - إسلامى) ؟

بصرف النظر عما قد يراه البعض من أن هذه الدعوى تمثل أحد إشكالات العقل العربى القائم على النقل والمحاكاة منذ زمن بعيد، فمن الملاحظ أنه بعد انهيار حائط برلين فى ١٩٨٩ وانهيار حكم الأحزاب الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية ١٩٩٠ / ١٩٩١ بدأ الحديث عن انتهاء الصراع بين الرأسمالية والشيوعية بانتصار الرأسمالية (مقولة فوكوياما بشأن نهاية التاريخ) وبدأ العمل على ربط كل النظم السياسية فى العالم بعجلة الرأسمالية. وآنذاك بدأت تيارات دينية فى مصر تتحدث عن فشل التجربة الاشتراكية زمن ناصر، وعجز الرأسمالية عن حل المشكلة الاجتماعية ومن ثم القول لماذا لا نعطى الحكومة الإسلامية فرصة التجربة على أساس تحقيق روح الدين؟.

وعند هذا المنعطف يبدو منطقيا أن تلتقى الأديان ضد النظم الوضعية الرأسمالية والاشتراكية لإقرار مشيئة الله فى خلقه وليس بوقوف رجال الدين إلى جانب السلطات الحاكمة إلا إذا كانت هذه السلطات تأخذ فى اعتبارها مصالح العامة. ولأن مصر مجتمع يضم مسلمين ومسيحيين ويصبح من الضرورى أن تشترك المؤسستين الدينيتين فى صياغة لاهوت التحرير أو فقه التحرير إذا صح التعبير، يستهدف تحقيق روح رسالة الدين الحقيقية فى الحرية والعدل. وفى هذا الخصوص ينبغى ألا يقتصر دور الدين على تحرير الإنسان روحيا من آثام النفس وشرورها (.. إن النفس أمارة بالسوء ..) بل ينبغى أن يكون التحرير اجتماعيا يقرر العدالة والمساواة .

أما الفروض المطلوبة من هذه الصياغة فهى:

ابتعاد رجال الدين عن استخدام مقولات الرضا بالأمر الواقع والكف عن ترديد القول بأن الدنيا عرض زائل وأن الآخرة خير وأبقى. وأن يقفوا إلى جانب حقيقة الدين وروحه لا على جانب السلطة أيا كانت، وأن يتصدروا بأنفسهم قيادة المطالبة بتغيير التشريعات التى من شأنها تقريب الفوارق الاجتماعية وإحلال السلام الاجتماعى. وفى هذه الحالة يتم الضغط الحقيقى على السلطات الحاكمة بتأييد جماهيرى عام إذ لن تقبل السلطات على اعتقال رجال الدين والزج بهم فى السجون.

الاستنارة بمقولات رجال الدين من فقهاء ومشرعين ومفكرين منذ عصر النهضة فى مصر القرن التاسع عشر ابتداء من الطهطاوى. ذلك أن الأفغانى فسر الدين بما يتمشى مع العلم والحياة وعدم التمسك بحرفية النصوص بل لابد من توظيفها لخدمة العلم والحياة ومن هنا كان ثوريا. ودعا إلى التخلى عن معتقد الجبرية لأن القول بأن الإنسان كالريشة فى مهب الرياح تقلبه كيفما تشاء يرسخ فى نفوس القوم أنه لا خيار لهم فى قول ولا عمل ولا حركة وبذلك تتعطل قواهم ويفقدون ثمرة ما وهبهم الله من المدارك .

وهناك الكوكبى الذى قال أن " الدين جوهر الحرية والحرية روح الدين لأن الدين لا يكون معينا على الاستبداد، والحرية " أن يكون الإنسان مختارا فى قوله وفعله لا تعترضه مانع وظالم" . ومن هنا اتفاقه مع الأفغانى فى فهم معتقد الجبرية .

وأيضا الشيخ محمد عبده الذى وضع برنامجه فى الإصلاح على أساس تحرير العقل من قيود التقليد، وتحقيق الفهم السليم للدين مع التجديد، والفهم الحقيقى لرسالة الدين التى هى ترقية حال الإنسان الأدبية والمادية معا بالعودة إلى مناهج الإسلام الأصلية وليس بوساطة جماعة رجال الدين. كما ناصر حرية الإرادة أيضا وليس الجبر بدرجة قريبة من فكر المعتزلة فى سبيل نصرة العقل بل نصرة الدين بالعقل.

التأكد على التماسك الثقافى بين المصريين الذى صنع خصوصية مستمدة من تقاليد التدين القديمة حتى قبل الأديان السماوية. ومن المعروف أن مصر قامت بتمصير الأديان التى وفدت عليها حتى أوجدت ما يعرف بالدين الشعبى .

أن تسعى المؤسسة الدينية إلى العمل داخل جمعيات المجتمع المدنى لمساندة لاهوت التحرير. وفى هذا الخصوص تسعى المؤسسة لإسقاط قيود قانون الجمعيات الأهلية التى تحول دون العمل بالدين أو السياسة.

وبعد .. إن هذه الورقة لا ستعى إلى صياغة لاهوت تحرير (أو فقه تحرير) للفقراء بل إنها تسعى لأن يكون لاهوت التحرير هو حقيقة الدين فى الحياة : فى الحرية والعدل والمساواة ، وبشرط أن تتخلص المؤسسة الدينية من شبهة الوقوف إلى جانب السلطة الحاكمة .

(علينا أن نجعل النص يتكلم ويشرح نفسه، بل علينا أحيانا أن نصارع النص لنحمله على البوح بأسراره، وهذا يعنى أن علينا أن نقرأ النص فى إطارة، وأن نحلله ونقابله بغيره من نصوص الكتاب ونميز ما بينه وبينها من صله وأرتباط)

القديس أغناطيوس

من لاهوت التحرير

إلى لاهوت الحياة

نحو لاهوت حياة عربية مصرية - متعددة الأديان والملل والنحل والأعراق، موحدة فى الوطن والمواطنة

سليمان شفيق

" إن تحليل ثمرة الجوز يعنى كسرها قبل فحصها " " إنجلز "

المبدأ - الأساس :

لست أدرى هل سوء المصادفة أم حسن المصادفة أن ترى تأملاتى هذه النور على الورق الآن وفى هذا التوقيت بالذات، بعد الاحتلال الأمريكى - البريطانى للعراق، أو ما يحلو لى تسميته ببداية عصر النكبة العربية الثالثة (الأولى فلسطين ١٩٤٨م ، الثانية نكبة مصر ١٩٦٧ م ، والثالثة نكبة العراق ٢٠٠٣م)

ترى هل هذه مصادفة سيئة حيث يسود تشاؤم وجودى ؟ أم أنها مصادفة حسنة حيث تبلغ " التفكيكية " مداها، فيصير الواقع المظلم بالغ الظلم ومن ثم ينبلج الفجر، مما يعنى بدايات التفاؤل الموضوعى، أو كما يقول الأمام الغزالى ، قد يكون فى الجحيم نافذة على الجنة " (١)

أو كما أكد " هيجل " فى مقولاته الجدلية : فمن رحم الحياة يولد الموت ومن رحم الموت تتولد الحياة وبومة منيرفا لا تحلق إلا عند الغسق وأضاف : فالإنسان لا يجرى له توازن تام مع بيئته، والفكر لا يولد فى الغالب إلا حالة أن يكون هناك نوع من اللاتوزان بين الإنسان ومؤثرات البيئة المحيطة (٢) .

بمعنى أن هذا الواقع العربى المتردى حتى التفكك يسمح بتأمله وفق رؤية " إنجلز " حين قال : " أن تحليل ثمرة الجوز يعنى كسرها وتفتيتها قبل فحصها (٣) ؟

ومن ثم فهذه الورقة التى قد تكون بين أيديكم وتحت أنظاركم هى مجرد تجسيد بالكلمة لتأملات إنسانية فى الواقع العربى المصرى من خلال رحلة البحث عن خلاص جديد لهذا الواقع أنطلاقا من سباحة اجتهادية بلا ضفاف فى نهر " لاهوت التحرير " بحثا عن معمودية نقدية

ثورية جديدة للأنا والواقع فى سياق جدلى لا يستهدف سوى الخلاص الإنسانى للجماعة الإنسانية التى قدر لها أن تعيش بشكل جغرافى فى المنطقة ما بين المحيط الأطلسى والخليج العربى وتنقسم إلى أغلبيات عربية " وأقليات " دينية ، وأثنية ولغوية ، وعلى الجانب الأخر .. فهذا التأمل المكتوب يرتبط بمنطلقات عملية مقترن بخبرة نضالية متواضعة يشفع لها الرغبة فى البحث عن الحقيقة من خلال تبنى أفكار التغيير الاجتماعى من الماركسية حتى لاهوت التحرير مرورا بنقد الذات الماركسية من منطلق الجدل مع الذات والواقع فى محاولة الخلاص للفرد والجماعة ، وعبر آليات وأساليب عمل تبنى فيها الباحث " العنف الثورى " - خاصة إبان انتماءه لحركة فتح (١٩٧٨ - ١٩٨٢) وصولا للتعايش والاعتقاد فى الطريق السلمى المرتكز على اللاعنف لإحداث التغيير الاجتماعى وعدم الانحياز إلا للإنسان الذى خلق على صورة الله ومثاله على قاعدة إحترام أعضاء الجماعة الإنسانية بكل ما يحمل إنسان فيها من اختلاف سواء فى العرق أو اللغة أو النوع أو اللون أو الدين (سواء كونى أو ما بعد كونى) .

على هذا المبدأ ومن ذلك الأساس (أن كل شىء قابل للجدل والنقد من خلال نزعة إنسانية للأنا والواقع وفلسفة التغيير من الماركسية وحتى لاهوت التحرير) ، انتخبت من خلال تأملى لجدل العلاقة بين الأنا والواقع وسيرورة وضرورة البحث الدائم عن الحقيقة أن أجسد كل ذلك من خلال الإشكالية الثانية التى ترمى إلى :

مدى إمكانية تفاعل الفلسفة السياسية مع محددات الإيمان العقائدى المتمثل فى الأديان بما يفترض من تنوع آليات التفسير والتأويل فى كل الأديان السماوية والوضعية والطبيعية .

النص .... الغاية .... كيف يعرض ؟

فى البدء لابد من التوقف قليلا أمام جدل إمكانية تفاعل الفلسفة السياسية مع محددات الإيمان العقائدى المتمثل فى الأديان، هنا تجدر الإشارة إلى أن أى متأمل لاى فلسفة ولأى دين - مع كامل احترامنا لكريم المعتقدات ولأصحاب الأديان - فإن كلاهما سواء الفلسفة أو الحياة إيدلوجيا لتفسير الواقع ، وكلاهما يمثلان ضربا من التعامل الفعال مع الواقع السياسى، ومن ثم فأن الفلسفة والدين يرتكزان على هدف أساسى هو ضرورة تغيير الواقع ، وهكذا فالنظرية المادية والتاريخية وفق ما بدأها ماركس وإنجلز والتى تجسدت فى الإيدلوجيا الألمانية تؤكد (٥) على أن آية أيدلوجيا هى نتائج، العملية تتم فى فئات ومجموعات محدودة من

الأفراد (المثقفين ، القانونين ، السياسيين - ألخ) ولكل منهم أيدلوجيته ولكل طبقة أيدلوجيتها، وهؤلاء - الأيدلوجيون وهم أيدلوجيو هذه الطبقات يعبرون عن مصالحها واحتياجاتها وأمانيها ومثلها العليا وأوهامها ، وهم يترجمون ذلك كله فى الوعى الاجتماعى فى الرأى العام عبر التراث القانونى والسياسى والفلسفى والتربوى والصحفى والروائى والمسرحى، فالأيدلوجيا ليست - إذن - ألا تعبيرا عن وعى طبقة وفكرها ووضعها على امتداد الأشكال اللغوية وهنا يمكن أن تظهر مجالات سوء الفهم، فالطرق التى تتم بها عمليات الترجمة والتعبير والأنعكاس قد حددت تحديدا سيئا إلى حد ما وتاريخيا ظهرت - هذه النقطة بالذات - المشاكل والصراعات فى تاريخ نظريات الأيدلوجيا ، وخاصة النظرية الماركسية ، وعند هذه النقطة أيضا تحدث الأنقسامات الحالية ، سواء كانت داخلية أو خارجية ، ولذلك أن قراءة نصوص مؤسس الماركسية تعلم ، كما يبدو لنا أن الأيدلوجيا يجب ألا تخلط بـ " الأبنية الفوقية " فهى تتداخل معها فى نفس الوقت الذى تخرج فيه منها أنها تتجه نحو الاستقلال والتحرير ولكن فى حدود معينة، وهكذا فهى - أساسا من حيث المبدأ تبنى على موقعين للوجود سابقين على وجودها فى التراث وفى الوعى أى أن أساسها الأقرب هو مجموع الأبنية القانونية والسياسية، ولكن أساسها الأول هو الأبنية التحتية: علاقات الإنتاج فى نمط الإنتاج السائد، إذن فقوانها هو - من ناحية من أشكال الوعى وكما يحدده ماركس (٦).

تكون مجموعة علاقات الإنتاج هذه البنية الاقتصادية للمجتمع، الأساس الملموس الذى تشيد عليه بنية فوقية وسياسية ، وبه تتصل أشكال اجتماعية محدودة من الوعى أن نمط إنتاج الحياة المادية يتحكم فى مجرى الحياة الاجتماعى والسياسى والفكر عامة فليس وعى البشر هو الذى يحدد وجودهم، بل أن وجودهم الاجتماعى - على العكس - هو الذى يحدد وعيهم .

ويجسد لنا نص ماركس أن قوام الأيدلوجيا مرتبط بأشكال الوعى المتصلة بالأبنية الفوقية القانونية والسياسة والتى تعبر عن نفسها على نحو أدق من الأيدلوجيا ذاتها عن علاقات الإنتاج السائدة وتعكسها، وتعبر أيضا عن الطريقة التى تعاش بها وتتعايش تلك العلاقات فى الوعى الفردى الإنسانى الشائع فى الحياة اليومية، وبما أن لكل طبقة أيدلوجيون وهنا دار الصراع بين الماركسية وفلسفات سياسية ذات نزعات مادية تغيرية من قبل فلاسفة من لوكاتش إلى ميرلوبونت وماركيوز / أو علماء

اجتماع أو مفكرى اجتماع سياسى من فيبرالى لوفيفر ، ومن ماتهايم إلى سارتر.

الغاية:

أن غايتنا فى تأمل ذلك النص وتلك المعالجة ، هى :

أولا : الربط بين الدين أى دين - كونى أو ما وراء كونى - وبين الفلسفة السياسية .

ثانيا : ونخص بالارتباط والجدل ما بين الرؤية الأيدلوجيا المهيمنة فى اللاهوت الغربى الكلاسيكى الذى تناول تفسير العالم القديم من خلال ايدلوجيات ورؤى ساقتنا إلى الفلسفة الماركسية كرؤية لتفسير العالم البرجوازى الواعى عبر لاهوته إلى تسييد مصالح الطبقات السائدة من خلال لاهوتها الواعى لتسييد مصالحها مستخدمين فى ذلك السيد المسيح، مما أدى إلى صدام ماركسى ليس مع ذلك اللاهوت المهيمن بل مع الدين كدين ووصفه بأنه أفيون الشعوب وإذا تجردنا من حساسية ما تحمل هذه المقولة من خدش لحياء الجماعة المؤمنة الشعبية التى غالبا لم يكن يدركها الوعى الاجتماعى الحقيقى بل كانت يصلها الوعى الأيدلوجى الوهمى المثالى، فأن ماركس كان على حق .

ومن جهة أخرى وفى سياق تجسد الماركسية كفلسفة تحرير طبقى فأن تطبقها فى أغلب بلدان العالم الاشتراكى خاصة الاتحاد السوفيتى (H) قد أدى إلى أن تحولت عبر لاهوت ايدلوجيو الحكام الشيوعيين السوفيت إلى أفيون للشعوب السوفيتية وأدت إلى نفى طبقة ظالمة مهيمنة (برجوازية) واحلال طبقة مظلومة (البروليتاريا) وتحويلها عبر آليات قهر إلى طبقة ظالمة مهيمنة لا تقل ظلما عن البرجوازية ذاتها .

النص كيف يعرض ؟

أقصد بالنص .. أى نص (كونى أو ما وراء كونى) ، وأقصد بالعرض التفسير ومن ثم فتفسير النص عبر تأويله يجسد فى كل أوان ومكان رؤية ايدلوجية يجب أن ترتبط فى جدل " مكانى " بالوعى الاجتماعى وفق آليات وأجندة للتغيير والتحرير قابلة للتطور النقدى عبر صيرورة الصراع الاجتماعى على قاعدة لا تقتصر فقط على تفسير وتأويل لنص الواقع أو للنص المكتوب بشكل تجريدى إذ لابد من مردود عملى تحريرى تجريبى

★ (الباحث عاش فى الاتحاد السوفيتى (١٩٧٨ - ١٩٨٧) ولازال ماركسيا ويعتز بالمنهج الماركسى ويدين للاكاديميات السوفيتية والشعب السوفيتى بما وصله من وعى وعلم وادراك .

إنسانى يفقده فى النهاية التجرد، بحيث يكون حصاد طبيعى لمجتمع ما لا يرتبط فيه الناس على أساس الدين أو القرب أو الجوار أو الزمالة (أى بعيدا عن انتماءاتهم الأولية التى لم يختاروها) بل لابد لهم أن يرتبطون كونهم مواطنين (هنا فالسياسية هى التوفيق والموازنة بين أطراف وأهداف متعارضة ، وهو النشاط الذى يتمكن من خلاله مجموعة من البشر من تسيير دفة الأعمال العامة فى مجتمع تتباين خصائص أفراده (٧) .

فى هذا السياق التأملى نرى أن النسق الأيدلوجى للاهوت التحرير يتفاعل جدليا بين النص الدينى - المسيحى - وبين المعطيات المنهجية للماركسية كفلسفة سياسية ، بل ويتفاعل وبشكل تحريرى عبر آليات تفسير وتأويل كلاهما .

وبحثا عن تقديم النموذج للاهوت التحرير، وتحرير الماركسية ، سوف نتوقف قليلا لتأمل ثلاثية التحرير والحب والثورة من خلال ثلاثية الأب اليسوعى المفكر وليم سيدهم (٨) فيما يقول :

إن التحدى التاريخى أمام الكنيسة فى أمريكا اللاتينية فى هذه الفترة يتمثل فى البديل الثالث، وهو القطيعة التامة عن مخططات المسيحية السلطوية وإعادة بناء الكنيسة أنطلاقا من الطبقات المطحونة والمعنى الذى يمكن استخلاصه من قراءة تاريخ الكنيسة فى أمريكا اللاتينية يؤدى إلى هذا الطريق الوحيد، وعلى المسيحيين أن يقوموا بمواجهة صريحة لمفاهيمهم التاريخية، سواء الحقبة المسيحية الاستعمارية أم الحقبات المتتالية، مع نظرة نقدية لكل البنى المسيحية التى سادت هذه الحقبات، ويجب إعادة البحث فى المعنى الذى تخرج به قراءة ثلاثية قرون من الاستعمار المتلازم مع البشارة (٩) ولذلك فـ " وليم سيدهم " يرى أن لاهوت التحرير لا يمكن فهمه إلا فى ضوء هذا الإطار التاريخى ، ومن ثم يضيف سيدهم (١٠) .

«إن اللاهوت يكشف عن حضور الله الذى يتجسد فى تاريخ البشرية من خلال جميع الأحداث التى يتضمنها هذا التاريخ، فاللاهوت يكشف عن سرة الله التى تتحقق فى الزمان والمكان كما يبحث عن سلوك البشر فى إطار الزمان نفسه ليتعرف على مدى تطابقها مع تدبير الله الخلاصى، ويمتد الحديث إلى أن هذا التعريف هو الذى مازال يحكم إعمال العقل فى مواضع الإيمان المسيحى، وقد تولدت على مدار التاريخ بالكنيسة، تيارات لاهوتية أنحصرت فى اللاهوت العقائدى واللاهوت الأدبى واللاهوت الروحى، ومن هنا نشأت العلاقة الخاصة القائمة بين

الجانب " اللاهوتى " من جهة والحديث عن الإنسان من جهة أخرى، أى بين ما يسمى علم اللاهوت " وعلم الإنسان " ، وتكاد تتطابق وتتفاعل رؤية سيدهم مع رؤية (١١) جوتيريز الأب الروحى للاهوت التحرير، حيث يرى أن اللاهوت ليس مجرد معرفة علمية ، بل هو موقف عملى أيضا إلى حد كبير وهو مسخر أولا لخدمة الشعب المسحوق لا لخدمة السلطة الكنيسة، بل أن البحث فى علم المسيح (كل ما يتعلق بحياته وبشارته) ، يجب أن ينطلق من الأرض أى من صفته الإنسانية ووصفه البشرى وتضامنه مع الفقراء ، لامن " السماء " من صفته " الألهية " (ونمض مع وليم سيدهم ولاهوت التحرير حيث يقول (١٢) : أن الحماية التى تتلقاها الكنيسة من الطبقة الاجتماعية المستفيدة من الوضع القائم تتلقاها بصفتها مدافعة عن المجتمع الرأسمالى المسيطر فى أمريكا اللاتينية ، وهذا ما يجعل الكنيسة الرسمية نفسها جزءا من النظام القائم . وبناء على ذلك، أصبحت الرسالة المسيحية مجرد عنصر من عناصر الايدلوجيا المسيطرة

كما أن المقولة السائدة التى ترددها الكنيسة عن موقفها، وهى أنها " لا دخل لها فى السياسة " ليست إلا شعارا هدفه تغطية الأمور والحفاظ على سياسة الأمر الواقع فلا يمكن أن نحدد رسالة الكنيسة بطريقة نظرية مجردة ، بل من الناحية العملية .

ويضيف سيدهم فيما يرتبط بالوعى الاجتماعى والتوعية الانجيلية وحاجة الكنيسة إلى تغيير أسلوب عملها الرعوى من خلال البعد الذى أنبثق من خلال لاهوت التحرير اللاتينى والخاص بالتوعية النابعة من البشارة بالأنجيل(١٣)، سيفرض على الكنيسة ، كمؤسسة وكشعب، أن تجد أساليب جديدة فى العمل الرعوى، وهذه الأساليب غالبا ما يتحمل مسئولية اكتشافها الفقراء والمطحونون أنفسهم، الذين من أجلهم جاء المسيح، وأخطر من ذلك ، فإن هذا " الوعى " سيمكن الفقراء والذين لا صوت لهم من كسر أحتكار " تفسير الأنجيل " والذى كان يقوم به أصحاب السلطة من حكام ورجال دين تابعين لهم مستخدمين إياه لتبرير هذا الاحتكار كما أنه يؤدى إلى تغيير وجهة الكنيسة نفسها، وتغيير بنيتها وطريقة تعليمها ، فتصبح كنيسة غير متعالية على الشعب، بل مندمجة فيه، ومعبرة بصدق عن مصالحة وأمينة لروح الأنجيل، ويجب أن نشير إلى أن " الوعى " الذى نتحدث عنه يختلف عن " التنديد " . فالتنديد بالأوضاع الظالمة فى المجتمع عنصر من عناصر الوعى الإنجيلى " الذى هو بمثابة طريقة جديدة لفهم الحياة بجميع أبعادها ، أنطلاقا من القراءة للإنجيل .

ويذهب مفكرو لاهوت التحرير إلى أبعد من ذلك إلى أن الاعتراف بوجود " الصراع الطبقى " لا علاقة له بالاتجاهات الاخلاقية أو الدينية ، بل هو أعترف بواقع قائم فعلا (١٤) ويروا أن التزام الحياد فى هذا الصراع غير ممكن فالمسألة لا تطرح من زاوية قبول أو إنكار واقع يفرض نفسه علينا، بل المطلوب هو معرفة الجهة التى تنحاز إليها الكنيسة . هى جهة الظالم أم جهة المظلوم ؟ وحين تتجاهل الكنيسة الاعتراف بوجود هذا الصراع، فإنها تتصرف، من الوجهة الموضوعية بصفتها جزء من النظام الحاكم .

ويلخص سيدهم الإشكالية (١٥) فى أن الصراع الطبقى واقع ملموس، واتخاذ الكنيسة موقفا حياديا من هذا الصراع غير ممكن لأنها طرف فيه ومن زاوية أخرى فإن التساؤلات المطروحة على إيماننا المسيحى بسبب هذا الصراع واقعية أيضا إذا علينا أن نوفق بين مطلب المحبة الشاملة للجميع النابع من إيماننا والاحتفاظ بوجود الكنيسة، وبين استثناء البعض من هذا الحب، كما يبدو فى الواقع . وهنا تبرز الإشكالية الكنسية بين ضرورة إعلان محبة الله " لجميع البشر " وضرورة " الانحياز للفقراء " .

ولذلك فهناك تحد مطروح على المسيحى الملتزم بكامل صيرورة عملية التحرير، إذ كيف يستطيع أن يعيش هاتين الحقيقتين بشكل عميق وباطنى حتى ولو بدت فى الخارج استحالة الجمع بينهما ؟! . هذا التحدى - كما يتجسد فى لاهوت التحرير - يجب أن يقود المسيحى إلى تعميق إيمانه وأن يكون حبه للآخرين حبا ناضجا لا سطحيا ، فإن شمولية الحب المسيحى تصبح مجرد فكرة ذهنية لامكان لها إلا فى خيالة، إن لم تتحقق بشكل ملموس فى التاريخ فالحب الشامل ، فى مفهوم لاهوت التحرير، هو الذى يتضامن مع الكادحين يعمل على تحرير الطغاة من طغيانهم ومن تطلعاتهم المريضة ومن أنانيتهم، ومما قيل فى هذا الصدد أن حبنا للعائشين فى الخطيئة بشكل موضوعى يتطلب منا أن نناضل لتحريرهم منها، بذلك يتم تحرير الفقراء وتحرير الأغنياء فى الوقت نفسه ، يجب على المسيحى أن يحب جميع الناس، ولكن بطرق مختلفة : فنحن نحب المقهور بدفاعنا عنه بتجريده من أغلال القهر ، أما الطاغى فنحن نحبه بتوجيه النقد إليه ومحاربة طغيانه، فكلا الموقفان نابعان من محبة مسيحية تشمل الطرفان .

وهكذا قدم لنا وليم سيدهم عبر لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية نص لاهوتى إنسانى، يتفاعل مع الماركسية كفلسفة سياسية لا تتناقض مع محددات الإيمان العقائدى الممثل فى أحد الأديان الماوراء الكونية وهو الدين المسيحى، عبر تنوع آليات التفسير والتأويل، مما يحرر الفكر

المسيحى والماركسى معا من الرؤية الدوجماتية " التى تجعلهما فى صدام لا مصالحة .

ولكن يبقى السؤال : إلى أى مدى يمكن الاستفادة من بعض نواحى لاهوت التحرير بخلفياته الفلسفية التى جسدناها من قبل فى محيطنا الشرقى العربى المصرى (المسيحى الإسلامى) - الأمر الذى يقودنا تأملنا فيه إلى ربط الاشكالية الثانية بالثالثة ، حيث يمتد التساؤل: إلى أى مدى يمكن التفاعل بين لاهوت تحرير مسيحى - كاثوليكى، مختلف عليه حتى الآن فى مجتمعات أمريكا اللاتينية الموحدة الدين والمذهب، وغير المتناحرة أثنيا إلى حد ما ، وأن كانت متناقضة ومتصارعة طبقيا، وبين محيطنا الشرقى العربى المتعدد الأديان (كونية وما وراء كونية) والأعراق: عربية وغير عربية، واللغات والثقافات ، تلك هى الإشكالية والتحدى للاهوت التحرير ولاهوت الإنسان .

جوهر الواقع وبنيته وديناميته :

(أن جوهر الواقع فى العالم العربى ، تعددى، سواء على الصعيد الاثنى والعرقى) أو على الصعيد الدينى، أو الصعيد الثقافى ومن المفهومات الرئيسية فى علم الاجتماع مفهوم الجماعة العرقية أو الاثنية

(Ethnic Group)وكلمة " إثنية " مشتقة من أصل يونانى (Ethno) بمعنى شعب ، أو أمة ، أو جنس (١٦) وفى العصور الوسطى، كان يطلق هذا اللفظ فى اللغات الأوربية على من هم ليسوا مسيحيين

أو يهودا، ولكن فى العصور الحديثة، أصبح اللفظ يستخدم فى العلوم الاجتماعية ليشير إلى جماعة بشرية يشترك أفرادها فى العادات والتقاليد واللغة والدين وأى سمات أخرى ، مميزة بما فى ذلك الأصل والملامح الجسمانية، ولكنها تعيش فى نفس المجتمع والدولة مع جماعة أو جماعات أخرى تختلف عنها فى أحدى السمات .

والتمييز بين أفراد جماعة معينة عن جماعة بشرية أخرى ينطوى إلى عنصر ذاتى وعنصر موضوعى، العنصر الموضوعى هو وجود التباين بالفعل فى اللغة أو الدين أو الثقافة أو الأصل القومى أو السمات الفيزيقية، أما العنصر الذاتى فهو إدراك أفراد الجماعة وإدراك الجماعات الأخرى القريبة منها لهذا التباين والاختلاف، الأمر الذى يؤدى إلى الشعور بالانتماء إلى جماعة معينة فى مواجهة الجماعات الأخرى، وقد تتفاوت درجات كل من العنصرين الموضوعى والذاتى من موقف لأخر ومن مرحلة تاريخية لأخرى، فالتباين فى اللغة مثلا قد تتفاوت درجاته من

الاختلاف الكامل (مثل الأرمنية والعربية) ، وكذلك التباين الدينى، الذى قد تتفاوت درجاته من الاختلاف الهائل بين ديانات (ما وراء كونية - وكونية) إلى الاختلاف الأقل داخل الديانات الما وراء كونية (الإسلام - المسيحية - اليهودية) إلى اختلاف أقل درجة مثل التباين المذهبى فى المسيحية بين (الأرثوذوكسية والكاثوليكية والبروتستانتينية) ومثل

(السنة والشيعة) فى الإسلام، إلى اختلاف طفيف فى الطقوس والممارسات (مثل المدارس الفقهية الأربعة فى الإسلام (الحنبلية - المالكية - الشافعية - الحنفية) والمهم من وجهة نظر التفاعل والعلاقات بين الجماعات الإثنية ليس هو عناصر التباين الموضوعية أو درجة تفاوتها، بل ما يترتب عليها من حدة فى الإدراكات الذاتية، ومن مواقف.

واتجاهات اجتماعية وسياسية ، وانعكاس كل ذلك- فى أنماط السلوك والعلاقات تجاه الجماعات الأثنية الأخرى المجاورة لها أو المتفاعلة معها، فقد يكون الاختلاف الموضوعى فى أى من المتغيرات الأثنية كبيرا، ولكن أفراد الجاعات المتفاعلة أو المتجاورة لا يصفون على هذا الاختلاف أهمية تذكر، ولا يرتبون عليه نتائج موقفية أو سلوكية ذات بال ويمكن أن يكون العكس صحيحا، فقد يكون التباين الإثنى طفيفا للغاية بين جماعتين ومع ذلك تضفى كل جماعة على ذلك الاحتلاف الطفيف أهمية قصوى، وترتب كل منها عليه مواقف حدية وأنماطا من المعتقدات العدائية والسلوك الصراعى المتبادل. كذلك قد يأخذ أحد المتغيرات الأثنية (مثل التباين فى الدين أو اللغة) أهمية قصوى فى مرحلة تاريخية معينة، وتتضاءل أهمية نفص المتغير تماما فى مرحلة تاريخية أخرى بين نفس الجماعات فى نفس المجتمع أو فى نفس الرقعة الجغرافية .

وكان من الطبيعى أن تهتم العلوم الاجتماعية ليس فقط برصد وتحليل وتفسير التباين الموضوعى بين الجماعات الإثنية، ولكن أهم من ذلك بالعوامل المؤثرة فى إدراك هذا التباين الموضوعى، وما يترتب عليه من نتائج بنائية وقيمية وسلوكية، وقد استحوذت العلاقات التنافسية والصراعية بين الجماعات الإثنينة. على وجه الخصوص - بنصيب الأسد من اهتمام العلماء الاجتماعيين المعنيين بالموضوع، والأدبيات المكتوبة والمنشورة فى هذا الصدد تمثل كما هائلا لا يستطيع حتى المتخصص أن يحصيها أو يلم بها جميعا .

ومن الخصائص الاجتماعية التى تميز الجماعة الإثنية - إلى جانب

اختلافها عن غيرها فى متغيرات اللغة أو الدين أو السلالة أو الأصل القومى .. الخ .. خاصيتان مهمتان :

الخصية الأولى: أن عضوية الجماعة الأثينة هى عضوية غير تطوعية فأفراد الجماعة يولدون فيها، ويرثون خواصها الإثنية مثل الدين أو اللغة أو لون البشرة، وبالتدرج يكتسبون بقية خواصها الثقافية والمزاحية فالفرد عند مولده لا يختار الجماعة الإثنية التى ينتمى إليها- أى أنه لا يقرر هو أن يكون أبيض البشرة أو أسودها، ولا يقرر أن يكون مسيحيا أو هندوكيا، إن كان هذه السمات تفرض على الفرد قبل أو عند مولده وحتى بعض الخصائص الأثنية الممكن تغييرها - مثلا الانتماء الدينى أو المذهبى - لا يتم عادة إلا بعد أن يصل الفرد إلى مرحلة أكبر، أما عند ولادته فهو أسير للجماعة الأثنية التى ينتمى إليها والداه، لذلك عادة ما يطلق على هذه الصفات الإثنية اسم (السمات الإرثية) . (ASCRIPTIVE TRAITS)

الخاصية الثانية : هى التزاوج الداخلى (ENDOGAMY)فالغالبية العظمى من أفراد أى جماعة إثنية ينتهى الحال بهم إلى الزواج من أفراد نفس الجماعة الإثنية من الجنس الآخر، هذه الخاصية ليست بصرامة الخاصية الأولى.

فقد يحدث التزاوج بين أفراد ينتمون إلى جماعات إثنية مختلفة، ولكن الشواهد الميدانية تشير كلها إلى أن ذلك هو الاستثناء عن القاعدة العامة..

ولعل هاتين الخاصتين - العضوية الجبرية والتزاوج من الداخل - هما المسئولتان عن حفظ الكيان الجماعى البشرى والثقافى لأية جماعة إثنية، فعن طريق العضوية الجبرية عند المولد تضمن الجماعة تجدد صفوفها وتتأكد عملية الإحلال والتعويض عمن تفقدهم الجماعة من أعضاء نتيجة الوفاة، أما التزاوج من الداخل فيتم من خلال الضغوط الاجتماعية والنفسية المستمرة - بشكل مباشر أو غير مباشر - على أفراد الجماعة الأثنية (راغبا) و (مفضلا) للزواج من داخل الجماعة، ومن جهة أخرى إذا " ساورت " الفرد فكرة التزاوج من خارجها فإن أدوات (الضبط الاجتماعى) (- (CONTROL SOCIOLالتى تتراوح بين التفريع والعزل - عادة ما تثنية عن الفكرة، أما إذا تسامحت الجماعة الإثنية أكثر من اللازم، فى مسألة التزاوج من الخارج، فإن وجودها نفسه ككيان متفرد يصبح مهددا بخطر الأنصهار والذوبان .

ب- مفهوم الجماعة الأقلية

فى العرض السابق لمفهوم " الجماعى الإثنية " لابد أن يكون واضحا أن

المفهوم واسع ويغطى كل من الجماعات البشرية مادام هناك ما يميزها عن غيرها فى صفة أو أكثر ما دامت هى وغيرها تدرك هذه الصفة المميزة، وتضفى عليها معانى رمزية ، تترتب عليها نتائج فى العلاقات والسلوك، وبهذا التعريف المفهومى الواسع، يذهب العلماء الاجتماعيون السوفيت إلى اعتبار " الأمة " نفسها جماعة إثنية، ودرج العلماء الاجتماعيون الغربيون على اعتبار كل جماعة مختلفة موضوعيا وتدرك هذا الاختلاف ذاتيا، بمثابة جماعية إثنية سواء كانت جماعة قومية، أو دينية ، أو مذهبية أو لغوية أو جماعية ذات نمط معيشى متميز مثل البدو والغجر، ولكن المدقق فى الكتابات التى تستخدم هذا المصطلح – الجماعة الإثنية – يلاحظ أن القاسم المشرك فى الكتابات السوفيتية والغربية على السواء هو أدخار المصطلح للإشارة إلى الموقف والسياقات التى فيها أكثر من جماعة إثنية واحدة داخل نفس الإطار السياسى والمجتمعى .

أى أننا لا نطلق على الفرنسيين فى فرنسا اصطلاح جماعة إثنية عادة، وبدلا من نستخدم اصلاحات أخرى مثل الشعب الفرنسى أو " الأمة الفرنسية " أو " المجتمع الفرنسى " .. الخ ولكننا نطلق على أصحاب الثقافة الفرنسية الذين يعيشون فى كندا وصف " جماعة إثنية " وفى الولايات المتحدة يطلق هذا الصلاح على كل الجماعات الرئيسية التى يتكون منها المجتمع الأمريكى مثل " البيض " و " السود " والبروتستانت والكاثوليك واليهود والأيطالين والأيرلنديين والبولنديين والأسبانيين وفى الاتحاد السوفيتى السابق ، وأتحاد الجمهوريات اليوغسلافية السابق كان يستخدم اصطلاح الجماعة الإثنية كمرادف " الجماعة القومية " وأكتسب هذا المصطلح معنى سياسيا – حضاريا أدى إلى الأعتراف بهذه الجماعات ككيانات سياسية تتمتع بدرجة عالية من الحكم الذاتى، ويتكون من مجموعها الكيان السياسى الأكبر، والذى كان يعرف باسم الاتحاد السوفيتى، ويوغوسلافيا .

استخدام مصطلح " الجماعة الإثنية " – إذن – ينطوى على وجود جماعة أو جماعات إثنية أخرى تعيش معها فى نفس المجتمع أو الدولة ، وعادة لا يقتصر الاختلاف والتباين بين تلك الجماعات على أحد المتغيرات الإثنية (مثل الدين أو اللغة أو الأصل القومى أو السلالى)، ولكن أيضا على الحجم العددى ومظاهر الغلبة والقوة الاجتماعية فى أشكالها السياسية والاقتصادية والثقافية ومن هذا أرتبط البحث والحديث فى موضوع الجماعات الإثنية بعلاقات الأقلية مع الأغلبية فى نفس المجتمع فنادرا – وإن لم يكن مستحيلا – أن تتساوى الجماعات الإثنية فى نفس

المجتمع من حيث الحجم الكمى والمكانة الاجتماعية والقوة السياسية ، والمنزلة الثقافية . والوظائف الإنتاجية ، أن التباين الإثنى إذن - عادة ما يقرن بتباين كمى سكانى ، وتباين كيفى فى نمط العلاقات التوزيعية .

ولسنين طويلة كان اصطلاح (الأقلية) ينصرف أساسا - وفى المقام الأول - إلى جماعة أو جماعات إثنية صغيرة العدد، تعيش مع جماعة إثنية أكبر تضم أغلبية عددية، وبتراكم الأبحاث والدراسات الميدانية عن العلاقات الإثنية وخاصة المقارن منها، بدأت قيمة عنصر الحجم الكمى كمعيار لتحديد (الأقلية) تفقد بعضا من أهميتها السابقة .

التعريف الاجتماعى للأقلية يركز على علاقات القهر والسيطرة بين الأغلبية والأقلية فليست كل أقلية عددية هى بالضرورة مقهورة وليست كل أغلبية عديدة هى بالضرورة قاهرة الأوربيون فى معظم أقطار العالم الثالث كانوا يمثلون أقلية عددية ، ولكنهم يسيطرون ويقهرون السكان الأصليين (الأهالى) الذين كانوا أغلبية عددية فائقة، والشكل الاستعمارى الاستيطانى الذى كان فى الجزائر وزيمبابوى (روديسيا) ، وفى فلسطين وجنوب أفريقيا، وهو عبارة عن تسلط أقلية وافدة أصلا من الخارج واستوطنت الأرض بالقوة أو فى حماية جيش احتلال، وتمارس قهرها على الأغلبية من السكان الوطنين هذا إذا لم تقتلعهم من أرضهم وتقذف بهم خارج الحدود كما فعلت إسرائيل بعرب فلسطين، أو تحجز على حركتهم داخل مناطق أشبه بمعسكرات الأعتقال ، كما فعلت الأقلية العنصرية البيضاء فى جنوب أفريقيا بأهل البلاد الأصليين .

مع وجود هذه الأمثلة وغيرها مما يزخر به التاريخ وعالمنا المعاصر ، من سيطرة بعض الأقليات على (الأغلبيات) المحيطة بها يظل نمط (الأقلية) مرتبطا فى ذهن الكثيرين بجماعة إثنية مغلوبة على أمرها، وتعيش تحت رحمة أو قسوة الأغلبية العددية، وربما كان هذا الارتباط الوثيق فى أذهان الناس - بين كون جماعة معينة (أقلية) وبين كونها (مقهورة) أو مظلومة - هو الذى دفع بعض العلماء الاجتماعيين إلى عدم الاكتفاء بالمعيار العددى الكمى فى تعريف مفهومى (الأقلية) و (الأغلبية) فالذى يجعل من جماعة إثنية معينة (أقلية) بالمعنى السوسيولوجى فى رأيهم هو أنها معدومة الحقوق أو تحتل منزلة أدنى فى المجتمع ، حتى لو كانت أقلية عددية وبهذا المعنى يعتبر هؤلاء العلماء الاجتماعيون النساء، فى معظم المجتمعات أقلية اجتماعية بالنسبة للرجال، وذلك لأنهن مهضومات الحقوق ولا يتمتعن بالمساواة مع الرجل .

ورغم وجاهة هذا المنطلق فى تحديد مفهوم (الأقلية) ، إلا أنه يضيف إضطرابا وبلبلة مفهومية فى العلم الاجتماعى النظرى والتطبيقى، لذلك لم يزل مقبولا عند الكثير من المهتمين بدراسة الجماعات الإثنية أن يدخل العنصر الكمى كأحد معايير تعريف (الأقلية) مع إضافة عناصر أخرى تأخذ فى الحسبان علاقات القهر والسيطرة ، أو التوتر والصراع بين الأقلية وغيرها من الجماعات الإثنية ، سواء كانت هذه الأخيرة نفسها تمثل أقلية أو أغلبية عديدة .

الجماعات الإثنية - سواء ما كان منها - يمثل إقلية أ وأغلبية عددية تصبح إذن ذات مغزى للدراسة السيوسولوجية ليس لذاتها فحسب، ولكن لاستكشاف نمط علاقاتها بعضها ببعض فى نفس المجتمع أو فى إطار نفس الوحدة السياسية القانونية ، سواء كانت هذه الأخيرة دولة

أو إمبراطورية، فالوعى الإثنى بالذات لا يتولد ولا ينمو لدى جماعة معينة إلا بسبب وجود علاقات الجيرة والتفاعل مع جماعات إثنية أخرى، إن الأدراك الذاتى للتفرد أو الاختلاف عن (الآخرين) هو نتاج لرؤية وإدارك هؤلاء الأخيرين ، ذلك أن معنى (نحن) و (هم) والتباين بين (النحن الجماعية) و (الهم الجماعية) يكمل كل منهما الآخر على المستوى الإدراكى السيكولوجى، فإدراك فرد ما لكونه أبيض البشرة

لا يتم إلا من خلال إرداكه لفرد أسود البشرة، وإدارك فرد (لعروبته) لا يأتى إلا من خلال إدراكه أن هناك آخرين (غير عرب) وهكذا . والجماعة الأثنية تنمى فى أفرادها هذه القدرة الإدراكية مبكرا كجزء من عملية التنشئة الاجتماعية ، وكضرورة لحفظ كيانها الجمعى وترثها الثقافى، أو لتكريس مصالح ومزايا مكتسبة، كما أن (الآخرين)

(جماعات الأثنية الأخرى) بدورهم يفعلون نفس الشئ، لنفس الاعتبارات، وأحيانا يكون هؤلاء (الأخرون) عاملا هم فى تنمية الوعى الإدراكى الإثنى من خلال ممارسات التفرقة والتميز فى المعاملة والسلوك مع من ليسوا من (جماعتهم) ، وبالتالى ينمو عند أفراد هذه الأخيرة وعى إثنى متزايد نتيجة الإحساس بالاضطهاد. وبالتعبير آخر، تنطوى العلاقات الإثنية صراحة أو ضمنا على آليات نفسية - اجتماعية الإدماج ( ) (INCLUSION والاستبعاد) (- (EXCLUSIONأى شروط من ينطبق عليه أن يكون من جماعة (النحن) الجماعية، ووضعه فى جماعة (الآخرين) أو (الهم) .

مفهوم الأقلية فى الخبرة الإسلامية

يرجع أغلب الكتاب الغربيين على السواء ازدياد الاهتمام بظاهرة

الأقليات ، على مطلع القرن التاسع عشر، حينما تضمنت أتفاقيات فيينا (١٨١٤ - ١٨١٥) نصوصا تدعو على الحرية الدينية والمساواة السياسية. ثم تطور الاهتمام بتكثيف الحركة اليهودية العالمية فى الربع الأول من القرن العشرين لنشاطها الداعى لحماية الأقليات عامة، والمطالبة بحماية الأقليات اليهودية خاصة منحها المساواة الكاملة فى الحقوق المدنية والسياسية فى الدول التى كانت تنكر هذه الحقوق. ثم زاد الاهتمام بظاهرة الأقليات بمناداة الحركة الاشتراكية العالمية، منذ بدايتها، بحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وإعلان الرئيس الأمريكى ويلسون لمبدأ حق تقرير المصير فى عام ١٩١٨م. ثم إشارة أتفاقيات مؤتمر السلام بفرساى فى (١٩١٩ - ١٩٢٠ م) فى إطار عصبة الأمم إلى الحقوق الثقافية والقومية للأقليات ، ثم أنشاء الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وما تبعتها من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر فى (١٩٤٨/١٢/١٠) والذى حرص على تأكيد على منع التمييز بسبب العرق أو الدين أو اللون أو الاتجاه السياسى. وصولا إلى إعلان الأمم المتحدة الخاص بحقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية أو عرقية

أو دينية أو لغوية والصادر فى (١٩٩٢/١٢/١٠) .

إلا أن الجدير بالملاحظة بداية، والإشادة لاحقا، أن كثير من المشتغلين بدراسة الأديان فى الشرق والغرب يتفقون على أن المسلمون كانوا أول من وضع بعض القواعد المنهجية لدراسة " الملل والنحل" ، وأن غيرهم ممن أشتغل بهذه العلوم ابتع قواعدهم ، واستفاد من محاولاتهم، اهتمام المسلمين بدراسة كتب الأديان السماوية بدراسة والعقائد الذهبية بدأ مبكرا، حتى أن أبو الفرح البغدادى المعروف بالورق وصاحب كتاب " الفهرست " يذكر أن أحمد بن عبد الله بن عبد السلام ترجم للخليفة هارون الرشيد التوراة والأنجيل، وأنه تحرى الدقة فى الترجمة. فإذا صح ما يقوله الورق فإن معناه، وجود ترجمة عربية للعهدين القديم والجديد فى أواخر القرن الثانى للهجرة ,ويرجع أهتمام المسلمين بدراسة الأديان والمذاهب، للرد على أصحابها. وفى سبيل ذلك ألفوا كتابا بعضها خاص بطائفة من الطوائف وبعضها عام .

فألف أبو الحسن الأشعرى كتابه : " مقالات الإسلاميين "

وألف عبد القاهر البغدادى كتابه : " الفرق بين الفرق "

كما ألف ابن حزم الظاهرى كتابه : " الفصل فى الملل والنحل "

أما الكتب الخاصة فمثل :

" تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرزولة " للبيرونى "

هذا خلافا للكتب الكثيرة التى وضعا فى الرد على بعض الفقه الإسلامية على بعضها الآخر، وتلك التى وضعت فى الرد على اليهود والنصارى: ككتاب الرد على النصارى " للرقيلى " والرد على النصارى " لأبى القاسم القيسى "

إلا أن كتاب " الملل والنحل " للشهرستانى، يمتاز عن غيره من الكتب الإسلامية التى ألفت فى هذا الموضوع بميزة جعلته فريدا. فهو دائرة معارف مختصرة للأديان والمذاهب . والفرق (عد الشهرستانى ٨٠ ديانة ومذهبا وفرقة)، وللآراء الفلسفية المتعلقة " بما وراء الطبيعة التى عرفت فى عصر الشهرستانى (٤٧٩ - ٥٤٨ هـ) وقد حاز هذا الكتاب أعجاب المهتمين وتقديرهم فى الشرق والغرب عنه يقول مثلا العالم الألمانى " هابركر " فى مقدمة ترجمته للمل والنحل :

" بواسطة الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل نستطيع أن نسد الثغرة فى تاريخ الفلسفة بين القديم والجديد، أما العالم الألمانى " ماخ " وقد كان فى عصره من المتخصصين فى الفلسفة اليونانية فقد قال أنه " لا يشك فى صحة ما نسبه الشهرستانى من الأقوال إلى ديمقريطيس على الرغم من أنه لم يجد هذه الأقوال محفوظة بين ما نقله كتاب الأغريق عن ديمقرايطيس " وقد ترجم " الملل والنحل " إلى اللغات : الفارسية والتركية والألمانية ، وطبع فى أوروبا عدة مرات وفى فارس والهند وتركيا .

وظهرت منه فى مصر وحدها عدة طبعات، وعنى بعضهم بتخريجه وتحقيقه والتعليق عليه .

ومن القواعد التى التزمها المسلمون فى الدراسات المقارنة للملل والنحل، الحيدة التامة فى عرض وجهة نظر الآخرين دون أية محاولة للرد عليها أو إظهار بطلانها أو تهافتها قبل إتمام العرض. ومن الكتب الأخرى التى يصدق عليها ذلك :

كتاب " مقاولات الإسلاميين " لأبى الحسن الأشعرى المتوفى فى ٣٢٤هـ، وكتاب " الملل والنحل " للشهرستانى المتوفى فى ٥٤٨هـ ، وكتاب (مقاصد الفلاسفة) الغزالى المتوفى فى ٥٠٥ هـ، وكتاب " الفصل فى الملل والهواء والنحل " لأبن حزم الظاهرى المتوفى ٤٥٦ هـ

التأصيل اللغوى لمفهوم الأقلية :

لم يستخدم العلماء المسلمين تعبير الأقليات سواء فيما يتعلق بدراسة الجماعات التى تختلف عن جماعة السنة، أو فيما يتعلق بدراسة جماعات

غير المسلمين ففى حين استخدمت مفاهيم الملل والنحل والشيع والطوائف كبدائل لمفهوم الأقليات الإسلامية وهى تلك الأقليات التى كانت تختلف حول واحدة أو أكثر من الأمور الفقهية، فإن مفاهيم أهل الذمة وأهل الكتاب " وأصحاب الملل قد طرحت للتعبير عن مفهوم الأقليات غير الإسلامية خاصة أقليات الفرس والهنود والتى حظيت باهتمام واسع من العلماء المسلمين لدرجة أن أبو الفرج الوراق فى كتابه الفهرست قد عقد للمذاهب والاعتقادات الخاصة بهما أكثر من خمسين صفحة وخص الحديث عن التوراة والأنجيل خمس صفحات والفرق المسيحية صفحة واحدة. ويبين الجدول التالى أهم المفاهيم الفرعية المرتبطة بمفهوم الأقليات فى الخبرة الإسلامية والدلالات التى كانت تشير إليها هذه المفاهيم، وذلك حسب أشهر المعاجم ثقة وصيتا

ومن الجدير بالذكر أن الفكر الغربى الأمبريالى ، والفكر الصهيونى الإسرائيلى، والفكر الاشتراكى الماركسى كانوا أكثر تنبها لظاهرة الأقليات الإثنية فى الوطن العربى، وقد توفر كل من هذه الأنواع الثلاثة من الفكر على دراسة الظاهرة، وتوظيف معرفته بها لخدمة أغراضه ومخططاته، وفقا الفكر الأمبريالى والصهيونى، بتوظيف هذه المعرفة - ولم يزل - لكى يزيد من تفتيت الركن العربى ، ولكى يستنزف طاقاته المادية الروحية والعسكرية فى حروب وصراعات داخلية ولكى يزيد الوطن العربى ضعفا على ضعفه وسنجد الفكر الماركسى قد درس ظاهرة الأقليات من منطلق تقدمى وذلك فى سياق تحليل البنية الاجتماعية - الاقتصادية للوطن العربى وفى سياق التعرف على أنماط الاستغلال والقهر .

هذا ولا يخفى أن الفكر الإسلامى منذ بدايته قد اعترف بوجود " الملل والنحل " أى الأقليات والطوائف الدينية - وبمشروعية اختلافها مع الأغلبية المسلمة فى شئون عقيدتها وأفرد للموضوع كثير من الأحكام التى تنظم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين فى دار الإسلام .

ولم يكن تجاهل العمل الوحدوى لموضوع الأقليات بأقل من تجاهل الفكر القومى لها. فالأقليات لم تدع للمشاركة فى أى مجهود وحدوى، وربما يقال أن الجماهير العربية نفسها لم تعط الفرصة للمشاركة الحقيقة فى العمل الوحدوى، أو أى عمل سياسى آخر فى العقود الأربعة الأخيرة. ولكن عدم اشتراك الأقليات يكتسب حساسية وخطورة فى ظل حالتين . أولاهما، أن يكون حجم وتميز إحدى هذه الأقليات كثيرة نسبيا فى قطر معين (مثل لبنان والعراق والسودان) ، وتكون عناصرها البشرية مركزة جغرافيا فى منطقة واحدة داخل هذا القطر. وثانيتهما، حماس

وإقبـال النخبـة الوطنيـة الحـاكـمـة فى هذا القطر - أو ذاك - على مشروعات العمل الوحدوى، هنا قد تحس الأقلية بخطر داهم لا فقط على مصـالحها، ولكن أيضـا على كيانهـا الاجتمـاعى وتراثها الحضـارى، وبالتالى يحـدث انفجـار، فى شكل عصيان مسلح أو حـرب أهليـة وتتصـرف القيـادة فى هذه الحالة عن مشروع التوحيد القومى إلى تعبئة طاقاتها للمحافظة على وحـدتهـا القطرية . وفى (الجـهـاد) للحـافظة على الوحدة القطرية تسـيل دمـاء غـزيرة ، وتتفق مـلايين عـديدة وتتعـثـر مـشـروعـات التـوحـيد السياسى والتكامل الاقتصادى العربى .

٢ - أهمية مسألة الأقليات

ربما كانت الحداث الدامية فى لبنان منذ عام ١٩٧٥م وإلى عام ١٩٩٠م - ومـا صاحبها من دمـار شـامل لأهم مؤسسـات المجتمع اللبنانى - بمثـابة الصدمة الدرامية التى تحتاجها الأمة العربية لتذكرها بمسألة الأقليات إن الذى حدث فى لبنان ليس أكبـر حجـمـا أو أبشع عنفـا بالطبيـعة بالضـرورة مما حـدث فى أجزاء أخـرى من الوطن العـربى الفـارق الأكبـر هو فى درجة تعقـيد الوضع اللبنانى من نـاحيـة، ومـركـزيتـه بالنسـبـة للجسم السـيـاسى والاقـتـصـادى العـربى من نـاحـيـة أخـرى، ولكن المتـأمل لكل الانفـجـارات المسلحـة فى العـالم العـربى خـلال ربع القـرن الأخـيـر يلاحظ أن مـعظمـهـا كانت مـرتبطة بالمسـألة الإثنية (الأقليـات) فـالحـرب الأهلية فى السـودان والتى اسـتـغـرقت ثلثى عمـره منذ الاسـتـقـلال والحـرب الأهليـة فى شـمـال العـراق والتـى اسـتـمـرت بدورهـا - بشـكل أو بأخـر - لأكـثـر من عـقـدين من الزمان وحتى الصراع الذى تورطت فيه مصر لعدة سنوات خلال الستينات فى اليـمن - هذه كلها أدت لان يكون مـجمل خسـائرنا فى حروبنا الداخليـة تكاد تمثل عشرة أمثال خسائرنا فى الصـراع العربى الإسـرائيلى .

فى الاستعراض المسحى للأقليات ظهرت بعض الجماعات أكثر من مرة وهذا يعنى اختلافها عن الأغلبية فى أكثر من مـتغيـر إثنى، من المتغيـرات الإثنيـة الأربعـة (اللغـة ، والدين ، والمذهب ، والسـلالة) الحـالة الأكـثـر وضـوحـا فى هذا الصـدد فى القـبـائل الزنجـيـة فى جنوب السـودان فـهى تختلف عن الأغلبية فى المتغيرات الإثنية الأربعة - فلغتها ليست العربية ، ودين معظمها ليس الإسلام وأغلبهم معتنقون لأديان (كونية) وبالتالى فهى ليست سنية المذهب، وسلالتها ليست حامية - وسامية

(أو بحر متوسطية) . فإذا أفترضنا أن هناك مقياسا متعدد الدرجات للتـفـاوت الإثنى فى الوطن العـربى فـإن الجـمـاعـات الزنجـيـة فى جنوب

السودان ستحتل أقصى درجات هذا المقياس احتلافا عن الأغلبية .

الحالة الثانية الواضحة فيما يتعلق بعدد متغيرات الاختلاف هى حالة اليهود فى فلسطين المحتلة (إسرائيل) ويلتفون فى متغير واحد وهو السلالة (البحر المتوسطية الحامية - السامية)

الحالة الثالثة التى يتعدد فيها التفاوت الإثنى هى حالة الأرمن فى الوطن العربى. فهم يختلفون عن الأغلبية فى متغيرى اللغة والدين

(وبالتالى المذهب) ، وينطبق نفس الشىء عن الجيوب الصغيرة من الأرامبين - الآشوريين السريان - حيث يختلفون فى اللغة والدين

(وبالتالى المذهب) عن الأغلبية العربية المسلمة السنية الحالة الرابعة التى يزدوج فيها الاختلاف، فيشمل متغيرين إثنين هى حالة الأقلية الإيرانية فى دول الخليج . فهذه الأقلية تختلف عن الأغلبية العربية فى متغير اللغة (لغتهم فارسية والمذهب) معظمهم مسلمون شيعة) ازدواجية أو ثلاثية، أو رباعية التفاوت الأثنى عن الغالبية هو المسئول إذن عن ظهور نفس الجماعة أكثر من مرة فى فئات المسح الإثنى للوطن العربى

كما يمكن إضافة بعد سادس لتعقيد الخريطة الإثنية للوطن بالنسبة للأقليات الوافدة ، وهو " حالة الوفود " فبعضها وفد إلى الوطن العربى بطريقة سليمة وكملجأ مؤقت (الأرمن والشركس) . وبعضها يعتبر من مخالفات حقب تاريخية أو ترتيبات سياسية قريبة (مثل الأتراك والإيرانيين). وواحدة منها على الأقل وفدت بطريقة غير سليمة، بقصد الاستعمار الأستيطانى، وهى الأقلية اليهودية التى احتلت أرض فلسطين واعتقلت وطردت معظم الشعب الفلسطينى من دياره .

نحو لاهوت تحرير عربى مصرى

إذن نحن نتحدث عن مجتمعات متعددة، ولقد عانت هذه الأقطار العربية وغيرها من أقطار العالم الثالث من محاولة فرض ما يمكن تسميته " بالإندماج العضوى " Organic Integrationأو الإندماج الإنصهارى للتكوينات الإثنية العديدة التى تعيش فى هذه المجتمعات .

وكانت النخب السياسية التى تسلمت السلطة صبيحة الاستقلال مهمومة وشغوفة بتحقيق هذا النوع من الإندماج، إعتقادا منها أن ذلك النوع يقوى وحدتها الوطنية وبنائها السياسى، لذلك دأبت على فرض ثقافة وطنية على المجتمع، وكانت هذه فى العادة هى الثقافة الخاصة بالأغلبية، أو بواحدة فقط من الجماعات الإثنية أو القومية القوية أو الأكثر تطورا فى المجتمع، وبالطبع رأينا كيف أدى الاصطدام وسفك

الدماء بين الجماعات الإثنية والقومية وبعضها البعض.. وكيف أدى إلى إصدار موارد ضخمة بشرية ومادية كانت هذه البلدان فى أمس الحاجة إليها لمشروعاتها التنموية. وفضلا عن هذا الإقتراب الإنصهارى فى مسألة التعددية لم ينجح، فإنه أضاع على هذه البلدان سنوات طويلة، لذلك بدأت النخبات الحاكمة مجبرة تراجع نفسها، وتقدم رجلا وتؤخر الثانية، فى محاولة اكتشاف صيغة أو صيغ بديلة لنموذج الإندماج العضوى - الإنصهارى. وأحد الصيغ البديلة فى أدبيات العلوم الاجتماعية هى ما يمكن تسميته بالاندماج الوظيفى Functional Ingestion وهو ليس إكتشافا جديدا، وإنما هو تأخير نظرى لتجارب بعض المجتمعات المتقدمة مثل سويسرا والولايات المتحدة وروسيا الاتحادية، بل أن الإمبراطوريات الإسلامية، وخاصة العثمانية، كانت تتبع نظاما فرديا قريبا منه (نظام الملك)، وجوهر الإندماج الوظيفى هو تقديم صياغة سياسية تقوم على التعددية لموائمة أو مواكبة التعديدة الاجتماعية والثقافية والإقليمية (الجهدية) فالأحادية السياسية فى مجتمع تعددى (النموذج الإنصهارى) هى ضد قوانين التاريخ والاجتماع، والإندماج الوظيفى فى جوهره هو الموازنة والمواءمة بين مصالح التكوينات الاجتماعية والأقاليم المختلفة بعضها عن بعض، والمواءمة بين هذا كلها من ناحية والحفاظ على الوحدة الوطنية ووحدة التراب الوطنى من ناحية ثانية، وقد أخذ ذلك فى التطبيق أشكالا مختلفة حسب ظروف كل قطر أو دولة تراوحت بين الكونفدرالية والفيدرالية، والحكم الذاتى، والتمثيل النسبى، ولكن أحد شروط صيغة الإندماج الوظيفى هو استعداد جميع النخبات السياسية فى وحدات المجتمع التعددى (جماعات قبلية إثنية أو قدمية أو إقليمية) لقبول مبدأ الوحدة الوطنية والمشاركة فى السلطة، والمشكلة فى معظم أقطار العالم الثالث ومنها الأقطار العربية مثل (العراق والسودان) هو أنه حتى قبول هذا المبدأ الأول، فإن النخبة التى تحكم وحكمت إما ترفض وتتلكأ أو تسوف قبول المبدأ الثانى

(المشاركة فى السلطة) ويثير ذلك بالطبع حفيظة النخبات الأخرى، ومن ثم يلجأون إلى تأسيس الفروق الإثنية والقومية، ويتهيأون إلى رفع راية العصيان بشكل أو بآخر .

وإن كانت كل الأقطار العربية تشترك فى وجود إشكالية " الأقليات " بها، فأن حالة العراق والسودان تختلفان عن حالة باقى الأقطار العربية خاصة مصر، فنحن فى حالة السودان والعراق سبق وطرحنا الإندماج الوظيفى فى مواجهة الإندماج القسرى والإصهارى الذى كلفنا الكثير، إلا

أننا نعود فنأكد أننا لا ندعو لتقسيم الأقطار، بل ندعو إلى الإندماج الوظيفى عبر تفعيل آليات الديمقراطية سواء عبر فيدراليات أو كونفيدراليات فى إطار حكم مركزى على كامل التراب الوطنى وفى باقى الأقطار العربية فنحن ندعو لتفعيل آليات الديمقراطية والمواطنة الكاملة غير المنقوصة. ولكن ترى ما علاقة لاهوت التحرير بتلك الحلول ؟

أولا : فى مجتمع متعدد الملل والمحل والأعراق والأديان مثل المجتمع العربي نحن نحتاج مبدئيا إلى منهج لاهوت التحرير الذى يرتكز على " مسيح مع الأديان "، بمعنى الاعتراف بالتعددية الدينية حيث أن لاهوت التحرير يرى أن الدين سواء " ما وراء كونى " أو كونى فهو يبحث عن المطلوب فى سر الخلاص، مع اعتزاز كل مؤمن بدينه ودون الوقوع فى فخ النسبية .

" ثانيا : بل أن فكرة " الأنثقاف " - أى التجسد الثقافى عند بيرييس وأن كانت أسيوية فهى فى جوهرها معنية بالمجتمع المتعدد الأديان والثقافات والأعراق، إن كان المصطلح قد ظهر فى الكنيسة الكاثوليكية بعد الخمسينات، حينما بدأت الكنائس الأفريقية والأسيوية تطالب بالاستقلال الثقافى بعد تحريرها من الاستعمار وطالبت بالتفرقة بين المرسلين والأجانب بصفتهم يحملون ثقافات بلادهم والرسالة كما أن عقيدة التجسد فى الثقافة المحلية للبلد المرسل إليه ويرى بيريس أن الإنثفاف الحقيقى يقوم على تبنى الكنيسة المعركة من أجل تحقيق العدالة، وذلك بانضمامها إلى جانب الشعوب الأسيوية وتعاونها مع الأديان التقليدية لابناء البلد، وانذاك يصبح الأثفاف ملازما للتحرير ومعادلاً له .

ومن هذا المنطلق يمكن للاهوت التحرير أن يقدم النموذج فى ضرورة تبنى المسجد والكنيس والكنيسة ودور العبادة فى الأديان كل الأديان (ما وراء كونية أو كونية) احترام ثقافات الديانات الأخرى مع احتفاظ كل دين بعقيدته الخلاصية، ويوجد بينهم خوض معركة العدالة وتحرير الإنسان، الأمر الذى يتطلب تبنى طقوس فى قلب الحياة الإنسانية وفى خصم نضالات الإنسانية اليومية فالوقوف إلى جانب المظلومين الفقراء هو ممارسة حياتية وليس مجرد قراءات وصلوات طقسية .

وكما يضيف الأب وليم سيدهم: علينا أن نعود إلى قراءة ماضينا اللاهوتى فى ضوء انتمائنا إلى العالم الثالث بوجه عام، كما فى ضوء انتمائنا العربى بشكل خاص، ما يهمنا الآن ليس المضمون للاهوت فى حد ذاته، بل أن تساعدنا قراءة ماضينا النقدية على اكتساب المنهج العربى

المصرى المناسب لممارستنا اللاهوتية على غرار ما فعل لاهوتيو أمريكا اللاتينية إذ استلهموا تاريخهم الخاص، وشرعوا فى تحليله وفهمه، وبالتالى حاولوا الرد على التحديات المعاصرة التى كانت تواجهم وعلينا فى مصر أن نقول بالمنهج نفسه لنكشف خصوصية حياتنا المصرية كمسيحيين ومسلمين اختبروا تاريخيا خصوصية المعايشة، وعلى مدار آلاف السنين، والتى تشكل أطول تاريخ عرفته البشرية، ويمكن الوقوف على نقط القوة، ونقاط الضعف، لنصل للاهوت مسيحى وفقه إسلامى يدعم ركائز التعايش الخلاق ويسمح لنا بالأنطلاق إلى الأمام فى تدين راسخ وحوار للجميع .

ثالثا : أى أن القضية ليست لاهوت جديد فحسب بقدر أن ما هو أهم من ذلك أكتشاف منهجية جديدة لممارسة اللاهوت أو الفقة، عبر تفسير وتأويل للنصوص وفق التجديد فى أدوات التحليل الاجتماعى وفى سياق أسبقية الممارسة على النظرية، فالروحانية كما يراها الأب وليم سيدهم، لا تعنى نتيجة اللاهوت بقدر ما تعنى الالتزام الجزرى فى سبيل الفقراء والمقهورين، ومن رحم الالتزام الجذرى هذا يولد اللاهوت، فنحن نعرف بأن يسوع " الحق " حينما نتبع يسوع الذى هو الطريق .

رابعا : أن من يتأمل كلمات الأب ديزموندتوتو فى لاهوت التحرير فى أفريقيا (١٩) .

" أن علم اللاهوت يجمع بين عمل كلمة الله المتجسد فى تاريخ البشر وحالة المؤمنين فى زمان ومكان معينين" سيجد أن جوهر النصر

لا يختلف أساسا مع مقاصد الشريعة الإسلامية، أو الناموس اليهودى، أو حتى شرائع عقائد قبايل جنوب السودان .

بل ويضيف الأب توتو ما يصلح لأن تنتقد به حياتنا العربية نفسا حينما يقول:

ظهر اللاهوت الأفريقى فى القارة بعد الاستقلال السياسى كرد اعتبار للديانات التقليدية التى طمسها المستعمر الغربى المسيحى بحجة رؤيتها وعدم ملائمتها للعقائد المسيحية . وقد رفع اللاهوت الأفريقى بعد الاستقلال شعار الأصالة الأفريقية والتحرير من التقاليد الغربية، ولذلك فأن اللاهوت الأفريقى هو نقد مباشر للهيمنة اللاهوتية الغربية، أما لاهوت السود فيتناول قضايا أخرى لا تقل أهميتها عن قضية الأصالة . أنه لاهوت ولد فى رحم الألم والمعاناة التى عناها سكان جنوب أفريقيا السود على يد الطغاة فى النضال العنصرى، فقضايا الألم ، ورفض

التفرقة العنصرية تعتبر أعمدة لاهوت السود ويحض الأب توتو مجسدا اللاهوت الأسود، ويقول (٢٠) : ولكى نفهم الإطار الذى يتم فيه التحرير فى أفريقيا فهما موضوعيا تاريخيا، فمن المفيد أن تتوقف عند النقاط الأربع التالية: العلوم الإنسانية، التحليل الماركسى، والفقر الأنثروبولوجى ويرى أن دراسة كل ذلك تتطلب روحا نقية داخلية وخارجية، كما أنها تتطلب روح الأبداع، علينا أن تدرس علوم الإنسان بعين أفريقية .

وهكذا من يطرح علينا علم لاهوت التحرير منهجا يصلح فقها وناموسا لمجتمع متعدد الأديان والشرائع والأعراق والثقافات والطبقات، ويقدم لاهوت التحرير نفسه رمزا ونموذجا ولد من رحم القهر اللاهوتى والصراع الاجتماعى الطبقى والثقافى المسيطر، ليقدم لنا مسيح لكل الأديان والملل والأعراق والثقافات على قاعدة ضرورة تجسد كلمة الله الخلاصية فى المعركة العدالة وتحرير الإنسان من ظلم أخيه الإنسان بسبب اللون والطبقة أو النوع أو الطرق عبر تأمل وتفسير وتأويل النصوص المقدسة وفق رؤية كل دين على قاعدة الالتزام الجزرى فى سبيل الفقراء سواء كان الفقر اقتصاديا أو روحيا أو انثربولوجيا أننا هنا مصدر وجود منهج تحدث عنه مبكرا الأب وليم سيدهم (٢١) لازال العالم الثالث بتحفظ فى مشاكله الدينية والعراقية والقبلية فى وقت يكتسح فيه العالم الأول والشركات العابرة للقارات الدول الوطنية فى العالم الثالث وهذه ما أصطلح على تسميته بالعولمة إذا يفرض العالم الأول بامكانات التكنولوجية العالمية وشبكات المعلومات والانترنت ثقافة وقيمة التى ليست بالضرورة قيما بناءه بل تعرض الثقافات والديانات المحلية للتآكل والنتيجة التفسيرية

من لاهوت التحرير إلى لاهوت الحياة

وبعد أن تأملنا فى الواقع العربى نصا وروحا وأنسانا وأمتد تأملنا بذات المنهجية للاهوت التحرير وبحثنا عن إمكانية أعمال آليات الجدل الموضوعى بينه وبين الواقع العربى يبرز السؤال النقدى كيف للاهوت أحد الأديان " الماوراء كونية وهى الديانة المسيحية أن يطرح رؤية ومنهج للخلاص الإنسانى للجماعة الإنسانية التى تقطن عالمنا العربى؟ وهل سوف يقبل أعضاء الجماعة الإنسانية فى العالم العربى هذه الرؤية المنهجية خاصة وهى تتفاعل جدليا مع النظرية الماركسية ؟

ذلك ما شغل الأب وليم سيدهم (٢٢)، وفى رحلة بحثه عن لاهوت التحرير كضرورة للمرحلة المقبلة خاصة فى ظل المتغيرات الدولية وسقوط المعسكر الاشتراكى فنجده وفى إطار ما اسماه بالثوابت يطرح علينا،

المشاركة فى التحرير للإنسان من القيود الاجتماعية الظالمة، والقيود الدينية المزيفة، أو السياسة التى لا تحترم حقوق الإنسان الأساسية ويؤكد أن التحرير عند هؤلاء المسيحيين لم يكن موضوعا لاهوتيا نظريا، بل كان مثلا تحريريا يقوم على إبراز عمل الله فى الفقراء أو فى الحياة اليومية ويسعى فى العدالة الغائبة وفى العالم الثالث، أما الثابت الثانى فهو الاحتفاظ بمقولة " الممارسة " وهى أحدى المقولات الأساسية فى العلوم الاجتماعية الحديثة، والمقصود بها تحديدا فى لاهوت التحرير، فهم معنى تطور العملية التاريخية من منظار المقهورين، وتناول اللاهوت ، لا من منظور عقائدى تأملى، بل من منطق تراكم الخبرة العملية للقهر والتحرير فى الآن نفسه، التى يقوم بها الإنسان المؤمن.

ومن الثوابت للمتغيرات : حيث يورد الأب وليم سيدهم :

وأما فى المرحلة الراهنة، فيتخلى لاهوت التحرير عن مصطلح

" التحرير " لصالح مصطلح الدفاع عن الحياة ومن هذا المنطلق يرى دعاة لاهوت التحرير الانحياز إلى جانب الفقراء فى هذه اللحظة التاريخية يعنى الانحياز إلى طاقة الحياة الكامنة فيهم ويتحول هذا اللاهوت من " لاهوت التحرير " إلى " لاهوت الحياة " والمقصود هنا هو الدفاع عن الحياة من أجل الجميع، كذلك فقد تم توسيع مفهوم " الطبقة "

و " الفقراء " وتعميقه فاستخدم مقولة " المقهورين " ، كما وسع مفهوم " الطبقة " البروليتارية لتشمل المستغلين بسبب جنسهم وعرقهم فأصبح المقصود بالفقراء والمقهورين، لا المستغلين اقتصاديا فقط، بل حتى الذين فقدوا هويتهم الوطنية بفقدهم أرضهم كالهنود الحمر والفلسطينيين، وضحايا التفرقة العنصرية كالأمريكيين من أصل أفريقى ، بالإضافة إلى النساء اللاتى ينتمن إلى العالم الثالث والمستغلات اقتصاديا ونفسيا وجنسيا، ثم ينتقل بنا الأب وليم سيدهم : من التركيز على المجتمع السياسى فسلطة الدولة فى النظام العالمى الجديد ستظل دائمة هامة وحاسمة فى تنمية " المجتمع المدنى "، فى مجال التخطيط الاقتصادى خاصة، كما فى مجال حماية الطبيعة، ولكن المقصود أن يركز لاهوت التحرير ممارسته التحريرية على " المجتمع المدنى " من زاوية الحركات الأهلية الشعبية، المنظمات والهيئات الشعبية، فتقوم بإعادة تنظيم العمل وأسلوب الانتاج والتسويق وتكييف التكنولوجيا وتلبية الحاجات الصحية والتعليمية والسهر على حل مشاكل المسكن والترفيه .. الخ بطرق تختلف

عما يفرضه النظام العالم الجديد المسيطر، سواء فى مراكزه أم فى أطرافه .

كل ذلك اللاهوت الحياتى دفع إلى ضرورة التحول من المجابهة العسكرية إلى المواجهة الثقافية والأخلاقية والروحية، لأن الأحداث أثبتت أن المواجهة على هذه الجبهة خاسرة لا محالة، فالتكنولوجيا المتقدمة التى ابتدعتها آلة الحرب للإمبراطورية الرأسمالية تحول دون ذلك، فمن العبث لهذه الدول الفقيرة أن تدق طبول الحرب وتجيش الجيوش لمجرد التهويش والكذب على شعوبها، ولذلك ففى المجال الثقافى مثلا، على الشعوب فى العالم الثالث أن تقاوم ثقافة تزكية روح الحروب والعنف التى يفرضها النظام المسيطر لتسيير مصانعه وترساناته الحربية كما أنه على هذه الشعوب أن تقف خصما للثقافات الفردية والمادية التى يفرضها هذا النظام السائد، ناهيك عن ضرورة رفض الثقافة التى تدعو إلى السلام والمحافظة على البيئة والتضامن الاجتماعى، فهى تستطيع أن تساهم فى تغيير دفة الأمور لصالحها، كذلك فى المجالين الأخلاقى والروحى، فإن الاحترام المطلق للحياة البشرية، ورفض الكيل بمعيارين بين الشعوب، والتشبث بالقيم الروحية التى هى جوهر الديانات السماوية وغيرها من الديانات، كالبوذية والهندوسية والتأويه.. ، يجب أن تقف سدا منيعا فى وجه النفى الملازم للمادية الرأسمالية التى لا يأخذ من الدين إلا ما يعطى مصالحها الضيقة .

كتب الأب وليم سيدهم هذه الرؤية عن جدل الانتقال من لاهوت التحرير إلى لاهوت الحياة فى صيف ١٩٩٣، ليؤكد على أن لاهوت التحرير فى صيرورة تفاعله مع الواقع الموضوعى قد اتسع بمفاهيمه الاجتماعية والإنسانية ليستوعب ليس التعددية فحسب بل والتفكيكية أيضا بمعنى أنه تجاوز حتى منظروا الماركسية الجدد ، واضفى وعيا اجتماعيا إنسانيا حتى على المفاهيم الغربية للمجتمع المدنى، فالمجتمع المدنى المرتبط بلاهوت الحياة الذى يطرحه الأب سيدهم يرتبط شد الارتباط بالصراع الطبقى والوعى الاجتماعى، وحق الدفاع عن الفقراء والمهمشين والمحرومين طبقيا أو روحيا أو انثرولوجيا من خلال نزعه إنسانية ترقى إلى حد الدفاع عن الحياة الكونية بشكل يصل ما بين كرامة الإنسان الكونية وتلبية حاجاته فيما وراء الكونية .

وفى ذات المرحلة ١٩٩٣، ومن خلال خبرة واجتهاد مشترك مع مركز ابن خلدون للدراسات التنموية كنت قد انتقلت بذات الكيفية من الماركسية الأخلاقية الأرثوذكسيه إلى الماركسية المدنية فكان لشانى المراكز هذا الاجتهاد الذى ربما يتواصل مع رؤية لاهوت الحياة .

١ - معنى المجتمع المدنى

المجتمع المدنى هو " مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة، التى تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها، ملتزمة فى ذلك بقيم ومعايير الاحترام والتراضى والتسامح والإدارة السلمية للتنوع والخلاف " .

وتشمل تنظيمات المجتمع المدنى كلا من الجمعيات والروابط والنقابات والأحزاب والأندية والتعاونيات. أى كل ما هو غير حكومى وكل ما هو غير عائلى أو إرثى (من الوراثة) وينطوى مفهوم المجتمع المدنى الذى يتكون بالإدارة الحرة لأفراده . ولذلك فهو غير " الجماعة القرابية " - مثل الأسرة والعشيرة والقبيلة . ففى الجماعة القرابية لا دخل للفرد فى اختيار عضويتها . فهى مفروضة عليه بحكم المولد أو الإرث . والمجتمع المدنى غير الدولة، التى تفرض جنسيتها أو سيادتها وقوانينها على من يولدون أو يعيشون على إقليمها الجغرافى، دون قبول مسبق منهم . وينضم الناس إلى تنظيمات المجتمع المدنى من أجل تحقيق مصلحة أو الدفاع عن مصلحة مادية أو معنوية .

الركن الثانى، هو التنظيم الجماعى

فالمجتمع المدنى هو مجموعة من التنظيمات كل تنظيم فيها يضم أفرادا أو أعضاء اختاروا عضويته بمحض إرادتهم الحرة، ولكن بشروط يتم التراضى بشأنها أو قبولها ممن يؤسسون التنظيم أو ينضمون إليه فيما بعد. وقد تتغير شروط العضوية وحقوقها وواجباتها فيما بعد. وقد تتغير شروط العضوية وحقوقها وواجباتها فيما بعد . ولكن يبقى أن هناك " تنظيما " وهذا التنظيم الرسمى أو شبه الرسمى، هو الذى يميز " المجتمع المدنى " عن المجتمع عموما.

فالمجتمع المدنى هو الأجزاء المنظمة من المجتمع العام. المجتمع المدنى هو تجمع "عضويات" فبقدر ما يحمل أى مواطن من بطاقات عضوية، بقدر ما يمكن عنصرا نشطا فى مجتمعه المدنى والذين لا بطاقات عضوية لهم (فى أحزاب أو أندية أو نقابات، أو اتحادات أو صناعية ، أو تعاونيات ، أو جمعيات أو روابط) فإنه يصدق عليهم وصف " المهمشين" ((Marginal أو " المستضعفين " ((POWERLESSفى أى مجتمع معاصر.

الركن الثالث: لمجتمع المدنى هو ركن اخلاقى سلوكى، وينطوى على قبول الاختلاف والتنوع بين الذات والآخرين، وعلى حق الآخرين فى أن يكونوا منظمات مجتمع مدنى تحقق وتحمى وتدافع عن مصالحهم المادية

والمعنوية، والالتزام فى إدارة الخلاف داخل وبين منظمات المجتمع المدنى بعضها البعض، وبينها وبين الدولة بالوسائل السلمية المتحضرة، أى بقيم المجتمع المدنى وضوابطه المعيارية وهى قيم الاحترام والتسامح والتعاون والتنافس والصراع السلمى،

٢ - المجتمع المدنى والموجه الثالثة للديموقراطية

والعلاقة وثيقة بين المجتمع المدنى والديموقراطية، خاصة فى ركنها الثالث الخاص بحق الاختلاف فى الآراء وفى المصالح المادية والمعنوية، فهذا الركن هو جوهر الديموقراطية، لإدارة الاختلاف والتنافس والصراع، طبقا لقواعد متفق عليها من كل الأطراف، ولكن إلى جانب ذلك فإن منظمات المجتمع المدنى مدارس للتنشئة السياسية على الديموفراطية، فسواء كانت جمعية خيرية، أو ناديا رياضيا، أو رابطة ثقافية، أو حزبا سياسيا، أو نقابة عمالية .. فأنها تدرب أعضاءها على الفنون والمهارات اللازمة للديموقراطية فى المجتمع الأكبر: الالتزام بشروط العضوية، وحقوقها وواجباتها، والمشاركة فى النشاط العام، والتعبير عن الرأى والاستماع إلى الرأى الآخر ، وعضوية اللجان ، والتصويت على القرارات ، والمشاركة فى الانتخابات ، وقبول النتائج، سواء كانت على هوى العضو أو لم تكن .

هذا فضلا عن أن منظمات المجتمع المدنى هى فى جانب أساسى من جوانبها تعتبر (جماعات مصالح) تنمى وتدافع عن هذه المصالح فى مواجهة المنافسين والخصوم من جماعات المجتمع المدنى الأخرى، وعلى مواجهة الدولة أيضا، ملتزمة بالإدارة السلمية للاختلاف. وبهذا المعنى فإنها جزء لا يتجزأ من النظام الديموقراطى العام ؛ وجد فعلا جزء لا يتجزأ من الشروط اللازمة لوجود مثل هذا النظام وصلاحه، أو التمهيد لنشأته إن لم يكن موجودا بالفعل .

ولهذا السبب حرصنا فى هذا . التقديم لهذا الكتاب، فى هذا المشروع، على ربط المجتمع المدنى بالتحول الديمقراطى، فى العنوان وفى المحتوى. وقد أطلق عالم السياسة الأمريكى صامويل هانتجتون وغيره مصطلح " الموجة الثالثة " على ما يجتاح العالم من رياح ديموقراطية، بدأت فى البرتغال عام ١٩٧٤، واستمرت طوال العقدين التاليين، وأمتدت من جنوب أوروبا إلى جنوب أمريكا، إلى جنوب أفريقيا؛ ومن شرق أسيا إلى شرق أوربا .

فخلال الفترة من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٩٤ ، تحولت ستين دولة من أنظمة شمولية أو ديكتاتورية إلى أنظمة ديموقراطية، ويصف علماء

السياسة والاجتماع هذه الظاهرة بأنها " الموجه الديموقراطية الثالثة " لأنه سبقتها موجتان خلال القرنين الماضيين. كانت الموجة الأولى فى أعقاب الثورتين الأمريكية فى أواخر القرن الثامن عشر وأمتدت زمنيا إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، وشملت حوالى عشرين دولة معظمها فى أوربا والأمريكتين .

أما الموجة الديموقراطية الثانية فقد امتدت طوال العقود الأربع التالية للحرب العالمية الأولى (١٩٢٠ - ١٩٦٠) وشملت حوالى ثلاثين دولة . ولكن عددا من بلدان هاتين الموجتين الديموقراطيتين ارتدت عن الديموقراطية لعدة سنوات (مثل المانيا وايطاليا وأسبانيا والبرتغال) قبل أن تعود إليها. وفى كل الأحوال أصبح عدد بلدان العالم التى شملتها الموجات الديموقراطية الثلاث تتجاوز المائة حالياً من مجموع حوالى مائة وثمانين دولة مستقلة من أعضاء الأمم المتحدة وفيما يتصل بأقطارنا العربية فإن الموجة الأولى لم تشملها على الإطلاق ثم شملت الموجة الثانية (١٩٢٠ - ١٩٦٠) قلة منه تعد على أصابع اليد الواحدة. حتى هذه القلة ارتد معظمها عن الديموقراطية مع عام ١٩٦٠ . وفى الموجة الحالية، التى بدأت منذ عام ١٩٧٤، لا نجد من الواحد والعشرين قطرا عربيا سوى ثمانية أقطار فقط - هى مصر والمغرب والجزائر وتونس ولبنان والأردن والكويت واليمن وموريتانيا - بها درجات متفاوتة من التحول الديموقراطى؛ بينما تظل أغلبية الأقطار العربية ترزح تحت أنظمة حكم غير ديموقراطية . وحتى الجزائر انتكست الديموقراطية الوليدة فيها منذ بداية عام ١٩٩٢ ؛ كما تعرضت تجربة اليمن الواعدة لامتحان قاس ، حينما نشبت فيها حرب أهلية فى منتصف عام ١٩٩٤ .

٣ - المجتمع المدنى : رأس المال الاجتماعى

فى كتاب صدر مؤخرا للعالم الاجتماعى الأمريكى " روبرت بوتنام " ، الأستاذ بجامعة هارفارد بعنوان " جعل الديموقراطية تعمل : التقاليد المدنية فى ايطاليا الحديثة .

R.D Putnam , aking Democracy Work: Cicil Tradition in Modem)

ITALY Princeton : Princetion Universit Press, 1993)

ويؤكد المؤلف النقطة المذكورة سابقا، أى العلاقة الوطيدة بين المجتمع المدنى والمديموقراطية، على المستوى المحلى فى إيطاليا المعاصرة. وقد وجد الأستاذ بوتنام أن الحكومات والمجالس المحلية فى شمال إيطاليا تعمل بديموقراطية أكثر كفاءة بكثير منها فى جنوب ايطاليا . وبعد أن

حاول كل التفسيرات الممكنة خلص إلى تفسير رئيسى وهو ما أسماه "رأس المال الاجتماعى " ولا يعدو هذا الإصطلاح " رأس المال الاجتماعى) أن يكون هو بذاته ما نسميه فى هذا التقرير " بالمجتمع المدنى " بل أن " روبرت بوتنام " فى العنوان الجانبى يؤكد هذا المعنى بكلمات " التقاليد المدنية فى إيطاليا الحديثة " ورأس المال الاجتماعى هو عدد ونوعية تنظيمات المجتمع المدنى فى أى منطقة ، مقارنة بعدد السكان فيها ويمكن حساب الثراء والفقر والمدنى بمؤشرات تقريبية طبقا لهذا المعدل .

وقد وجد الأستاذ روبرت بوتنام " من دراساته الميدانية الكثيفة ، التى استمرت حوالى عشرين عاما أن معدلات التنمية الاقتصادية قد ارتبطت وثيقا " برأس المال الاجتماعى " أى بقوة المجتمع المدنى . فمنظمات المجتمع المدنى تمنح أعضاءها مجموعة كبيرة من المهارات ، وشبكة واسعة من الاتصالات، تتيح لهم فرصا عديدة لبدء المشروعات الاقتصادية، من مختلف الأحجام والجاح فى إدارتها والتغلب على المشكلات التى تواجهها، بل يذهب الباحث إلى أن ما هو شائع فى القرى والأحياء الشعبية المصرية من ممارسات " جمعيات الإدخار الدوارة "

(Rotating Credit Associations)هى نموذج لأصغر تكوينات المجتمع المدنى ، وهى تلك الجمعيات التى يقوم اعضاؤها بدفع مبلغ مقطوع شهريا، على أن يتناوب كل عضو فى تلقى مساهمات كل أعضاء الجمعية مرة واحدة شهريا، وهكذا أن يكون كل عضو قد دفع مبالغ شهرية مساوية لعدد أعضاء الجمعية .

وقد وجد " بوتنام " أن هذه هى الطريقة التى بدأت بها معظم المشروعات الصغيرة فى شمال إيطاليا، منذ نهاية القرن الماضى، والتى تطور بعضها ليصبح كبيرا أو حتى عملاقا مع نهاية هذا القرن . وتقوم " جمعيات الإدخار الدوارة على المبدأ العام نفسه الذى يحكم المجتمع عموما .. الإرادة الحرة فى المشاركة، والإقرار بحق الآخر فى أن يرعى مصالحه، والثقة المتبادلة بين الأعضاء ، حتى دون أن تجمعهم علاقات قرابة .

وهكذا كلما حللنا مفهوم " المجتمع المدنى " تكتشف لنا عناصر عديدة تجعل من المفهوم مرادفا لمعنى " التقدم الإنسانى " عموما فهو ينطوى على تغييرات للحرية والمبادأة والمشاركة، واحترام حقوق الآخرين ، الالتزام بإدارة الخلاف إدارة سلمية والتعاون من أجل المصالح المتبادلة .

٤ - نشأة المجتمع المدنى

ينشأ المجتمع بهذه الصيغة التى حددناها من تكوينات اجتماعية

واقتصادية حديثة كالطبقات والفئات المهنية وغيرها من جماعات المصالح، وقد تزامنت هذه العملية فى الغرب مع العمليات التحويل الرأسمالى، التصنيع والتحول الحضرى، وحق المواطنة ونشأة الدولية القومية، وفى حين أن الولاء المطلق للمواطنين يفترض أن يتجه للدولة القومية بصفتها تجسيدا طبيعيا للمجتمع بأسره، فأن الولاء الفرعى يتحرك تبعا للمصالح، فيتركز فى الطبيقة والمهنة والحى وما شابه ذلك وتنشأ التنظيمات الاختبارية ويتسع نطاقها حول المصالح المتعددة للمواطنين ، كالأحزاب السياسية والاتحادات العمالية والنقابات والنوادى والمؤسسات الاجتماعية. وبينما يتسم الولاء للسيادة العليا للدولة بالعاطفية والتجريد، نجد أن الإنتماء للتنظيمات الاختيارية يقوم على مصالح ويتسم بالعينية ويظهر فى أوقات عديدة، وفى حين أن الولاء للدولة يتسم بالشمول ويلقى إجماعا من كل المواطنين ، فأن الانتماء إلى التنظيمات الاختيارية يتسم بالخصوصية والتغير فى شدته واستمراريته .

بعبارة أخرى إذا كان المواطن نادرا ما يغير انتماءه إلى الدولة القومية، فإنه كثيرا ما يغير إنتماءه على التنظيمات الاختيارية، كالطبقة والمهنة والوضع الاجتماعى والحى ، تبعا للحراك الاجتماعى رأسيا وأفقيا .

وبقيام التنافس أو حتى الصراع فى المصالح بين مختلف الكيانات الاجتماعية والاقتصادية داخل الدولة القومية الواحدة، وتطور أنظمة الحكم تدريجيا بأتجاه مزيد من المشاركة السياسية، أى نحو الديمقراطية، وفى العادة تكون بعض التكوينات الاجتماعية والاقتصادية أكثر وعيا بمصالحها وأسرع من غيرها فى تنظيم صفوفها من أجل الاحتفاظ بالسلطة السياسية، أو الوصول إليها أو اقتسامها فى إطار الدولة، أما التنظيمات الأقل وعيا وتنظيما لصفوفها فإنها تكون أقل حظا، ولكنها تتعلم فن الحياة التنظيمية بمرور الوقت وعن طريق المحاكاة . لذا فقد تضاعفت تنظيمات المجتمع المدنى فى الغرب عددا وأزداد تنظيمها تعقيدا، على مدى القرون الثلاثة الأخيرة ويفترض الكثيرون أن يكن جهاز الدولة بمثابة ساحة " محايدة " لكل تنظيمات المجتمع المدنى، فالتنافس بين هذه التنظيمات غالبا ما يكون حول السيطرة على الحكومة أو التأثير فيها، حيث أنها المركز العصبى لعملية اتخاذ القرار فى الدولة، وقد يكون حياد الدولة أمر يثير الجدل كما أن الحدود بين الدولة والحكومة والنظام غالبا ما تتسم بالغموض من الناحتين النظرية والعملية، وفى أذهان المواطنين العاديين على السواء، ولكن لما كان المجتمع المدنى قد تزامن فى تطوره مع تطور الدولة القومية، فقد زادت نقاط الاتفاق بينهما على

النقاط الخلاف، فلم يستقل أحدهما عن الآخر تمام الاستقلال ، وإنما فقد بدرجة نسبية .

إذن فإن افتراض الصلة بين الدولة والمجتمع من منظور " المعادلة الصفرية " قد يؤدى إلى التشتت المضل. فقوة الدولة لا تعنى بالضرورة ضعف المجتمع المدنى أو العكس، أما فى الوطن العربى فالحالة الأكثر شيوعا هى ضعف المجتمع المدنى وضعف الدولة معا .

إن الصلة بين المجتمع المدنى والتحول الديموقراطى تبدوا واضحة ومنطقية فالديمقراطية هى مجموعة من قواعد الحكم ومؤسساته للإدارة السلمية للعلاقات بين الجماعات المتنافسة أو المصالح المتضارية، ومن ثم فإن الأساس المعيارى" المجتمع المدنى " هو الأساس المعيارة نفسه " الديمقراطية " وإذا نحيا نمط الديمقراطية المباشرة فى " أثينا " أو " مجلس المدينة " جانبا ، لوجودنا أن تكوينات المجتمع المدنى هى أفضل قنوات المشاركة الشعبية فى الحكم . إن هذا جوهر مفهوم المجتمع المدنى كما استخدمه منظرو " العقد الاجتماعى " وحتى هيجل " و " ماركس " و " دى توكفيل " و " جرامشى " وكل ما نفعله مستخدمو المفهوم من المحدثين فهو بلورته والتوسع فى رصد مظاهرة فى المجتمعات المعقدة المعاصرة .

ويرى بعض المراقبين أن تأخر التحول الديمقراطى فى الوطن العربى يرجع إلى غياب أو توقف نمو " المجتمع المدنى " وما يستتبعه من " ثقافة سياسية " بل يذهب بعض المستشرقين والعنصريين إلى حد رفض إمكانية تطوير المجتمع المدنى العربى، وبالتالى إنكار أى مستقبل للتحول الديمقراطى الحقيقى فى وطننا العربى، وإذا أمعنا النظر فى هذه الأدعاءات فى ضوء الوقع سواء قبل العصر الحديث أو فى الوقت الراهن وجدنا الأمر غير ذلك فعلى الرغم مما نلاحظه من تشوه وتلكؤ، فأن الوطن العربى يمر اليوم بعمليتى بناء للمجتمع المدنى والتحول الديمقراطى معا . والصلة بين العمليتين واحدة فى جوهرها ففى الوقت نفسه الذى تنمو وتتبلور فيه التكوينات الاجتماعية والاقتصادية الحديثة، فأنها تخلق معها تنظيمات مجتمعها المدنى التى تسعى بدورها إلى ترسيخ دعائم المشاركة فى الحكم .

٥ - المؤسسات المدنية العربية التقليدية

إن المجتمع التقليدى (ما قبل الحديث) فى الوطن العربى ، كان قائما على سلطة سياسية تستمد شرعيتها من مزيج من الغلبة العسكرية والمصادر الدينية .

إذ كانت الطوائف والمذاهب الدينية، والأقليات العرقية، تدير معظم شئونها الداخلية من خلال زعماء منتخبين أو مُعينيين وكان يسند لهؤلاء الزعماء أمر السلطة القضائية والإدارية داخل جماعتهم الخاصة ، ولم يكن الأمر يخلوا من بعض التوتر داخل كل جماعة ، إلا أنه كان يدار داخليا، وقد يكون هناك قدر من التوتر أيضا فيما بين فئتين أو أكثر من هذه الجماعات، إلا أنه كان، غالبا ما يتم حله وديا أو ربما بتدخل مباشر من جانب السياسة المركزية .

وكان يتم الحفاظ على هذا التوازن فى إدارة المجتمع من خلال عدد من الآليات ، كالتدرج الطبقى، والاستقلالية النسبية للحرف والسكن والموارد (ومعظمها من الأوقاف) ، وكان التكافل الاجتماعى يقوم على أساس المهنة والدين والمذهب. كما كانت السلطة المركزية تتولى جمع الضرائب وإقامة العدل بالشريعة ، وتحافظ على النظام العام والدفاع وكانت ترعى الفنون والعلوم أحيانا أما الخدمات الاجتماعية والمهام الاقتصادية المباشرة فلم تكن من الالتزامات المتوقعة من " الدولة " بل كانت تترك فى الغالب للجماعات المحلية وبهذا فإن المجتمع العربى التقليدى لم يعرف مرادفات المؤسسات المدنية وحسب ، بل أنه عاش بها، فكان الأفراد يعتمدون على هذه المؤسسات فى الحفاظ على هويتهم والوفاء بكثير من احتياجاتهم الأساسية، وكانوا محصنين نسبيا من التعامل المباشر مع السلطة السياسية وفى التوازن التقليدى ، كان المجال العام الذى تتفاعل فيه المؤسسات المدنية يتطابق مع الفضاء المادى الذى كانوا يعيشون فيه ويعملون .

وكان هذا التوازن فى إدارة المجتمع تتخلله من حين لآخر " فتن " و " نكبات " ويشير قاموس المفردات السياسية العربية بمصطلح " الفتنة " إلى القلاقل الداخلية الحادة التى كان يصحبها فى العادة صراع مسلح، فى حين كان يقصد بمصطلح " النكبة " التعرض للغزو من جانب قوة أجنبية (غير مسلمة) تصحبه فى العادة عمليات سلب ونهب وتدمير وإبادة، وكان ينجم عن كل من " الفتن " و " النكبات " خلل فى التوازن التقليدى فى الحكم لفترة تطول أو تقصر، ولكن غالبا ما كان يتم لم شتات التوازن من جديد ليعود قويا كما كان .

وكان هذا هو الحال فى معظم القرون الأثنى عشر الأول من التاريخ العربى الإسلامى، ولكن القرنين الأخيرين شهدا حركة تفكك مستمر للتوازن التقليدى فى إدارة الدولة والمجتمع ، ولما كان يصحبه من تكافل اجتماعى اقتصادى ، وكنتيجة مباشرة للاختراق الغربى للمجتمعات العربية ودمجها قسرا فى النظام العالمى الناشئ .

٦ - ولدت معظم الدول العربية الجديدة على يد القوى الاستعمارية الغربية وكانت تحمل فى ثنياها العديد من التشوهات بدءا من المشكلات المفتعلة على الحدود المصطنعة، وأنتهاء بالضعف الداخلى لمؤسساتها. وقد واجهت هذه الدول منذ نشأتها مشكلات وتحديات هائلة على السواء فلا هى استفادت من تراثها من حكمة المؤسسات المدنية التقليدية (قبل الحديثة) ولا هى سمحت بمساحة عامة كافية للؤسسات الحديثة لكى تنمو وتزدهر ونتيجة لذلك، وجدت الدول العربية الجديدة نفسها تحارب على جبهات داخلية وخارجية عديدة .

وبالطبع مر الوطن العربى ببعض من العمليات التى صاحبت ظهور الدولة الحديثة والمجتمع المدنى فى الغرب، ومنها أختفاء التوازنات التقليدية من ناحية ، والمعدل السريع للزيادة السكانية والتحول الحضرى من ناحية أخرى . أما عمليات التحول الرأسمالى والتصنيع فتأخرت كثيرا لذا فإن المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية الحديثة بمثابة العمود الفقرى للدولة الحديثة والمجتمع المدنى، لم تقم بصورة متوالية متسقة، كما هو الحال فى الغرب..

٦ - ١ النمو المشوه للدولة

شهد الوطن العربى ظاهرة نمو اجتماعى - اقتصادى ملحوظ فى العقود الثلاثة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، وهى الفترة التى ولدت فيها معظم الدول العربية المستقلة، إلا أن هذا النمو كان فجائيا غير متسق مما أدى إلى بناء اجتماعى - اقتصادى مشوه . ويتضح تأثير هذا التشوة على نمو المجتمع المدنى العربى كما سنرى فى الفقرات التالية .

بدأت العديد من الدول العربية التى نالت استقلالها فى الخمسينات والستينات خططا طموحة للتوسع التعليمى والصناعى ونتيجة لذلك ، نمت طبقتان جديدتان نموا مطردا، وهما الطبقة المتوسطة الحديثة، والطبقة العاملة الجديدة. وفى ذلك كان التخطيط المركزى والسيطرة على السياسات الاجتماعية والاقتصادية هما السمة الغلبة على معظم الدول العربية. إلا أن العقدين التاليين (السبعينيات والثمانينيات) شهدا مزيجا من السياسات الاجتماعية والاقتصادية المشوشة. فقد أدت الطفرة النفطية الأولى فى السبعينات إلى إغراء العديد من الدول الفقيرة ذات الكثافة السكانية بتبنى ما يعرف بسياسة " الانفتاح " الاقتصادى والليبرالى، دون تخطيط للسيطرة على تداعيات السياسات الاجتماعية والاقتصادية التى سادت فى العقود السابقة فكان هناك ثلاثة قطاعات رسمية تعمل،

أو بالأخرى تضارب بصورة غير متكافئة وهى القطاع العام، والقطاع الخاص والقطاع المشترك، إلى جانب ذلك ، ظهر قطاع " سرى " غير رسمى متنام ، وسادت معايير شديدة التباين للكفاءة والمهارة والرواتب فى الاقتصاد والدولة والمجتمع الوطنى الواحد لذا فقد كانت الآثار المشوهة الناتجة عن ذلك أمرا محتوما، فإزدادت حدة ضغوط التضخم، واختلفت موازين العدالة، وتصاعدت حدة الديون الخارجية فى معظم الدول العربية من ناحية التدرج الطبقى.

نما فى السبعينات والثمانينيات تكونتان اجتماعيان طفيليان، هما طبقة " الأغنياء الجدد " و " طبقة البروليتاريا الهلامية " تحكمت الطبقة الأولى فى جزء متزايد من إجمالى الناتج القومى دون إضافة الكثير إلى الثروات القومية، ونزعت إلى الإسراف فى الاستهلاك وتهريب رأس المال إلى الخارج، أما الطبقة الأخرى - البروليتاريا الهلامية - فقد تضخم حجمها إلى درجة كبيرة ، حتى صارت عبئا يضاف إلى البطالة السافرة والمقنعة كما باتت تعانى حرمانا شديدا، وأصبحت أحزمة الفقر التى تحيط بالمدن الكبرى تمثل قنابل موقوتة تنذر بالانفجار فى أى لحظة ، وفى الوقت نفسه ، عانت الطبقة المتوسطة الحديثة والطبقة العاملة الجديدة، من ذوى الرواتب والأجور الثابتة ، معاناة شديدة من التضخم ، كما إزداد اغتراب هاتين الطبقتين عن الأنظمة الحاكمة فى بلادهما ومن ناحية أخرى ، أصبح من اليسير على المنشقين السياسيين أن يتلاعبوا (بالبروليتاريا الهلامية) الحضرية .

٦-٢- الدولة وإدارة الصراع

إزداد مأزق الدولة فى الوطن العربى تعقيدا بسبب الصراعات الأقليمية والداخلية القديمة التى بقيت دون حل، مضاف إليها ما استجد من الصراعات الأمور التى تتصل ببحثنا هذا عن المجتمع المدنى والتحول الديمقراطى ، ذلك الفشل الذريع الذى منيت به النخب الحاكمة فيما بعد الاستقلال فى إدارة الصراعات .

ومن بين المشكلات القديمة الباقية الصراعات المؤجلة، كصراع العربى الإسرائيلى ، والصراع العراقى الإيرانى، والصراع الليبى التشادى والصراعات القائمة فى كل من لبنان والسودان، الصومال ، والصحراء المغربية، والصراع العراقى الكويتى . وبعض هذه الصراعات يصل عمره إلى نصف قرن (كالصراع العربى الإسرائيلى) وبعضها يعد أقصر نسبيا (كصراع العراقى الإيرانى ، والعراقى الكويتى) ومنها ما دخل فى طور

الصراعات المسلحة التى ظلت تشب وتخبو لعشرات السنين كالصراع العربى الإسرائيلى والصراع الدائر فى السودان)

إلا أنها كلها باهظة التكاليف سواء على المستوى المادى أو البشرى . وتحتل منطقة الشرق الأوسط المرتبة الأولى فى العالم الثالث ، من حيث شراء واستهلاك الأسلحة بمتوسط ١٠٠ مليار دولار خلال العقدين الأخيرين ويبلغ مجموع الاتفاق على الدفاع ضعف ذلك المبلغ . وهكذا تم الاتفاق - أو بتبديد - ما يقرب من ٤٠٠ مليار دولار على الأغراض العسكرية دون التوصل إلى تسوية لمعظم الصراعات المذكورة . وقد تراكم الأنفاق إلى ٢٣٠٠ مليار دولار هى مجموع الإهدار الناتج عن الصراعات فى المنطقة وتقدر أعداد القتلى و الجرحى والمعوقين والمشردين بحوالى ١٣ مليون خلال الفترة نفسها

وبانتشار أسلحة الدمار الشامل (كالأسلحة النووية والكيماوية) فإن التكاليف البشرية والمادية لهذه الصراعات المؤجلة سوف تصل فى التسعينات إلى آفاق فلكية ما لم يتم التوصل إلى حلها .

وما يذكر أيضا أن الصراعات المسلحة الداخلية فى دول المنطقة، فاقت الصراعات بين الدول من حيث الخسائر البشرية وإبادة السكان، لقد أبيدت مجتمعات محلية كليا أو جزئيا فى بعض الحالات ، وكان عدد من هذه المجتمعات المحلية تجمعات عرقية أو مراكز لإقليات . وتشير الخسائر الفادحة من الحالة الاقتصادية وحدها إلى ما كان يمكن تحقيقه من انجازات بهذه الموارد الهائلة، أى أن " التنمية " كانت ضحية رئيسية من ضحايا هذه الصراعات الممتدة . كما أن هذه الصراعات الداخلية قد أجبرت الأفراد والجماعات على التقوقع .

الانتخاب

نحو لاهوت حياة مصرى

وهكذا فمن لاهوت التحرير إلى لاهوت الحياة مرورا بالمجتمع المدنى ، وبعد أن توقفنا بغية الوصول إلى لاهوت تحرير عربى مصرى، وانتقلنا إلى لاهوت حياة عربى، فهل لنا ... أن نتوقف أمام الواقع المصرى المسكوت عنه فى مصر عن جدل العلاقة بين عنصرى الأمة المسلمين والأقباط حتى نتمكن من أنتخاب لاهوت حياة تحريرى من قلب الواقع المصرى .

أن الأقباط لم يلمسوا تضيقا يذكر على حرياتهم الدينية أعتقادا وممارسة منذ الفتح الإسلامى ٦٤١م ومع ذلك قد حدث تحول معظم الأقباط إلى الإسلام بحيث أصبحت أغلبية سكان مصر من المسلمين مع

نهاية القرن العاشر الميلادى وبداية القرن الحادى عشر وحكت هذا التحول عوامل واعتبارات اجتماعية اقتصادية سياسية وثقافية واضطهادية أيضا ولكن الأمانة العلمية توجب علينا أن نصر بنزاهه أن ذلك حدث فيما بعد الفتح وخاصة فى ظل الدولة المملوكية أو الدولة العثمانية .

فرغم روح المودة والتعاون إلا أن الأقباط ظلوا يعاملون بدرجة أقل من المساواة فى الحقوق والواجبات شأنهم فى ذلك شأن بقية أهل الكتاب (الذميون) فى دار الإسلام كما أنهم تعرضوا فى محطات تاريخية وأن كانت قصيرة أو عابرة لصنوف مختلفة من التفرقة والاضطهاد ، خاصة فى أوقات الضيق الاقتصادى والاستبداد السياسى العام التى عانى منها كل سكان مصر، ولكن معاناة الأقباط كانت دائما أكثر حدة فى تلك الأوقات ولم يندمج الأقباط إندماجا كاملا فى المجرى الرئيسى للحياة السياسية فى مصر إلا مع ميلاد الدولة الحديثة والمجتمع المدنى بدءا من عصر محمد على (١٨٠١ - ١٨٨٤) ووصل هذا الاندماج إلى أقصاه فيما سمى بالعصر الليبرالى الأول الذى بدأ بثورة ١٩١٩م وأنتهى بثورة ١٩٥٢ .

فى تلك الحقبة تبوأ الأقباط كل المناصب السياسية التى تبوأها المسلمون، من نواب فى البرلمان إلى وزراء إلى رؤساء وزراء، ومع ثورة يوليو ١٩٥٢ استفادت الطبقات الوسطى والدنيا القبطية، شأنها شأن مثيلاتها من المسلمين بالتغيرات المجتمعية الواسعة التى حدثت، ولكن دورهم فى الحياة السياسية كان أقل حظا شأنهم فى ذلك أيضا شأن المسلمين، ومع الحقبة الساداتية والانفتاح الاقتصادى الرأسمالى استفادت الفئات العليا من الأقباط ولكن الاحتقان الاجتماعى المتراكم منذ هزيمة ١٩٦٧، تفاقم فى السبعينات وأدى إلى ظهور حركات " إسلامية " أصولية متشددة ومتزمتة ومتطرفة داهنها نظام السادات فى البداية، ثم اصطدم بها ، وكان الأقباط من أهم ضحايا هذا الاحتقان الاجتماعى وما صاحبه من حركات التطرف " الإسلامية "، ولكن لأن الأقباط هم جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع المصرى فإن ما يصيب الأغلبية المسلمة يصيبهم أيضا وإن يكن عادة بدرجة أشد حدة ولذلك فقد تعرض الأقباط منذ ١٩٧٢ لكافة صنوف العنف الأربعة : الكلامى - البدنى - المؤسسى - ثم الحرمانى .. ولنبدأ بالحرمان .

الحرمان وشروخ النسيج

يسرد د. وليم سليمان قلادة ، مشاكل أو مطالب الأقباط (فى العدد

١٣٨ من مجلة القاهرة يونيو عام ١٩٩٤) ويحذر من مغبة عدم الإسراع بطرح الحلول قائلا: " إن حرمان بعض مكونات الجماعة المصرية من حقهم الدستورى باعتبارهم مصريين ويذكر مقتبسا من الدستور " إليهم وحدهم يعهد بالوظائف العامة مدنية كانت أو عسكرية

" (م٢ دستور ١٩٢٣) ويضيف : " إن حرمانهم - أى الأقباط - من تولى بعض هذه الوظائف خاصة القيادية منها، فى بعض قطاعات العمل الوطنى، مع استمرار هذا الحرمان بهذه الصورة والسكوت عن إنحرافات اجتماعية أخرى بل والرضا بها واعتبار الوضع المنحرف هو السلوك الطبيعى، فالضمير واحد لا يتجزأ، وحين يفسد فى أمر، فلابد أن يشمل الفساد باقى أجزائه، إننا لا نبالغ إذا قلنا أن القضاء على الفساد والظلم والمحاباه لهذا السبب أو ذاك ، واستعادة العدل والاستقامة فى الحياة المصرية، هذا كله يبدأ بوقفة شجاعة إلى جانب مبدأ المواطنة وتطبيقه بحسم .

عنف مؤسسى :

وأهمية هذا الاقتباس وهذا الحسم هو إرتباط ذلك بنقطتين فى غاية الأهمية هما :

الأولى هى الاستشهاد الذى أورده قلادة مقتبسا من كتاب المفكر أبو سيف يوسف (الأقباط والقومية العربية) الذى يقول فيه : " ذلك أن القسمات الإثنية تخلق فى داخل مجتمع معين ، ومن ثم فهى متحركة، بمعنى أن قسماتها تتأكد فى ظروف معينة، كما أنها يمكن أن تتراجع أو تخفت بل ويتم تذويبها فى ظروف أخرى " .

والنقطة الثانية .. هى نظرية الحرمان النسبى والتعبئة الاجتماعية : تأخذ التعبئة الاجتماعية مظاهر عديدة منها:

الهجرة إلى المدن، وتحول الإنتاج من مظاهرة البدائية " الكفاية التقايضية " إلى " اقتصاديات السوق " ، وإنتاج السلع والمحاصيل النقدية، والإندماج فى الاقتصاد الوطنى والعالمى ، والحراك الاجتماعى أفقيا ورأسيا والتعرض لوسائل إعلام جماهيرية والاختلاط والتفاعل مع جماعة وعبر الجماعات ككل، وتجعل الأفراد خصوصا ، مهيئين لتكوين، أو الدخول فى أنماط وعلاقات اجتماعية جديدة مهنية وطنية سياسية، وجهوية، مغايرة للعلاقات والأنماط التقليدية الإثنية والعشائرية والقبلية والحرفية، كما تضع الأفراد فى تفاعل مع السلطة السياسية مباشرة، أو من خلال الجماعات الجديدة، والتركيز فى الفقرة السابقة على

"السيولة"، و"التهيؤ" بين أفراد الجماعات الإثنية للدخول فى علاقات أنماط جديدة، طالما لم تكن هذه العلاقات والأنماط من النوع الذى يعوض عن تآكل العلاقات والأنماط القديمة طالما أن هذه العلاقات والأنماط الجديدة تشبع الاحتياجات والتوقعات والطموحات التى تختلج عقول وقلوب أبناء هذه الجماعات الإثنية، ما لم يحدث الشيئان أو أحدهما على الأقل، فإن أبناء هذه الجماعات يصابون بعدم الرضا والإحباط ويتعمق عدم الرضا والإحباط فى ضوء المقارنات المستمرة والممكنة بين أبناء الأغلبية والجماعات الإثنية الأخرى والذى يجعل المقارنات ممكنة ومستمرة هو إنهيار أسوار العزلة، حقيقة ومجازا، حقيقة من خلال الحراك الأفقى، مثل الهجرة، ومجازا من خلال التعرض لوسائل الإعلام الجماهيرية، فأسلوب حياة وتطلعات وإنجازات أبناء كل جماعة تصبح فى متناول الملاحظة المباشرة وغير المباشرة للجماعات الأخرى، كما يتعمق عدم الرضا ولإحباط فى ضوء التوقعات والطموحات العالية التى تغذيها حركات النضال من أجل الاستقلال قبيل هذا الاستقلال وبعده فهذا التغذية لتوقعات وطموحات، قبيل وبعد الاستقلال، تكون موجهة لجميع أبناء الوطن بصرف النظر عن انتماثاتهم الدينية أو العرقية، أو المذهبية، أو الاجتماعية وحيث يكون التأكيد فى لغة الخطاب السياسى والاجتماعى هو على "وحدة المصير" و "المساواة " والتطلع إلى مستقبل أفضل للجميع فإذا كان أبناء الجماعات الإثنية خاصة قد استجابوا لدواعى الكفاح وشاركوا فى النضال الوطنى فإن حجم توقعاتهم يزداد طرديا مع حجم المشاركة ومن ثم يزداد حجم إحباطاتهم إذا لم تتحقق مشاركة متكافئة فى الثروة والسلطة والمكانة ، وأسوأ من ذلك إذا لم تتحقق لهم شروط المواطنة الكاملة .

نعود مرة أخرى للحرمان النسبى، وشروخ النسيج والتعبئة الاجتماعية فالدكتور وليم سليمان قلادة يحذر من السكوت عن الشرخ الذى يسمح بالسكوت عنه واستمرار هذا الحرمان فترات طويلة متصلة بشكل فى حقيقة الأمر "شرخا خطرا فى الضمير الجمعى الوطنى ".

والدكتور رفعت السعيد، يقول (مجلة القاهرة، العدد ١٣٨ يونيو ١٩٩٤) : " وهل يمكن أن نتجاهل هذا الالتفاف الصاخب المحتشد حول الكنيسة والذى يعبر عن تحدى محاولات الضغط الدينى بالتمسك والتماسك المضاد ويستطرد " .... كذلك لابد من أن تضع فى الاعتبار المناخ الأسود الذى يجتاح البلد عامة ففى هذا المناخ يصعب على المسيحى أن يخترق أى حاجز إنتخابى فى مجلس ويزداد تعمق الشعوربعدم الرضا لدى المواطنين

المصريين الأقباط فى ضوء التوقعات والطموحات العالية التى غذتها مشاركتهم الدائمة فى حركات النضال سواء من أجل الاستقلال (١٨٩٩-١٩٥٢) أو التحرير الوطنى (١٩٥٦ - ١٩٦٧ - ١٩٧٣) وصولا لرفض الكنيسة المصرية التطبيع مع العدو الصهيونى ببسالة وصمود .

ويقارن الأقباط بين ما كانوا عليه بعد ثورة ١٩١٩ وما أل إليه وضعهم الآن ويقارنون أيضا بين شعارات ثورة يوليو التى تحدثت بخطاب سياسى لجميع أبناء الوطن بصرف النظر عن إنتماءاتهم الدينية أو العرقية أو الاجتماعية والذى ارتكز على وحدة " المصير " و " المساواة " لجميع أبناء الوطن، وبين مصادرتها للأوقاف القبطية، ووضع خانة الديانة فى البطاقة الشخصية ، وبداية التفرقة فى الوظائف العامة، واحتدام ذلك عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧، وتزداد حدة المقارنة بين التوقعات والواقع المعاش إذا ما تذكروا أنهم استجابوا لدواعى الكفاح وشاركوا فى النضال الوطنى، وعلى العكس يجدون أن حجم توقعاتهم يزداد طرديا مع حجم مشاركتهم، ومن ثم تزداد حجم إحباطاتهم إذا لم تتحقق لهم مشاركة متكافئة فى الثروة والسلطة والمكانة، وأسوأ من ذلك إذ لم تتحقق لهم شروط المواطنة الكاملة.

المشاركة السياسية والاقتصادية للأقباط

وحتى لا يعدو الأمر مجرد تحذير إنشائى هل لنا أن نتوقف أمام المشاركة المجتمعية خاصة الاقتصادية (أى المكانة فى الثروة) مقارنة بالمشاركة (أى المكانة فى السلطة) منذ عام ١٩١٩ وحتى الآن لكى نبرهن على انحدار مكانة الأقباط، وزيادة حجم إحباطاتهم ؟

لقد عكست قرارات يوليو الاشتركية عام ١٩٦١ ، والتى لم تفرق حسب الديانة حجم الثروة القبطية من مطلع القرن وحتى تأميمها ومصادرتها وهى كالتالى :

٧٥ ٪ من قطاع النقل والمواصلات الداخلية .

٤٤ ٪ من الصناعة .

٥١ ٪ من البنوك .

٣٤ ٪ من الأراضى الزراعية

أى ما يبلغ وفق إحصاء بعض الاقتصاديين (تقرير غير منشور للكاتب ماجد عطية)إلى ١٥ ٪ من إجمالى الثروة القومية (ولمزيد من التفاصيل انظر للباحث " الأقباط بين الحرمان الوطنى والكنسى " - دار الأمين للطبع والنشر - ١٩٩٥ .

وبعد صدور القانون ٤٧ لسنة ١٩٧٤ الخاص بالانفتاح الاقتصادى ورأس المال العربى والأجنبى عادت أجزاء من الرأسمالية المساهمة أو غيرها التى أسست من ١٩٧٤ حتى بداية ١٩٩٥ هو ٢٢,٥٪ من إجمالى هذه الشركات ككل، وإذا عرفنا أن الأعضاء المسيحيين فى النقابات المهنية (المحامين - الصيادلة - الأطباء - الصحفيين - البيطرين، وغيرهم) تصل إلى ٢٥٪ فى المتوسط من إجمالى العضوية، ويتبقى من المسيحيين فى الطبقات دون المتوسط والدنيا ٥٢,٥ ٪ تقريبا، وهكذا يبدو جليا توزيع المسيحيين شأنهم شأن المسلمين فى النسيج الاجتماعى المصرى (دراسة ميدانية للباحث ارتبطت بهيئة سوق المال - ١٩٩٥) .

العلاقة بين المكانة والثروة والمشاركة السياسية

أولا : ١٩٢٤ - ١٩٥٧ : حلت ثورة ١٩١٩ الإشكالية الخاصة بعلاقة مكانة الأقباط وثروتهم بالمشاركة السياسية فى الهيئات النيابية بشكل نسبى، وفى بعض الأحيان حاز الأقباط على تمثيل سياسى أكثر من مكانتهم مثل برلمان ١٩٢٩، وبرلمان ١٩٤٢، حيث كانت نسبة الأقباط فى البرلمانات كالتالى :

مع ملاحظة أن جميع البرلمانات باستثناء برلمان عام ١٩٥٠ والتى حاز فيها الأقباط على أقل من ٨ ٪ ، كانت برلمانات أحزاب الأقليات، كما تجدر الملاحظة أن متوسط نسبة تمثيل الأقباط منذ البرلمان الأول وحتى العاشر تعادل ٦,٥ ٪ ، وأعتقد أن هذه النسبة كانت متوازنة مع مكانتهم فى الثروة والحياة الاجتماعية، والأهم أن انتخابهم كان يتم على أنهم مصريين وليسوا أقباطا، وكان بعضهم ينجح فى دوائر كلها مسلمون (مكرم عبيد مثلا) أما عن المناصب الوزارية فلا يحتاج الأمر لإحصائيات كثيرة. فقط سوف نضرب بعض الأمثلة لتبوأ الأقباط مناصب وزارية سيادية، غير منصب رئاسة الوزارة الذى تبوأه الأقباط مرتين.

فقد تبوأ الأقباط وزارة الخارجية سبع مرات، ووزارة الأشغال والمواصلات ست مرات، والتموين مرتين، والصحة مرتين، والحربية مرة!

ثانيا : ١٩٥٢ - ١٩٩٥

انخفضت معدلات الثروة والمشاركة، وإن كانت عوامل التعبئة شملت معظم الأقباط خاصة (د. ميلاد حنا مصر لكل المصريين) إلا أن ثورة يوليو لم تحل إشكالية المشاركة السياسية سوى "بالتعيين" . وهو ما يراه بعض المحللين حلا يقترب من الحلول التى رفضها الأقباط سنة ١٩٢٣

وحتى لا يبدو الأمر مجرد حديث مجرد فإليكم الاحصائيات .

لم ينجح بالانتخاب منذ ١٩٥٢ - ١٩٦٣ سوى نائب قبطى واحد وهو فريد فايق فريد فى برلمان ١٩٥٥، (وأعتقل عام ١٩٥٨ فى حملة الثورة على الشيوعيين) وعدد المعينين ٩٣ نائبا ومتوسط وجود الأقباط فى البرلمان الواحد ٥,٦ نائبا ، وإذا قيست هذه النسب بإجمالى عدد النواب فإنها لن تشكل سوى أقل من الواحد الصحيح فى المائة، أما عن الوزارات فلا يوجد قبطى واحد تبوأ وزارة سيادية فى الفترة من ١٩٥٢ وحتى ما قبل وزارة د. كمال الجنزورى الأخيرة وتزداد الأمور ظلاما إذا تحدثنا عن نسب وجود الأقباط فى النقابات المهنية .

وبعيدا عن الحديث عن سلبية الأقباط التى فرضت عليهم فرضا، فعلى الأقل فإن السلبية ظاهرة مجتمعية، ولهذا حديث آخر.. ربما فى بحث، ولكن ما يهمنا الآن هو التأكيد على نظرية التعبئة الاجتماعية، والتى أوردناها سريعا حرصا على المساحة، ونترك المجال للسؤال : هل مشاركة الأقباط سواء فى الكفاح الوطنى من أجل الاستقلال أو الثورة، أو التحرير من الاحتلالين البريطانى أو الإسرائيلى، وكذلك وجودهم ومكانتهم فى النسيج الاجتماعى بمختلف الطبقات، ومشاركتهم فى الثروة تتناسب مع مشاركتهم فى السلطة ؟!!

" وهل نؤكد أنه مادام قد بقيت عوامل التفريق والتمييز والاضطهاد ، والحرمان، فلا مجال لحديث عاقل عن رد فعل " .

خاتمة

(وبعد أن كسرنا ثمرة الجوز وفتتناها لكى نفحصها . هل يمكن للاهوت الحياة أن يعيدها للحياة، نعم يمكن كما أكد هيجل فمن رحم الحياة يولد الموت ومن رحم الموت تتولد الحياة وبومة منيرفا لا تحلق إلا عند الفسق وكما يقول الإمام الغزالى: قد يكون فى الجحيم نافذة على الجنة .

ولكم الرأى الأخير ولله الأمر من قبل ومن بعد .. وها أنا قد اجتهدت فإن أصبت فلى أجرين وإن أخفقت فلى أجر الاجتهاد .

وأكتفى بالأجر الأخير

المراجع

١- دكتور / سلوم توفيق، الإمام الغزالى والجدل - مجلة فلسفة العلوم السفيتية العدد ١٠٤٢ يناير ١٩٧٩ ، أكاديمية العلوم الإنسانية - باكر

ص ١١٤ .

٢- أنطونى دى كرسبى / كينيث ميثوح ترحمة ودراسة د. عبدالله نصار الهيئة المصرية. العامة الكتاب - القاهرة ١٩٩٩ سلسلة مكتبة الأسرة - الأعمال الفكرية، إعلام الفلسفة السياحية المعاصرة ص

٣- ماركس/ انجلز الأعمال الكاملة الطبعة الروسية، دار التقدم موسكو ١٩٦٨ ص ٧٤ .

٤- يعتمد الباحث فى الورقة تقسيم الأب " لويرويوس مريس اليسوعى للأديان على كونها " كونية أو ماوراء كونيه بدل من التقسيم التقليدى ' سماوية - وصعيه - طبيعية .. لمزيد من التفاصيل راجع لاهوت التحرير الأسيوى دار المشرق بيروت الطبعة الاولى ٢٠٠١ عربة وبتصريف الأب وليم سيدهم اليسوعى .

٥- ميشيل فاديه الأيدولجيا وثائق من الاصول الفلسفية دار التنوير للطباعة والنشر بيروت، ١٩٨٢ ص ١٠ ، ١٨

٦- ماركس نقد الاقتصاد السياسة مقدمة فى مساهمة نقض الاقتصاد السياسى باريس . المنشورات الاجتماعية ١٩٦٩ص ٤٠ نقلا عن الترجمة الروسية دار التقدم موسكو ١٩٧٠ ص ٤١ .

٧- دى كرسبنى / كنيس مرجع سابق ص ١٤ .

٨- راجع سيدهم وليم : لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية نشأته، تطوره ومضمونة دار المشرق - بيروت ١٩٩٣ لاهوت التحرير فى أفريقيا دير مسوند توتو واللاهوت الأسود دار المشرق بيروت١٩٩٧ألوزيوس بيريس لاهوت التحرير الأسيوى دار المشرق بيروت ، ٢٠٠٠

٩- وليم سيدهم - لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية مرجع سابق

ص ٣٥، ٣٩

١٠- وليم سيدهم - لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية مرجع سابق

ص ، ٤٠

١١- الأب الروحى للاهوت التحرير "جوتيريز" - كتاب لاهوت التحرير ١٩٧٥ محاضرة القاها فى تموز " يوليو " ١٩٦٨ فى بيرو ثم طورها وأضاف إليها وأصبح هذا الكتاب مرجعا أساسيا مهما فى أمريكا اللاتينية والعالم وترجمة للغات عديدة .

١٢- سيدهم وليم لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية، مرجع سابق

ص ٨٩ .

١٣- وليم سيدهم - لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية مرجع سابق

ص ٩٤ .

١٤- وليم سيدهم - لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية مرجع سابق.

١٥ - وليم سيدهم - لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية مرجع سابق ص٩٨، ١٠٥ .

١٦- د. إبراهيم سعد الدين - الملل والنحل والأعراق - دراسة فى هموم الأقليات فى الوطن العربى من ص ٢١ - ٩٨ القاهرة مركز ابن خلدون ، ١٩٩٣

(عمل الكاتب مساعد للدكتور سعد الدين إبراهيم فى هذه الموسوعة وإعداد الجداول المرفقة خاصة الجدول رقم ١ ويدين الكاتب بالكثير مما وصلة فى المجتمع المدنى لعالم الاجتماع المصرى سعد الدين إبراهيم .

إبراهيم سعد الدين - شفيق سليمان - هموم الأقليات التقرير السنوى الأول مركز ابن خلدون، القاهرة ، ٩٣ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

١٧- بيريس مرجع سابق من ص ٩ إلى ١٤ .

١٨ - لاهوت التحرير فى أفريقيا مرجع سابق ص ٧ .

١٩- لاهوت التحرير فى أفريقيا مرجع سابق ص ٩٨ .

٢٠- لاهوت التحرير فى أفريقيا مرجع سابق ص ١٢٠ ، ١٢١ .

٢١- لاهوت التحرير الأسيوى، مرجع سابق ص ٢٢٧ .

٢٢- لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية، مرجع سابق من ص ١٢١ إلى ١٣٠ .

٢٣- انظر تقارير المجتمع المدنى والتحول الديموقراطى فى الوطن العربى سنة ١٩٩٣، ١٩٩٤ - ١٩٩٥ ، ١٩٩٦ إشراف د. سعد الدين إبراهيم، رئيس التحرير سليمان شفيق .

٢٤- انظر سليمان شفيق - الأقباط بين الحرمان الوطنى والكنسى - دار الأمين - القاهرة ١٩٩٦ - تقديم الدكتور - مصطفى الفقى .

لاهوت التحرير

فى القرن الحادى والعشرين

د . محمد السيد سعيد

(١)

لعب لاهوت التحرير دورا كبيرا كواحد من أهم مصادر التجديد فى الفكر والممارسة السياسية لشعوب أمريكا اللاتينية وآفريقيا وآسيا .كما أنه ألهم هذه الشعوب الحاجة إلى استعادة الحيوية والبعد الإنسانى إلى الظاهرة الدينية وإلى دورها فى إسناد نضالها من أجل العدل فى العالم .

وبينما تركز هذا الدور فى إسناد النضال من أجل انتزاع العدالة الاجتماعية والحريات السياسية فقد التفت أيضا إلى دوره فى تحقيق العدالة الدولية من خلال تصفية النظم العنصرية ومناهضة الفكر العنصرى وخاصة فى جنوب أفريقيا .

ولعلنا نعرف لاهوت التحرير فى هذا الإطار بأنه مجمل الاطروحات التى تنهض على أن الاختبار الحقيقى للخير والنضال الفعلى من أجل الخلاص يجب أن يتم فى العالم وفى آتون العلاقات الاجتماعية على كل المستويات من خلال مواجهة شتى صور الظلم وإقامة سلام عادل فى الأرض واقتلاع الفقر وتحقيق التقدم الاجتماعى وإطلاق قدرات الإنسان وإطلاق طاقاته الخلاقة لاهوت التحرير هو ممارسة للتدين أيضا كموقف اجتماعى عدالى ونضالى يمكنه أن يحدث قطيعة مع موقف آخر يبحث عن القوة والغلبة والثروة والسلطان والانفراد بالعالم وممالأة الأقوياء.

استعادة الإنسان إلى مركز الاهتمام هو نفسه الضمان الوحيد لاستعادة المضامين الروحية الحقيقية الكامنة فى الدين .هذا هو ـ فيما أظن ـ المعنى العام وربما التعريف المبسط للاهوت التحرير وهو تعريف يمكن أن يجعل دوره متجددا وقابلا للاستمرار.

ثم بنته الفقر والظلم الاجتماعى أو الاستبداد والاحتكار السياسى .ومن الواضح أن النضال من أجل إنهاء هذه الظواهر المدمرة للروح الإنسانية

لابد أن يستمر .غير أن قضايا جديدة ومشكلات لا تقل خطورة برزت على جدول أعمال الإنسانية فى نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، وتوسعت ممارسات ونضالات المؤمنين بصورة واعية أو غير واعية برسالة لاهوت التحرير إلى تلك القضايا وتطورت آليات جديدة للكفاح .وربما لم يكن بوسع فلاسفة ولاهوتيى التحرير متابعة تلك التجديدات التى قاموا بها أنفسهم على المستوى الفكرى اللاهوتى والفلسفى وتزعم هذه الورقة أن الثورة اللاهوتية الحقيقية قد لا تتم قبل تأمل هذه التجديدات تأملا عميقا على المستوى الفكرى اللاهوتى والفلسفى .

ثمة مشكلات جديدة لا يبدو أن لها حلولا سريعة فى سياق النظم الحالية .فإلى جانب مشكلات الفقر هناك تهديد فظيع للبيئة العالمية وهو تهديد يعظم مئات المرات عن أسلحة الدمار الشامل التى تمثل قضية أخرى بذاتها .وهناك أيضا التفجيرات المريعة للحالة الإثنية وللصراعات المرتبطة بها - وبالارتباط مع ذلك كله هناك مشكلة العنف والإرهاب والمهاجرين الذين تتم التجارة بآلامهم وهى تشكل جزءا من تجارة أوسع فى المواد المخدرة والسامة .

وهناك توظيف سيئ للغاية للعلم والمعارف التكنولوجية وربما تكون التجارب التى تسئ هذا التوظيف سببا من بين أهم أسباب الأمراض الوبائية الجديدة والآن تبرز الحروب العدوانية التى تشنها الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا باعتبارها حملة منظمة لاستعادة الاستعمار فى ظروف أدت فيها الانحرافات المخفية لنظم الحكم التى تقهر وتبطش بالمواطنين دون أى رحمة أو احترام لمعنى القانون والكرامة الإنسانية وتشكل تلك التناقضات تعبيرا مدويا عن التناقضات الجديدة والتى تنشأ عن سوء الإدارة وحجب الاعتراف بالمساواة والحرية .وتشكل هذا العوامل مجتمعة كلا معقدا قد لا يمكن فصله عن بعضه البعض وإن كان من الممكن تحليله إلى عناصر أساسية ومشكلات مستفلحة بحد ذاتها .

إن جميع تلك الأمراض الاجتماعية والبيئية تعد ناتجا منهجيا عن تواريخ طويلة من الاستغلال والاستعلاء والتشوه السياسى والاقتصادى ولكنها أيضا تمثل تعبيرا صارخا عن الفشل الفكرى والذهنى والتردى الأخلاقى والروحى للبشرية .فمن المؤسف أن الحداثة قد رفعت القدرات الخاصة بانتاج أشد التكنولوجيات تقدما وهى التى تعتمد بدورها على المستوى المذهل للتطور المعرفى للإنسانية فى مجالات العلوم الطبيعية والبحتة .ولكن هذا التقدم لم يكن متوازيا إذ يتم فى سياق من التأخر

المهين فى المعرفة بالكائن الإنسانى وبالعلاقات والسلوكيات الإنسانية والنظم الاجتماعية والسياسية .وينتهى الأمر إلى توظيف جانب مهم من التقدم العلمى والتكنولوجى لتدمير الحياة الإنسانية أو لتحويل البشر إلى كائنات سلعية محرومة من العقل ومن الهبات الروحية والأخلاقية الضرورية لحسن الاختيار والواقع أن الظاهرة الدينية ذاتها لم تكن بمعزل عن هذه التشوهات فكثير من رجال الدين يحرضون بحمية على العنف ضد الآخر ويشكلون أحيانا طلائع الجيوش العرقية التى تلتحم فى جهنم الحرب وقد تكاثر على نحو مريع عدد من يزعمون لأنفسهم حق احتكار تمثيل نظمهم الدينية ويسيئون استخدام هذا التمثيل ليمنحوا أنفسهم ترخيصا مفتوحا بالقتل على الهوية ويدفع هؤلاء الأحوال السياسية العالمية إلى شفا حروب ثقافية ودينية ترد الإنسانية إلى أشد العصور بدائية وأشد الممارسات همجية وتختلط أحيانا دعوة هؤلاء بالصراخ والألم الذى تعانيه شعوب عديدة بسبب الاستعمار أو الاستبداد والظلم والقومى كما يحدث فى الحالة الفلسطينية وبدرجة أقل فى مناطق أخرى ويمثل فشل النظام السياسى الدولى فى إيجاد حلول عادلة لتلك القضايا العلة الحقيقية التى تدفع الشباب إلى التعصب وإلى منطق الحروب الدينية والعرقية .

ورغم أن نصيب الشرق الأوسط وأفريقيا من كل هذه المشكلات القضايا هو الأوفر بين مناطق العالم المختلفة فلا تكاد توجد منطقة تخلو منها ونستطيع بوجه خاص الإشارة إلى الأوضاع فى الولايات المتحدة باعتبارها تجسيدا لجانب كبير من تلك العلل والمشكلات وقد صارت الولايات المتحدة أحد أهم أسباب مضاعفة المشكلات العالمية التى أشرنا لها بالرغم من موقعها وظروفها الفريدة إذا كان ممكنا أن تمثل العدة الكبرى اللازمة لمواجهة حاسمة وشجاعة وعالمية حقا لكلها تقريبا .

والواقع أننا نستطيع أن نرد هذه المشكلات جميعا إلى علل معينة وأهمها الجشع والتعصب والخوف .فالجشع هو الدافع للمراكمة الأنانية للثروات ولصياغة علاقات الناس على المستويين الداخلى والعالمى على نحو يطلق منافسة شريرة حول هذا الشكل المروع والمخجل للتراكم الجنونى للثروة وهو ما ينتهى إلى انتشار الفقر أو على الأقل العجز عن محاربته أما التعصب فيقف وراء جميع مظاهر العنف العرقى والقومى والدينى بكل مستوياته التى قد تبدأ بأعمال تمييز وقهر بسيطة وقد تصل إلى إبادة الأجناس والجرائم المريعة ضد الإنسانية والحروب الدولية .أما الخوف فيبرر ذلك كله .فعدم الأمان قد يقف وراء التزايد فى جمع الثروة والتراكم المادى أما الذعر من الآخر فيبرر محاربته ولو على طريقة "الضربات

الاستباقية "وفى جميع الأحوال يقف الخوف وراء التأهب الدائم وسوء النية وانعدام الثقة .كما أنه يفسر السهولة التى يتم بها تعبئة ملايين من الناس وراء أعمال عنف جنوبية لن تفيدهم بشىء إن لم تؤد إلى تدميرهم ذاتيا.

ليست هناك مبالغة فى القول بأن ما تعانيه الإنسانية اليوم من توترات وتهديدات للسلام العالمى أشد مما كنا نخشى منه أصلا فى عصر الحرب الباردة .وبدلا من اغتنام فرصة نهاية هذا الفصل التعس من التاريخ البشرى لإحداث تقدم فى كل المجالات نجد أنفسنا واقعين تحت ضغوط وتهديدات أشد.

إن لاهوت التحرير تصرف على نحو غريزى لمناهضة أو وقف بعض تلك المظاهر والأمراض وخاصة الحروب الدولية .وقد شهدنا ذلك فى خضم النضال المدنى العلمى ضد الحرب الأنجلو امريكية ضد العراق.

ويلفت النظر مع ذلك أنه لم يتقدم بعد لتقديم إجابات حاسمة وإيجابية على بعض تلك الأسئلة كما أن بعض تلك الإجابات غير مقنعة لأنها لم تتخذ شكلا ثوريا كافيا لتعزيز زخم التطور أو الحيلولة دون الردة او الانهيار.

وعلى سبيل المثال ما هى الإجابة على السؤال الكبير الذى تطرحه قضية الهوية والصراعات المنطلقة من خطاب الهوية تتمثل الإجابة أكثر فى الممارسة التى يعدها البعض العمل المناسب لتحقيق كافة الغايات وهو التعليم والتثقيف المدنى. ومن الناحية الثقافية والتعليمية يمثل مفهوم التسامح جوهر التعاليم المدنية والدينية الأرقى.

ولكن يجب أن نسأل أنفسنا لماذا لم تصمد الدعوة للتسامح عندما تتعالى أصوات العنف ودقات طبول الحرب ولماذا - مثلما حدث فى البوسنة والهرسك ورواندا وبوروندى وكشمير والشيشان يتحول الفلاحون البسطاء الطيبون فجأة إلى وحوش كاسرة .وهناك عدد هائل من أكثر الناس ثقافة وعلما ممن قادوا مجتمعاتهم على طريق العلم والتكولوجيا أو حتى المعرفة الدينية والأخلاقية ممن لم يتورعوا عن القيام بمجازر بشرية مثلما شهدنا فى سريرتشيا أو بوجومبورا أو مسرح البولشوى الجميل فى موسكو أو فى الشيشان وكذلك فى أحداث ١١ سبتمبر

(٢)

لماذا يتحول البسطاء إلى وحوش ولماذا لا يتورع المثقفون وأصحاب الثقافة والفكر عن القيام بالمجازر البشرية

أشرنا إلى بعض العوامل فالخوف يدفع بذاته على التأهب والعدوان . ولا يحب أكثر الناس أن ينتظروا حتى يتم تحويلهم إلى ضحية ويفضلون بدلا من ذلك المبادرة بالقيام بالشيء نفسه .ويزداد التعصب مع الخوف عدة مرات عما كان عليه قبل نشوء ظروف تقود إلى الذعر الجماعى أو التشاؤم من المستقبل .

وقد لا يستطيع لاهوت التحرير مهما ارتفع صوته أن يتغلب على قوة الدعوة والتعصب والعنف تنشأ هذه الظروف .إن جزءا مهما من المواجهة قد تم التنبه له فعلا مثل التعليم المدنى ونشر ثقافة التسامح وإنهاء الظلم وأسباب الغضب والخوف .

ولكن تلك الإجابات لا تختلف كثيرا عما ينادى به المصلحون الاجتماعيون الذين قد ينطلقون من ذهنيات أو يوتوبيات أخرى .وهو بشكل خاص لا يتصدى لأهم هذه المشكلات والجذور وخاصة تلك التى تتدثر بالدين نفسه .فالدين صار أحد أهم لواءات التعصب والكراهية والخوف والعنف .وقد أشرنا إلى حقيقة كيف قام رحال يمثلون مختلف الأديان بقيادة الجيوش المتحاربة إلى المعركة إن الإجابة الوحيدة على هذا التحدى بالذات وربما على كثير غيره من التحديات هو القيام باجتهاد ثورى يحرر الدين من الغلاف "الأثنى" الذى نلبسه تاريخا فعندما يقول الناس عن أنفسهم أنهم مسلمون أو مسيحيون أو بوذيون أو غير ذلك فهم نادرا ما يفكرون حقيقة فى جوهر التعاليم الروحية التى تشكل فحوى هذه الأديان وإنما يقصدون تمييز أنفسهم عن غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى . هذا ما يحدث بالتأكيد خاصة فى أوقات الأزمات التى تقود أن لم تجد حلا جادا إلى الحروب وربما إلى أعمال الإبادة .

إن الحل الممكن من داخل الرؤية الدينية نفسها هو إلغاء هذا التمييز . وقد فكر العلمانيون فى هذا الحل دون نجاح كبير بفصل الدين عن السياسة والتسليم بالمساواة فى حقوق وواجبات المواطنة بغض النظر عن الدين أو أى اعتبار آخر مثل الجنس أو النوع أو العنصر أو اللغة وهكذا.

ولكن هذا الحل لم ينجح دائما .وقد لا يكون من الممكن تأمين نجاحه فى مجتمعات معينة يلعب فيه الدين دورا حاسما ..ومن ناحية أخرى فإن الموقف العلمانى بذاته لا يضمن شيوع أشكال متعددة من عدم المساواة .

فكيف يمكن للاهوت التحرير أن يلغى التمايز أو التواصل بين الأديان . أعنى الفواصل التى قد تنزعه من كونه اعتقادا اتخذ بحرية بفضل استقرار مبدأ حرية الضمير والمعتقد .ومع ذلك فليس بوسعنا المبالغة فى مطالبة

رجال الدين بتجاهل توريثه ولكن بوسعنا أن نطالب أكثرهم استنارة بالاعتراف بأن الدين لا يجب خلطه بالقومية أو الانتماءات الموروثة الأخرى. ويشكل هذا الاختلاط أكثر الجوانب والأبعاد خطرا وتأثيرا فى توليد التعصب .إن أبعد هذه المطالبة أثرا ـ ونعتقد أنها برزت بالفعل فى الساحتين المدنية والسياسية ـ هو أن ينظر المؤمن إلى نفسه باعتباره كذلك بالدفاع عن القيم الإنسانية عامة وبالمصالح المشتركة للإنسانية وهو ما يعنى مقاومة حتى تلك الحروب الظالمة التى تشنها حكومة بلاده .

(٣)

هناك مستوى ثالث ربما يعكس أقوى مستويات الاجتهاد الدينى وهو النظر إلى كافة البشر باعتبارهم منتمين فعليا إلى الدين المعنى حتى لو كانت لديهم أديان أخرى يؤمنون بها ويمارسون تعاليمها فيصبح جميع الناس مسيحيين من وجهة نظر المسيحية أو مسلمين من وجهة النظر الإسلامية أو بوذيين من وجهة النظر البوذية لقد أشار بعض المفكرين إلى هذا المعنى على مستوى ما يسمى بالأديان الإبراهمية ولكن الدلالة الحقيقة لهذا الاجتهاد ربما لا تكون قد برزت بعد، إن المقصود ليس تجاهل التمايزات الروحية أو الاختلافات بين النصوص والتعاليم والعقائد أو حتى التشريع الدينى لو وجد إذا ليس من حق أحد أن يضع هذه المطالبة التى تلغى فحوى أى دين .كما أن المقصود بها ليس هو تجاهل أبناء دين معين لحقيقة انتماء آخرين لأديان أخرى فمثل هذا الموقف يشكل استعلاء غير مقبول وهو ممارسة ضارة على جميع المستويات .

وما أعنيه هو أن يتمكن أصحاب أى دين من النفاذ إلى ما وراء التمايزات الدينية لاكتشاف وتأكيد معنى الإنسان فى المؤمن بأى دين أخر وتأسيس العلاقة بين المؤمن والأخر أنه "غير مختلف "وأنه بمعنى معين مثله أى مؤمن بأبجديات الإيمان الدينى بوجه عام,وأنه مشمول بنفس الوعد الذى يبذله النص الدينى للإيمان طالما أنه يتصرف – فى هذا العالم وفى سياق التفاعلات الاجتماعية – على النحو الذى تدفع إليه الأخلاق الدينية الرفيعة يتحقق هذا المفهوم الجديد للدين فى الممارسة العلمية فلاهوت التحرير يوجه رسالته الإنسانية والتقدمية إلى جميع المؤمنين بغض النظر عن دينهم ففى ميدان الكفاح من أجل تمكين الجماهير الفقيرة من المشاركة الحقيقية فى إدارة شئون بلادها ومن أجل حل مشكلاتها بالذات يتم تصميم مشروعات لا تميز بين الناس تبعا لدينهم ويتم التعامل معهم باعتبارهم "المباركين من الرب "جميعهم دون تمييز والنضال المدنى المفتوح (أى الذى يتم خارج نطاق الكنيسة أو المسجد أو المعبد) يوحد فعلا

مشاعر الناس ولكن التعبير الفكرى الواضح عن هذه الحالة لم ينجز على الوجه الأكمل وثمة بطبيعة الحال فوارق كبيرة بين المجتمعات اللاهوتية لمختلف الأديان والطوائف من حيث توصلها لهذا المفهوم الجديد للدين وللممارسة الدينية المدنية يحتاج لاهوت التحرير إلى اقتحام مرحلة جديدة من التقدم على طريق انتاج مفهوم جديد للدين وللممارسة الدينية لكى يحبط بالأجندة العالمية الجديدة وبما شارك فيه هو نفسه من حيث إنتاج مفهوم جديد للنضال المدنى وللغايات الكلية للحياة الإنسانية لقد تحدثنا عن جانب واحد من انتاج مفهوم جديد للدين فينبغى أن يخاطب لاهوت التحرير الإنسانية - بغض النظر عن تعدد الانتماءات الدينية - كلها حتى لو كان النسيج الداخلى للإيمان الدينى منطلقا من رؤيا منبثقة من نص مقدس ما .لقد تحدثنا عن مبدأ الوحدة الإنسانية وتفرض قضية البيئة أيضا الحديث عن وحدة الكون لا على حساب التنوع وإنما بتأكيدها وهو ما يمكن إنجازه من خلال العدالة الدولية .

إنى أتحدث عن هذه القضية باعتبارى كاتبا وباعتبارى مصريا وعربيا أيضا وبصفتى مصريا يجب أن أكون صريحا فى تناول قضايا معينة تؤرقنى بالنسبة للمجازات الدينية الكبرى بما فيها تلك التى تستند إلى نصوص مقدسة وكامنة فى الأديان الثلاث الإبراهمية من أهم تلك القضايا تلك التى تتعلق بالقياس الدائم على الروايات التوراتية والتعامل معها باعتبارها تاريخا حقيقيا أو مجازات لها قابلية التعميم وعلى سبيل المثال تتسم هذه الروايات بطابع «أثنى » إذ أنها تنقل صورة من الأحداث القديمة من منظور جماعة إنسانية واحدة وهى اليهود .وأنا مستعد كلية تقريبا لإبداء أقصى درجة من التعاطف مع الآلام الفعلية والرمزية لكل الجماعات البشرية والإيمانية بما فيها الجماعية اليهودية .غير أنى لا أقبل بالمرة أن تمنح تلك الروايات التى انطلق من هذه الجماعة صفة الحقائق الكونية والأهم صفة النموذج الأساسى الذى تقاس عليه المجازات الأخرى بل والتصرفات الفعلية إنى أعانى كمصرى من تراث اللغة التحقيرية التى تستعمل لوصف المصريين كأمة وتأسيس وضعية خاصة لهم باعتبارهم الطرف المضاد فى ملحمة ما للخلاص ويبرز هذا الشعور بالظلم أن الحقائق التاريخية بل وبعض التفاصيل المهمة فى الرواية الدينية التى نتحدث عنها تناقض الأسس التى يتم بها تبرير هذه اللغة التحقيرية وأنا لا اتحدث عن تلك المسألة بصفتها قضية تاريخية فالمشكلة أن هذا التجسيد الروائى للرؤى الدينية تقود إلى «إهانة» المصريين كل يوم فى صميم الطقوس العبادية ولا أرى أى مبرر لاستمرار مثل هذه الطقوس أو الرواية التى تؤسسها ولاشك

أننا نحتاج إلى اجتهادات تخلص التفسيرات الرائجة للنص من هذا المحمول الأنثى الذى يجعل آمة تاريخية عظيمة تلعب فى الروايات الأساسية دور الشرير وبمقدور لاهوت التحرير أن يتابع مهمته فى إصدار خطاب عامى أو كونى عبر تخليص النص اللاهوتى من جميع صور التعصب الأنثى حتى يكون متسقا مع رسالته التحريرية من جهة ومع خطابه الإنسانى من جهة أخرى ومن الطبيعى آنى أقدم هذا الطلب لمنتجى خطاب التحرير فى جميع الأديان الإبراهيمية وليس الديانة المسيحية وحدها والواقع أن هذا «التحرير » للنص هو أيضا ضرورة سياسية فلاهوت التحرير لا يقف معزولا تماما عما يجرى فى الأرض الفلسطينية المحتلة "آنه لم ينتج خطابا متبلورا فيما يتعلق بهذه القضية رغم كونها جوهرية بالنسبة للخطابات الدينية جميعا وقد تطور هذا الموقف بالاستجابة للتطورات السياسية وليس انطلاقا من رؤية دينية تحريرية أو أخلاقية وقد آن الأوان بفعل ذلك بالضبط، ففلسطين ليست شأنا محليا أو إقليميا والمعركة التى تدول حول التدمير المنهجى للشعب الفلسطينى هو أمر قد يحدد مصير العالم على الأقل من حيث ما يتعلق بقضية حكم القانون والأسس الأخلاقية والتاريخية للتعامل مع زعم ما مثل الزعم القائل بأحقية اليهود فى فلسطين.

ليست هذه هى كل المهمة ولكنى مضطر للتوقف عند هذا الحد . فالموضوع يحتاج إلى دراسات مستفيضة وإلى حوار بناء قد يستغرق وقتا طويلا .والوقت هو العنصر النادر فى هذه الورقة.

مناقشات الجلسات

الإشكاليات الفلسفية للاهوت التحرير (•)

بين جدل المادة والوعى فى نشأة لاهوت التحرير، وإن كان فحص ثمرة الجوز يعنى تفتيتها قبل فحصها، فإلى أى مدى يمكننا أن نستخدم التفكيكة فى فهم وتأويل النصوص المقدسة دون الولوج إلى حقل ألغام يستنفد الوعى الشعبى؟ هل يمكن أن نبنى فهما لدين؟ امومى عوضا عن الدين الذكورى وإن كان النص الدينى نص منشأ فإلى أين ستقودنا "الحركة "فى مقابل الأصل ـ المنشأ ـ فى هذا الإطار يمكننا تلخيص وحصر.

مناقشات الجلسة الأولى:

طرح خلال الجلسة كل من الأب وليم سيدهم والأب كرستيان

ود .ماجى عبد المسيح أوراقهم حول لاهوت التحرير .

وعلى أثر المداخلات يمكننا أن نستخرج أهم القضايا المطروحة فى أربعة محاور أطرحهم على الترتيب :د .حسن حنفى أ .فريدة النقاش د. عاصم الدسوقى د .حيدر إبراهيم د .يسرى مصطفى د .أنور مغيث الأب وليم سيدهم الأب كرستيان د .ماجى عبد المسيح

أ .عيداروس القصير .

١. نشأة لاهوت التحرير والصراع بين الواقع والفكرة .

٢. استخدام التفكيكية فى تأويل النص الدينى .

٣. اللاهوت النسوى والدين الأمومى .

٤. حركة التحرير فى علاقتها بالأصل الدينى المنشأ .

أولا :نشأة لاهوت التحرير والصراع بين الواقع والفكرة:

ابتداء من رؤية لاهوت التحرير كدليل لفقد اللاهوت لاستمراريته وفقدان النص الدينى لمعناه الثابت واعتبار اللاهوت بلا كيان مستقل بذاته

اعتبر رأى أخر لاهوت التحرير رأس تجليات ومحاولات تجديد الدين وقمة ما أفرزه الوعى الاجتماعى بينما اعتبر رأى آخر التحدى الذى يواجه لاهوت التحرير فى ميل الدين نفسه إذ يميل الدين للموت أكثر من الحياة لإعطاء مال قيصر لقيصر وما لله لله وأن لاهوت التحرير يقف فى مجابهة كونه حركة تقدمية كلما تقدمت بعدت عن أصلها الدينى وانفصلت عن النص بينما رأى آخرون أن إفراز لاهوت التحرير لم يكن له علاقة أصلا باستدعاء النص إنما هو مجرد لإفراز واقع .

ثانيا :التفكيكية فى النص الدينى :

عملية التفكيك للكتب المقدسة نمارسها لكى تتم بذلك عملية لإعادة التركب هكذا جاء الرأى الأول ليرى فى تفكيك النص الدينى عملية هادفة بل منحازة ومحددة الأهداف مسبقا وإلا فإنه من الاجدى الا تفكك النص الدين بينما أعتبر رأى أخر العائق الاساسى فى مفهوم الوحى وصدامه مع مفهوم الإلهام مما يثير ريبة بعض المحافظين بينما طرح رأى آخر أزمة ما بين التفكيكية إطلاقية النص المقدس فإن كانت التفكيكية هى رؤية الواقع فى النص الأدبى ففى ظل ثبات النص وتغير الظروف فهل نحكم على المتغير بالثابت!

ثالثا: اللاهوت النسوى والدين الأمومى:

واستمرارا للمحور الثانى فإن مد التفكيكية على استقامتها تفترض منطقيا أن هناك المرأة التى تضع نفسها ككاتب للنص المقدس أى أن المرأة تبدأ طريقها لا لتحرير المرأة بل لتحرير العالم بأسره بينما جاء رأى على الجانب الآخر إذ اعتبر أن الخطوة المنطقية لتحرير العالم هو تحرير المرأة أولا بينما رأى آخرون أن اللاهوت النسوى يستدعى الدين باعتباره يتكيف وفق الحركة النسوية التي تجابه تحديا هاما هو ضرورة تغيير جوهر فهم الدين ككل من الفهم الذكورى إلى فهم أمومى جديد .

رابعا: حركة التحرير فى علاقتها بالأصل الدينى المنشأ:

وفى الصراع بين الثابت والمتغير رأى أحد الآراء أن النص الدينى مؤسس «منشئ» يجب الرجوع إليه وهنا نعود لنفس الإشكالية أن لاهوت التحرير فى تحركه كثيرا ما يجابة أزمة التيه عن النص بينما رأى آخرين أن المسألة المحورية فى إعاقة النصوص لحركة التطور السياسى والاجتماعي لذلك يجب أن يكون الحل حاسما فى انتظار الظرف الذى يسمح بالحركة والمشكلة ليست فى المستوى الميدانى "الوعى العام "بل فى النخبة إذ يمكننا البدء عندما نتعامل مع العامة بالعامل المشترك الإنسان.

المخرجات فى إطار المحور الأول:

(المهتم بواقع المجتمع فى أمريكا اللاتينية) وينفرد د .حسن حنفى برؤية لاهوت التحرير من حيث هو تعبير عن العقل البديهى وإفراز للتاريخ الإنسانى ككل بينما لم تصل المداخلات لموقف محدد حول مدى واقعية وجود صلة بين حركة لاهوت التحرير واستدعاء النص الدينى بإعادة تأويله بما يتناسب مع الزمان والمكان.

وفى المحور الثانى:

وإن كانت الآراء قد تجمعت حول جدوى توظيف التفكيكية فى إعادة تأويل النص الدينى إلا أن الآراء لم تصل لتوجه ما حول إمكانية استخدام التفكيكية بنجاح دون الاصطدام بقدسية النص المقدس .

وحول المحور الثالث :

فلقد تجمعت الآراء حول حاجة اللاهوت النسوى إذ أراد أن يوجد فى إعادة تكوين جوهر جديد "أمومى "لفهم الدين بينما اختلفت الآراء حول مدى جدية اللاهوت النسوى فى الوقت الحالى على الأقل كمحرر للإنسانية ككل .

وفى إطار المحور الرابع:

فلقد اتفقت الآراء على ضرورة العودة للنص الدينى فأصل منشئ لحركة لاهوت التحرير إلا أن الآراء تباينت حول مدى إمكانية المحافظة على جدلية التقدمية والأصولية فى حركة لاهوت التحرير .

قضايا طرحت .....ولم تأصل:

١ـ هل لاهوت التحرير توفيقية مصطنعة ما بين الخطاب العلمانى والماركسى والدينى؟

٢ـ ميل الدين المستمر نحو الموت والعالم الآخر فى مقابل الواقع والحياة.

لاهوت التحرير من منظور إسلامى (*)

بين السلطة ورجال الدين والصراع بين ديناميكية التفسير واستاتيكيته هل يمكن إيجاد لاهوت تحرير مصرى إسلامى وهل يقبل الإسلام التحرير هل يمكن أن نتصور لاهوت التحرير خارج قانون المصالح والقوى !!فى هذا الإطار دارت مناقشات الجلسة الثانية.

طرح خلال الجلسة كل من د.حسن حنفى والفقيه جمال البنا ود .حيدر إبراهيم أوراقهم سعيا للاهوت تحرير إسلامى مصرى ومن خلال مداخلات أ .عاصم الدسوقى، الأخ فايز سعد، الأب نادر غطاس، الأب

كرستيان، د .أنور مغيث ، د .يسرى مصطفى جمال البناء، د .حسن حنفى د .حيدر إبراهيم ، د .ماجى عبد المسيح، لونا فرحات، فريدة النقاش، كمال نجيب، ريتا أيوب، الأخ دانى يونس، عيداروس القصير، أحمد بهاء شعبان ، الأخ راند شكرى، الأب وليم سيدهم.

على الترتيب يمكننا استخراج المحاور التالية:

١. بين السلطة ورجال الدين .

٢. تثوير القرآن والاصطلاح الحرج .

٣. البحث عن لاهوت تحرير إسلامى.

٤. لاهوت التحرير بين الله والإنسان.

أولا: بين السلطة ورجال الدين:

إن كانت الأديان هى دعوة تحرير لكن رجال الدين دائما ما كانوا فى خدمة رجال السلطة ويدلل هذا الرأى على موقفه بتبعية الأزهر فى مصر حتى أصبح شيخ الأزهر شيخ قبيلة يمثل همزة الوصل بين الجماعة والسلطة وعلى جانب آخر يقسم رأى آخر القضية إلى ثلاثة محاور أى أن هناك ثقافة سلطة وثقافة شعبية وثقافة نخبة ولذلك فالأمر يأخذ فى حسبانه الوصول إلى الشعب دون الاصطدام بثقافة السلطة.

ثانيا: تثوير القرآن والاصطلاح الحرج:

وحول المصطلح الحرج «تثوير القرآن» دارت المداخلات بين المعنى القرآنى لكلمة تثوير والمعنى الاصطلاحى الحالى ويرى الرأى الأول أن كلمة ثورة هى تغير المجتمع وإنها تحمل المعنى الاصطلاحى الجديد "نظرية – جماهير – تغير "بالرغم مما يشوب هذا الاصطلاح فى دول العالم الثالث العسكرية بينما رأى آخر أن لاهوت التحرير يخرج لدينا على استحياء اذ ورثنا محافظة دينية لها الآن الف سنة منذ الغزالى ومن هنا يصعب قبول فكرة تثوير القرآن فهل ستكون هناك قراءة اشتراكية وأخرى رأسمالية للقرآن .

ثالثا: البحث عن لاهوت تحرير إسلامى.

هل يمكن التوصل إلى لاهوت تحرير إسلامى يرى الرأى الأول أنه لا يوجد ما يمنع ظهور لاهوت تحرير إسلامى لكن الواقع يدعو للتشاؤم ففى مقابل لاهوت التحرير يظهر لنا لاهوت للمقاومة، بينما يعتبر رأى آخر القضية صراع "واقع ووعى "وما دام الواقع ثابتا فإن تفسير الدين سيظل ثابتا وبينما يرجع أحد الآراء ثبات تفسير الدين إلى استكاتيكية الإسلام

نفسه يعترض رأى آخر "هل نناقش المسلمين أم الإسلام، أن ديناميكية التفسير ناتجة عن غياب المنهج العلمى وقوة لاهوت التحرير أنه "يرجع لمنهج علمى واستخدامه بكل أطره "بينما يرى رأى آخر أن القضية لا تتجاوز وجود رؤية ضيقة للنصوص فى ظل لاهوت ينزع إلى عدالة المقاومة فى تضاد مصطنع من التحرير الذى هو نزوع للتسامح بينما اعتبر رأى آخر المشكلة هى لا تاريخية الإسلام بمعنى أن هناك ازدواجية بين كيف أكون أنا وكيف أكون الآن الأزمة فى

لا تاريخية الإسلام.

رابعا : لاهوت التحرير بين الله والإنسان.

يرى الرأى الأول أن القضية ليست تحريك المظلومين ضد ظالميهم، بل هو مبادرة مجانية من الله تجاه الإنسان وهو من يحرر نفسه وهذا التغير هو ما دفع الإنسان لكى يشعر بالحرية تجاه الآخرين وعلى جانب آخر يؤكد رأى على ضرورة البحث عن الطبقة صاحبة المصلحة فى التحرير والدعوة للاهوت التحرير كإفراز طبيعى لمصلحة طبقة.

المخرجات:

فى إطار المحور الأول:

تجمعت الآراء حول كون الدين دعوة تحرير إلا أنها لم تصل إلى اتفاق حول ما إذا كانت هناك تبعية مصالح من قبل رجال الدين لرجال السلطة أم أن هناك صراعا بين ثقافات السلطة العامة والنخبة.

وحول المحور الثانى:

فلقد تبلورت الآراء حول الحاجة لانطلاق التفسير والتأويل الدينى فى تجاه تقدمى إلا أن الآراء اختلفت حول صلاحية استخدام كلمة تثوير بما تحمله من تراث سلبى.

لاهوت التحرير وإشكاليات سياسية (*).

بين الماركسية ولاهوت التحرير هل ولدت قوانين التحليل الاجتماعى الماركسى لاهوت التحرير أم أن لاهوت التحرير هو الذى أنقذ الماركسية متى تحول لاهوت التحرير إلى جزء من الوعى المدنى فى العالم العربى الإسلامى وهل تنشأ حركة لاهوت التحرير فى الكنيسة القبطية؟ من يداوى الترهل فى الثقافة القبطية المتجسدة؟

أسئلة طرحت خلال مناقشات الجلسة الرابعة:

طرح خلال الجلسة كل من أنور مغيث ، د. يسرى مصطفى، سمير مرقص، أوراقهم بين لاهوت التحرير والماركسية – السياسية – الكنسية . ومن مداخلات الأخ فايز سعد، د .حسن حنفى، د .كمال نجيب، الأب كرستيان، الأب وليم سيدهم ، سليمان شفيق، د .حيدر إبراهيم ، سمير مرقص، أنور مغيث ومن خلال المناقشات يمكن بلورة أهم المحاور التى دار حولها الحوار كالتالى:

١. لاهوت التحرير وقوانين التحليل الماركسى.

٢. لاهوت التحرير الحركة والتغير .

أولا : لاهوت التحرير وقوانين التحليل الماركسى .

هناك من يقول أن التحليل الماركسى يرتبط فى آخر الأمر ارتباطا وثيقا بالفلسفة فكيف يمكن تبنى الماركسية داخل إطار إيمانى إسلامى كيف يمكن للماركسية أن تتوحد مع الفكر المؤمن؟ ولكن على جانب آخر يرى رأى أن الدور قد أتى على لاهوت التحرير كى ينقذ الماركسية تماما كما أنقذت الماركسية اللاهوت فى أمريكا اللاتينية فالماركسية تحتاج إلى قوة روحية فها هو «ستالين» يفتح الكنائس عندما شعر أنه فى حاجة لطاقة روحية فى مواجهة النازى لكن رأيا آخر يتحفظ فى مواجهة أن تقودنا جماعات دينية نحو أشكال من المجتمع المدنى فالماركسية فكر مدنى وعلينا أن ننتظر حتى يتحول لاهوت التحرير إلى صيغة يفرزها الوعى المدنى حتى يمكن تصور جماعات دينية تقود "كجماعات ضغط "إلى مجتمع مدنى .

ثانيا : لاهوت التحرير الحركة والتغير .

بين دين الحركة ودين المؤسسة يرى رأى إنه من الطبيعى أن تكون هناك مؤسسة ثم إصلاح داخل الحركة نفسها ومن هذا المنطلق هل هناك مؤشرات لوجود حركة لاهوت التحرير داخل الكنيسة القبطية، ويضيف رأى آخر الكنيسة كمؤسسة لا تحتاج إلى تجسيد بل على العكس ما لدينا هو ترهل فى التجسد إلى حد إيقاف الحركة.

بينما يؤكد رأى آخر وجود فارق جوهرى بين الكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا اللاتينية والكنيسة القبطية ألا وهو أن الأقباط لم يكونوا أغلبية كما فى اللاتينية وهذا يمنع تبنى لاهوت التحرير إذ يقف فى العادة إما إلى يمين أو إلى يسار التيار الرئيسي داخل المؤسسة إذ لم يكن للكنيسة القبطية على مر التاريخ مشروع سياسى .

المخرجات

فى إطار المحور الأول:

تبلور اتجاه يؤيد استخدام أدوات التحليل الاجتماعى الماركسي كنهج للاهوت التحرير بينما تباينت الآراء حول مدى قدرة الجماعة الدينية على دفع المجتمع للفكر المدنى .

وحول المحور الثانى:

تجمعت الآراء حول وجود إصحاحات لحركة التحرير داخل المؤسسة الكنسية القبطية وإن اختلف تقييم نجاحها .

قضايا طرحت.. ولم تأصل:

علاقة الدين بالسياسة بين العلاقة الشكلية والوحدة فى الجوهر .

أزمة الهوية ولاهوت التحرير من حيث هو حركة لاتينية .

تجارب وخبرات ميدانية حول لاهوت التحرير (❖)

التعليم طريقنا للتحرير كيف يمكن فهم التعليم كتجربة تحرير ترتبط بالوعى السياسى وإلا تنفصل عنه وهل يمكن تبني التعليم فى مجابهة القهر المزدوج فى الشرق «الدولة - المجتمع » وبين التسامح طريق إلى قبول الآخر دون الانزلاق فى فخ التنازل أو مصيدة العنف المتبادل المركب هل يمكن فصل فعل الظلم عن فاعلة حتى يمكنا قبوله وبين العنف والثورة وبين التراكم والتعليم والتسامح، دارت مناقشات الجلسة طرحت كل من فريدة النقاش ولونا فرحات وريتا أيوب أوراقهن وتجاربهن فى رؤية لاهوت التحرير .

ومن خلال مناقشات شارك فيها على الترتيب "أحمد بهاء سليمان شفيق، د .يسرى مصطفى، د .عاصم الدسوقى، الأب كرستيان، الأخ فايز سعد، د .ماجى عبد المسيح، الأب وليم سيدهم، د .حيدر إبراهيم يوسف، رامز حسن حنفى، فريدة النقاش، لونا فرحات، ريتا أيوب يمكن تمثيل المناقشة حول محورين كالتالى:

١- التعليم والوعى السياسى .

٢- لاهوت التحرير واللاعنف بين التسامح والتنازل .

أولا : التعليم والوعى السياسى

ومن خلال طرح خبرات عملية حول لاهوت التحرير جرى تصور يرى فى التعليم الوسيلة لتمكن المقهورين من التصدى لظالميهم كما أكد أن التعليم التلقينى الحالى بعيد عن إنتاج المجتمع القائم على الاستغلال لذلك

لابد وأن يرتبط التعليم بالوعى السياسى لا العلم وحسب بينما أكد رأى آخر صعوبة تصور التعليم من حيث هو الحل للقهر إذ أننا فى مجتمعات دول عالم ثالث نعانى من قهر مزدوج من المجتمع جنبا إلى جنب مع الدولة .

ثانيا: لاهوت التحرير واللاعنف بين التسامح والتنازل وبين التسامح والتنازل تعصف أفكار المناقشة فيرى رأى أن علينا أن نتبنى التسامح ولكن هذا مرهون بأن نكون أبناء وطن واحد فالتسامح لن ينسينا ما تفعله إسرائيل وهنا يضيف رأى آخر مؤكدا أن فكرة اللاعنف فى لاهوت التحرير لا تعنى السلبية بل هى تصد إيجابى لكننا اعتدنا أن نكون قاهرين ومقهورين فى وقت واحد كضحية قتلت ضحيتها ويرى رأى آخر أن هناك انبهارا بفكرة التسامح حتى لو ضد دولة القانون بينما يعتقد رأى آخر أن كل ما ينقص هذا التصور هو إضافة أن المحبة حكم من طرفين وعلاقة متبادلة ويضيف رأى آخر مؤكدا خطورة فصل الفعل عن فاعله فالمسئولية الكاملة للإنسان عن فعلة جزء من احترام إنسانيته بينما شدد رأى آخر ضرورة أن يتحول اللقاء بالآخر إلي لقاء للتواصل لا لمعرفة الطرف الأقوى وهذا هو طريق اللاعنف.

المخرجات فى إطار المحور الأول:

تبلورت الآراء حول أهمية مبادئ باولو فريدى «تعليم المقهورين» كطريق لتحرير المظلومين من القهر إلا أن الآراء اختلفت حول مدى صلاحية مبادئ فريرى بمفردها التحرير المظلومين كما توجهت الآراء إلى ضرورة تجميع كل خبرات العمل الأهلى فى مجال التعليم حتى يمكن الاستفادة منها معا .

وفى إطار المحور الثانى:

وإن كانت تبنى اللاعنف هو الاتجاه السائد فلم يكن هناك ثمة اتفاق حول طبيعة التصدى السلمى الإيجابى فى لاهوت التحرير .

نحو لاهوت تحرير عربى شرقى (*)

من لاهوت التحرير إلى لاهوت الحياة كيف يمكننا الوصول إلى لاهوت تحرير مصرى عربى وفى ظل تعدد الإثنيات كيف ينظر لاهوت التحرير للأقليات وفى ظل تبعية المؤسسات الدينية للدولة كيف يمكن تثوير رجال الدين وتفادي إيقافهم لحركة التاريخ ولماذا لا يصبح لاهوت التحرير فى الخطاب الدينى العام المعاصر؟ قضايا طرحتها مناقشات الجلسة الخامسة.

طرح خلالها كل من سليمان شفيق ود .عاصم الدسوقى أوراقهما نحو لاهوت تحرير شرقى ومن خلال مناقشات شارك فيها على الترتيب د.حيدر

إبراهيم، د .حسن حنفى، أبو العلا ماضى، د. يسرى مصطفى، الأخ فايز سعد اليسوعى، أنور مغيث، الأخ دانى يونس، عيداروس القصير، د .ماجى عبد المسيح، الأب وليم سيدهم، د .عاصم الدسوقى، سليمان شفيق.

يمكن بلورة المناقشات فى محورين كالتالى:

١. من لاهوت التحرير إلى لاهوت الحياة.

٢. بين تثوير المؤسسة الدينية وحركة التاريخ.

أولا: من لاهوت التحرير إلى لاهوت الحياة

تسييب المطلق هو طريقنا لقبول الآخر الحقيقة الوحيدة هى النسبية وبينما أكدت آراء على فكرة نسبية الحقيقة اتجه رأى آخر للتأكيد على خطورة استعمال كلمة أقلية وأغلبية واعتبارها فكرة غربية فى مقابل التعددية بل أكد هذا الرأى على عدم وجود فكرة الأقلية فى الفكر الشرقى وفى هذا فإن لاهوت التحرير ليس لاهوت أقليات وأنه لا فارق بين لاهوت التحرير ولاهوت الحياة بينما أكد رأى آخر على أهمية الدعوة للنسبية بمعناها السياسى والدينى كحل وحيد لقبول الآخر.

ثانيا: بين تثوير المؤسسة الدينية وحركة التاريخ.

الدين يبدأ كثورة ثم كدولة ثم أمر واقع يعمل على إيقاف التاريخ وأى محاولة تثوير بعد ذلك ينظر لها على أنها خروج عن الدين بينما أكد رأى آخر على ضرورة تثوير رجال الدين إن أردنا تطوير الناس بينما أضاف رأى آخر أن تباعية المؤسسة الدينية لدولة تعوق أى محاولة تثوير ولأن كل المشروعات التقدمية فى مصر لم تؤت ثمارها فإن لاهوت التحرير هو الخطاب المطالب بالنزول للشباب لأن الخطاب السائد نخبوى والخطاب الماركسى نخبوى والليبرالية غير موجودة .

المخرجات فى إطار المحور الأول :

بلورت المناقشات اتجاها يرى فى تسييب المطلق أو اعتبار النسبية هى المطلق الوحيد وهى طريق البحث عن المطلق وهى الطريق لقبول الآخر بينما تباينت الآراء حول فكرة الأقليات فى مقابل التعددية.

ومن خلال المحور الثانى:

تجمعت الآراء حول صلاحية لاهوت التحرير بوصفه خطابا شعبيا عوضا عن الخطاب السائد الحالى لكن الآراء تباينت حول مدى إمكانية تثوير رجال الدين فى ظل سيطرة الدولة.

مقالات وردود أفعال

لاهوت التحرير ..حتمية أرثوذكسية!!..(١)
كمال زاخر موسى

فى التسبحة - وهى ترجمة لخبرات الكنيسة ولاهوتها - نقول عن المسيح أنه "أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له "فإن كان قد أخذ طبيعتنا البشرية فما الذى أعطانا أليست أهم عطاياه أن يكون لنا اهتمام واحد بعضنا لأجل بعض وهو الأمر الذى أكده القديس بولس الرسول فى أكثر من رسالة وموقع فى قوله :مهتمين بعضكم لبعض اهتماما واحدا غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين لا تكونوا حكماء عند أنفسكم «رو ١٢ ـ ١٦»: وليعظم إله الصبر والتعزية أن تهتموا اهتماما واحد فيما بينكم بحسب المسيح يسوع «رو ٥ ـ ١٥»: لكى لا يكون الشقاق فى الجسد بل تهتم الأعضاء اهتماما واحدا بعضها لبعض ١ «كو ١٢» ٢٥: اخيرا أيها الأخوة افرحوا اكملوا تعزوا اهتموا اهتماما واحدا عيشوا بالسلام وإله الحبة والسلام سيكون معكم ٢ «كو ١٣» ١١: ربما يكون السؤال ما هو نطاق هذا الاهتمام .لقد أعطانا السيد المسيح المثل والقدوة عندما اهتم بحاجات الناس وندما دافع عن تلاميذ حين قبض اليهود عليهم معه :أجاب يسوع قد قلت لكم أنى أنا هو فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون «يو ١٨» ٨: وأعطانا مثالا لاستخدام حقه القانونى فى المواجهة وهى فى طريقه للموت عندما رد على رئيس الكهنة فضربه أحد الحراس: أجابه يسوع إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى وإن حسنا فلماذا تضربنى «يو ١٨» ٢٣: وعندما وجد تعديا من المخالفين على المقدسات تصدى له فى إيجابية عجلت تحرك اليهود لمحاكمته وصلبه وكان فصح اليهود قريبا فصعد يسوع إلى أورشليم ووجد فى الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرا وغنما وحماما والصيارف جلوسا فصنع سوطا من حبال وطرد الجميع من الهيكل الغنم والبقر وكب دراهم الصيارفة وقلب موائدهم وقال لباعة الحمام ارفعوا هذه من ههنا لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة «يو ٢» ١٣ ـ ١٦: وقد طبق هذا المنهج بولس الرسول عندما رفض الظلم الواقع عليه وقال فى مرافعته أمام الحاكم الإقليمى: أنا واقف لدى كرسى ولاية قيصر حيث ينبغى أن أحاكم أنا لم أظلم اليهود بشىء كما تعلم أنت أيضا جيدا لأنى إن كنت آثما أو صنعت شيئا يستحق الموت فلست استعفى من الموت ولكن إن لم يكن شىء مما يشتكى علي به هؤلاء فليس أحد يستطيع أن يسلمنى لهم إلى قيصر أنا رافع دعواى «أع ٢٥» ١١: نحن أمام شجاعة المجابهة وقد اختفى هذا المنهج بعد أن سيطر علينا تفعيل قيم الخنوع والقراءة المبتورة للاتضاع

والمحبة وإنكار الذات فاختلطت بالخوف والمالأة وصغر النفس والانسحاق الدونى.

واعتقادنا بالتجسد هو قمة إعلان محبة الله لنا يحمل فى أحد أوجهه معنى السعى الإيجابى لله لإنقاذ البشرية الذى حقق للبشرية حريتها بموته وبه تصبح الإيجابية - حتى بذل الذات من أجل الجماعة - واحدة من تداعيات التجسد التى انتقلت إلينا بشركتنا المحققة فى المسيح ورفع الظلم عن الجسد الواحد - فى صوره المتعددة :أسرة كنيسة وطن - ودفع الخطر ومقاومة الشر والسعى للحرية والعدل والمساواة هى بعض صور تلك الإيجابية وهى ليست سعيا من منطلقات بشري ذاتية بل من منطلق الحرية التى لنا فى المسيح فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارا «يو ٨» ٣٦ :وهو ما يؤكده القديس بولس: فاثبتوا إذا فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضا بنير عبودية «غل ٥» ١ :وكيف لا نرتبك بنير عبودية ونقبل أن تبقى الشعوب تحت نير المستعمر أو الطغاة ألسنا هنا أمام دعوة للتحرير وتعرفون الحق والحق يحرركم «يو ٨» ٣٢: ومن رواسب التعليم الأخلاقى المجرد إزاحة الأبعاد اللاهوتية التى تعطى للإنسان ما للمسيح بحسب تعليم القديس أثناسيوس فى كتابه «تجسد الكلمة» صار الله إنسانا ليصيرنا آلهة وهو أمر ينتج لنا آثارا بعيدة المدى فى قبوله ورفضه ومن يرفضونه يقولون بأن لاهوت التحرير يبدأ بالإنسان ويأتى رفضهم لهذا من ديمومة الانفصال بين الإنسان والله وكان المسيح لم يصالحنا مع الله فى شخصه ولم يمنحنا «ما له» بحسب التسبحة وفى هذا انكار لقول القديس بطرس: قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية ٢ «بط ١» ٤ :

وفى قول ورد بالسنكسار "أن الله لا يكلم البشر إلا بالبشر ولعل التجسد نفسه يؤكد هذا إذا لم يكلمنا الله بملاك أو رئيس ملائكة أو نبى بل بالإبن المتجسد ونحن أيضا :نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله ٢ «كو ٥» ٤ : وإقصاء دور الإنسان فى السعى للحرية هو تغليب للمسيحية وفصلها عن الواقع المعاش لتبقى كما يقول مقاوميها مجرد قيم أخلاقية وعلاقة مجردة بين الإنسان والله لا تنعكس على العلاقات الإنسانية البينية وهذا التوجه يحقق مصلحة القوى الاستعمارية والطغاة ولعله فى جانب منه يقف وراء سلبية المتدينين بغير عمق لاهوتى يؤكد مكتسباتهم فى المسيح وحقهم فى الحرية والعدل والمساواة.

لاهوت التحرير الفلسطيني: حلا ..وحلما (٢)
عادل الضوي

لاشك أن المنطقة العربية والشرق الأوسط عامة باتا في حاجة ملحة إلى لاهوت تحرير ..بما اكتسبه هذه المصطلح من دلالات دينية وسياسية واجتماعية خلال النصف الثاني من القرن العشرين متجسدا في التجربة المتميزة لحركة لاهوت التحرر في أمريكا اللاتينية وبداية فمن المهم أن نشير لقضيتين :

أولاهما : أننا جميعا « مسلمون ومسيحيون ويهود » في حاجة للاهوت تحرير .

ثانيهما :أن مفهوم "لاهوت التحرير "يتجاوز فيما أعتقد - مفاهيم التجديد والاجتهاد والاستنارة فهو إذ يعني كل هذه المفاهيم يضيف إليها أبعادا أخرى منها الانحياز الاجتماعي والسياسي لمصالح الجماهير والوطن والسعي للحياة الأفضل لجموع البشر .

من هذين المحددين أعتقد في أهمية أن تكب قوى التقدم والحداثة في الجماعة العربية لإنجاز هذا الطموح الواجب وأذهب للزعم أن المنوط بهم إنجاز هذا اللاهوت ليس فقط رجال الدين إنما قوى ليبرالية ووطنية ويسارية تضع هذا المشروع على أجندتها الفكرية والنضالية وأعتقد أن "اليسار "بشكل خاص مطلوب منه أن يولي هذا المشروع عظيم اهتمامه هل لي أن استرجع هذا التفاعل الديناميكي العبقري في تجربة لاهوت التحرير اللاتينية بين الأفكار الثورية والعقيدة المسيحية لتؤكد لنا هذه الحقيقة البديهية "ثورية الدين - " بالطبع كل دين - حيث الانحياز للحق والخير والعدل والسلام وحيث استهداف الحياة الأفضل للبشر .

نعم نحن في حاجة "للاهوت تحرير "يستند إلى التعددية الدينية ويحترم الديانات الأخرى مع احتفاظ كل دين بعقيدته الخلاصية من أجل إرساء العدالة وتحرير الإنسان فالوقوف إلى جانب المظلومين الفقراء هو ممارسة حياتية وليس مجرد قراءات وصلوات طقسية "وهي مفاهيم أشار إليها الأب وليم سيدهم اليسوعي في كتاباته الرائدة في تلك القضية .

ومن هنا يأتي التثمين الخاص لجهد القس الفلسطيني الدكتور نعيم عتيق في مؤلفه المتفرد "لاهوت التحرر الفلسطيني "والذي يؤكد فيه على أن المسيحيين الفلسطينيين هم جزء لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني ويواجهون نفس المصير وأنهم لعبوا دورا مهما في الحركة الوطنية الفلسطينية مع إخوانهم المسلمين ووقفوا صفا واحدا في مواجهة الحركة الصهيونية وأطماعها ومجابهة المحاولات الإسرائيلية لتهميش المسيحيين الفلسطينيين

واعتبارهم طرفا ثالثا فى النزاع العربى الإسرائيلى وكأنهم غرباء ولا يهمهم قضية الوطن وأن جل اهتمامهم مقتصر على المقدسات .

واقتصر الحديث - هنا - على ما يطرحه القس الدكتور نعيم عتيق من رؤية لحل الصراع الفلسطينى الإسرائيلى - فهو بلغة السياسيين يقدم حلا مرحليا وآخر استراتيجيا.

الحل المرحلى يتمثل فى إنشاء دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل وفقا لقرارات الشرعية الدولية والثوابت الفلسطينية هذا - وفقا لرأى عتيق - الحل إذا أرادت إسرائيل البقاء بل يجب أن يكون هذا مطلبا إسرائيليا ويضيف ويجب أن يكون إنشاء الدولة الفلسطينية الخطوة الأولى فقط فى عملية السلام والمصالحة الديناميكية لأن حل الصراع لن يحدث فجأة فى اللحظة التى تأتى فيها الدولة الفلسطينية للوجود ويمكن إجراء المصالحة - فقط - عندما يلتقى اليهود والفلسطينيون مع بعضهم البعض على قدم المساواة وليس كمضطهدين " ومضطهدين ."

أما الحل - الحلم الكبير - فى رأيه فهو دولة واحدة للفلسطينيين واليهود. أما بالنسبة للقدس "وهى المدينة المقدسة لليهودية والمسيحية والإسلام فيمكن أن تكون العاصمة الفيدرالية للجميع وتكون القدس مدينة الله.

الآن فى ظل التصعيد المتواتر واللامسبوق للأحداث الملتهبة فى ظل حكومة الليكود المتطرفة بقيادة شارون ومرواغاته الدؤوبة للهروب من أى أفكار أو أحلام أو خطط أو "خرائط "للسلام وتصاعد ثقافة العنف والتى لا تستفيد منها إلا قوى التطرف على الجانبين .ينزوى ويتراجع "حلم عتيق "الصغير والكبير على السواء .وتتصدر اللوحة آلة الحرب وصواريخها وجرافاتها ودماء الأبرياء من المدنيين من الجانبين ويلخص المشهد الاقتلاع اليومى لأشجار الزيتون بما يعنيه من دلالات مباشرة ورمزية.

أن فكرة دولة واحدة للفلسطينيين واليهود تبدو هى الفكرة الأجدر بالشعبية.. واذكر أن قوى ليبرالية ويسارية وثورية فلسطينية وعربية ويهودية تبنت هذا الشعار ودافعت عنه . وللآن . ترى أنه الحل الأمثل... وها هو القس الفلسطينى الدكتور نعيم عتيق يراه حلا أو حلما جديرا بالشعبين والمنطقة.

وهكذا يؤكد لنا «لاهوت التحرير الفلسطينى» حاجة منطقتنا وشعوبنا للاهوت تحرير يستهدف تحرير الإنسان من كافة أشكال الظلم والقهر والفقر ويسهم فى صناعة المستقبل الأفضل لنا جميعا .. حيث العدل للجميع والخير للجميع والسلام للجميع.

تحرير الإنسان... رؤية أرثوذكسية (٢)

سامح فوزى

أفسحت «صفحة الرأى» المجال أمام مناقشة إمكانية نشوء «لاهوت تحرير عربى مصرى» وهو موضوع يحتاج إلى تأمل ودراسة .تحرير الإنسان «غاية خلاصية» تحتاج إلى نضال مستمر لا يتوقف يتغير شكله وآلياته حسب مقضيات العصر وتحولاته .وفى القداس الإلهى يصلى الكاهن إلى الله قائلا «عبادة الأوثان بالكمال أقلعها من العالم».

ورغم أن عبادة الأوثان بالشكل التقليدى زالت إلى حد بعيد أو على الأقل لم تعد خطرا يلاحق المؤمنين فى شتى بقاع العالم إلا أنها لا تزال موضع صلاة وطلبة مستمرة .والسبب فى ذلك أن الأوثان ليست مجرد حجارة متراصة أو أشكال صنمية صماء بل تحولت إلى أوهام وتطلعات تستأثر وتسبى عقل الإنسان ..إنها أوثان النزعة الاستهلاكية والزعامة الفاشية وشهوات أصحاب البنادق ..تجارة فى البشر والسلع والسلاح تجتاح العالم كله .ورغم أن العولمة تحمل بين طياتها تدفقا معلوماتيا وثورة تكنولوجية غير مسبوقة إلا أن لها أبوابا خلفية تتمثل فى ازدياد معدلات الفقر والجريمة وإهانة الإنسان بشكل غير مسبوق .

إذن الإنسان يحتاج إلى تحرير يسترد به إنسانيته ويرد له الاعتبار بوصفه كائنا على صورة الله ومثاله .

الحرية الحقيقية

هناك من يفهم الحرية على أنها إزالة لقيود مفروضة على سلوك الشخص هذا فهم "سلبى "للحرية ..لأنه ما الضمان إذا زالت القيود تزداد طرديا مساحة الحرية التى يتمتع بها الشخص فقد زالت القيود المفروضة على حرية تدفق المعلومات – إلى حد بعيد – ولكن هل يعنى ذلك أن البشر فى إمكانيهم توظيف هذه الميزة التى توفرها لهم العولمة هناك عوائق تقف فى الطريق تتمثل فى الفقر والجهل وتفشى الأمراض ..كل ذلك يحملنا على التفكير فى الحرية على نحو مختلف ..الحرية الحقيقية هى التى تمكن الإنسان من تغيير واقعه إلى الأفضل هى حرية تنصب ليس فقط على إزالة القيود ولكن على تغيير الظروف التى تعوق الانطلاق والرقى الإنسانى هذه هى الحرية التى تجعل الإنسان فى حالة اشتباك مستمر مع واقعه بهدف تطوير جودة الحياة فالقبول السلبى أو التصالح الاستسلامى مع واقع عليل لا تجعل المؤمن يختبر إيمانه فى حياته اليومية بشكل فعلى بناء .

المجتمع الجديد

قدم السيد المسيح نموذجا لتغيير نظام اجتماعى جائر ولم تثنه رسالته

الخلاصية عن الجهاد ضد واقع أرضى مترد يستعبد الإنسان بناء على أسس عرقية وشوفينية ولا إنسانية .

شهد ميلاده فى مزود البقر مجموعة من الرعاة الفقراء يقبعون فى أسفل السلم الاجتماعى للمجتمع اليهودى .

وفى حواره مع المرأة السامرية خلص المجتمع من "جبروت التسلط الذكورى "استغرب التلاميذ أنه كان يتحاور مع امرأة فقد كان اليهودى – حسب ما جاء فى التلمود – يشكر الله فى صلاته أنه خلقه رجلا وليس امرأة . !!

لم يرد السيد المسيح الاعتبار للمرأة وحسب بل جعلها كارزة ومبشرة بالقيامة وشريكه فى البشارة والخدمة وفى مثال "السامرى الصالح "جاء الخير مما كان يعتبره اليهود "عدوا "ففى المجتمع اليهودى أنذاك كان "ظل السامرى إذا وقع على يهودى نجاسة "فجاء السيد المسيح ليدشن مفهوما جديدا للإنسان والآخر والإنسانية قائم على ثقافة "قبول الاختلاف "وتوقع أن الآخر يحمل "خيرا "ولديه دائما ما يقدمه .

أحب السيد المسيح الفقراء وجعلهم "أخوته الصغار "عاش فقيرا وقبل إهانة وتعيير المجتمع لأنه "ابن نجار . "

أسس من خلال بشارته جماعة جديدة أو مجتمع جديد فى قلب مجتمع واهن حطمته تقاليد بالية .مجتمع جديد يقوم على الحرية الحقيقية وليست الحرية "الوهمية "مجتمع جديد يستوعب من يستبعدهم المجتمع على أسس طبقية أو إرثية أو عرقية .

هوية اجتماعية إنسانية

لاهوت التحرير – كما أفهمه – يتطلب من الإنسان المؤمن أن يتبنى هوية اجتماعية إنسانية فى نضاله المجتمعى من أجل إزالة كافة صور التمييز والتفرقة والظلم الاجتماعى .

هناك هويات اجتماعية – اليوم – لا إنسانية ..هناك من يعرف ذاته بما يستهلكه ...أو بالعودة إلى أصول طبقية غابرة ..أو بالبحث عن أى صيغة تكفل له الاستعلاء على الآخر .

هوية الإنسان المؤمن – اجتماعيا يجب أن تكون هوية إنسانية تنصب على تحرير الإنسان من الأوضاع الاجتماعية المقيدة بالنسبة له حتى لا يتحول الإنسان – أى الكيان الإنسانى – برمته إلى ترس فى آلة أو رقم فى بيان دفترى أو مجرد "شىء "يتداولون الرأى بشأنه بيعا وشراء . "

إننا بحاجة إلى استكشاف "الأوثان "وتحطيمها ..إنها رؤية أرثوذكسية تبحث عن كل ما يعرقل علاقة الإنسان بخالقه وتسعى لإزالته

تأملات فى لاهوت التحرير:
مصر فى حاجة لخطاب دينى جديد (٤)
رؤوف زكريا

كانت خبرة الخروج هى الخبرة المؤسسة للشعب العبرانى القديم فيها وجد لأول مرة بصفته شعبا وفيها اختبر حقيقة الله المحرر وكان كلما مرت به أزمة فى تاريخه يقف ويستعيد هذه الخبرة خبرة التحرير والخروج وينطلق منها ليعيد اكتشاف وصياغة إيمانه فيختبر نفس الاختبار الأول أن الله محرر وعلى غرار الشعب العبرانى القديم وقفت الكنيسة عدة مرات فى تاريخها تعيد قراءة وصياغة ايمانها ولكن انطلاقا لا من خبرة الخروج وحدها بل من شخص المسيح المحرر.

ففى أمريكا اللاتينية وفى عمق أزمة المجتمعات هناك فى الفقر والقهر واللاعدالة وقفت الكنيسة هناك تعيد قراءة إيمانها فاكتشفت ما فى أفعال المسيح من اتحاد بالفقراء والمقهورين واختبرت ما فى رسالة المسيح وبشارة الإنجيل من دعوة تحرير ورفض لكل أشكال الظلم واللاعدالة.

وانطلاقا من هذه الخبرة واتحدت الكنيسة مع المقهورين والمظلومين والفقراء فى نضالهم فكان لاهوت التحرير ..والآن أصبح لاهوت التحرير مصدر إلهام لكل المجتمعات على اختلاف أوضاعها وأزماتها .فظهر لاهوت تحرير أفريقى ولاهوت تحرير آسيوى وأخيرا لاهوت تحرير مصرى فالحاجة ملحة إلى العودة إلى بهاء الجماعة المسيحية الأولى التى عاشت فى العالم تحيى إيمانها بحرارة شديدة لتعلن للجميع حقيقة الله محرر .فلاهوت تحرير مصرى من شأنه أن يجدد ويحرر الخطاب الدينى فى الكنيسة .لكن ما هى ملامح هذا الخطاب الجديد المرجو.

أول ملامح التجديد هى واقعية الخطاب .خطاب ينطلق من واقع الحياة اليومية لإنسان القرن الحادى والعشرين بكل همومه ومشاكله وليس إنسان القرن الخامس .فمن المفيد سماع قصص القديسين ومعجزاتهم وإخراجهم للشياطين لكن ماذا عن شياطين العصر المال والسلطة واللذة؟ ماذا عن الثقافة الاستهلاكية ثقافة الأخذ والرفاهية؟ !!ثقافة موائد الصيارفة وباعة الحمام فى الهيكل !!ثقافة الفريسيين الذين يعشرون النعنع والشبت والكمون ويتركون الحق والرحمة والإيمان !!فهذه الشياطين كيف يمكنا إخراجها! فالخطاب الشائع خطاب تخديرى.

خطاب يشجع الناس على الخنوع والخضوع .فهو لا يدعو لأى نوع من

تغيير جذرى للحياة لا على المستوى الشخصى ولا الجماعى - فالخطاب المرجو دعوة لتغيير إيمانى عميق يدفع الإنسان لأخذ موقف حاسم فى حياته العملية ضد كل ما يقهره ويقيده .

فالعظة على الجبل لم تكن رسالة تخدير للجموع بل كانت هى "الخطاب الواقعى التحريرى "لم يكن يسوع يقول للجموع طوبى لكم فأنتم حزانى وباكين ومتألمين أبقوا هكذا فتنالوا الملكوت !!لم تكن العظة على الجبل دعوة لتقديس البؤس والألم بل كانت رسالة مفادها أنه يوجد الآن مخرج جديد للذين هم فى الألم "إن الواعظ الذى لا يستند فى كلامه إلى الوضع الذى يعيش فيه لا يعظ الإنجيل .كثيرون يريدون بشارة روحانية تترك الخطاة فى خطيئتهم ولا تدين عبدة الأصنام الذين يركعون أمام المال والسلطة .. فالإيمان ألذى يكتفى بحضور قداس يوم الاحد ويقبل الظلم طوال الأسبوع لا يرضى به الرب وجماعة المؤمنين التى لا تعمل إلا لرفاهيتها وتجمع المال الكثير وتعيش فى الرخاء وتنسى بمثار المظالم ليست كنيسة فادينا الإلهى (الأسقف أوسكار روميرو)، ثانى ملامح التجديد هو أن يكون الخطاب انفتاحى ..خطاب قائم على قبول وتبرير الآخر .هذا الآخر الذى يجب أن يؤخذ ويفهم فى إطاره وسياقه التاريخى والثقافى والروحى ..فالخطاب الطائفى المنغلق الذى لا يرى إلا الذات ويدور حول الذات ويتكلم عن الذات ويمسك ويفند معتقدات الآخرين خطاب بال ولى عهده ,,خطاب الحقيقة الواحدة والرأى الواحد والطريقة الواحدة أصبح غير مقبول شكلا ومضمونا ..الخطاب والتعليم الذى يقيد ضمائر الناس بقائمة طويلة من المحرمات وتذكير دائم بالحرمانيات وينصب محاكم التفتيش فى الضمائر هو أشبه بخطاب العصور الوسطى فالخطاب الانفتاحى على الآخر المتجه إلى الوحدة وليس الطائفية أو الانغلاق هو وحده القادر على التجديد وهو أصبح حاجة ملحة خاصة للشباب الواعى الباحث عن الحقيقة الذى يؤمن ويفكر وينقد والذى يرى أن الطائفى المنغلق لا يعكس دعوة الحب والتحرير التى دعانا لها المسيح .

فى النهاية أود التأكيد على ضرورة تجدد الخطاب الدينى وتجديد وتحرير الإنسان بكامله وفى كل أبعاد حياته .فالحاجة ملحة للاهوت تحرير قائم على شخص المسيح وخلاصه المقدم للبشرية كلها .فشكرا لكل هؤلاء الذين يكافحون لتحرير قلوب وعقول وضمائر الناس والذين بدونهم لم أكن لأكتب حرفا مما كتبت.

الأقباط يحتجون إلى لاهوت تحرير:
العبور للمواطنة الكاملة(٥)
إسحق أسعد

تصاعدت وتيرة الأحداث السياسية فى المنطقة وباتت تطفو دول الشرق الأوسط فوق بركان ساخن يهدد استقرارها وفى الوقت نفسه أصبح الدين هو الفاعل الأساسى فى الحياة العامة للمواطنين وزاد دور رجال الدين وقدرتهم على التأثير مما أدى إلى نمو بعض الأصوليات الدينية التى اتخذت تفسيرا مغلقا للنص المقدس صداميا مع الآخر وترعرعت مظاهر التغلغل الدينى فى جميع نواحى الحياة بداية من المظهر والعلاقة مع الآخر الدينى والنوعى وتكفير المختلف فى الرأى انتهاء بدائرة العنف الطائفى وإن لم تسرع الدولة المصرية بإجراء تغييرات ترسخ لقيم الديمقراطية والمشاركة الشعبية لجميع مواطنيها فى الحكم فإن الأجندات والبرامج التى تحمل القيم الإنسانية العالمية ستفرض من الخارج .

وفى خضم الأحداث من الضرورى أن يخرج الأقباط من الانعزالية والسلبية ويعيدوا اندماجهم فى المجتمع مرة أخرى للحصول على حقوق المواطنة غير المنقوصة .

قامت الكنيسة نتيجة تحيز الدولة ضد مواطنيها الأقباط وتجاهل حقوق المواطنة التى كفلها الدستور والقوانين والمواثيق الدولية بدور اجتماعى مهم تخطى بناء المستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية وتنظيم المسابقات الثقافية والرياضية إلى الاستيعاب الكامل للأقباط بحيث أصبحت الكنيسة الملاذ الآمن لهم ولكن جاء الوقت كى يخرج الأقباط إلى المجتمع ويؤثروا فى شتى مناحى الحياة .ويحتاج هذا التغيير إلى لاهوت تحرير يعيد تأويل النص الدينى ويقرأه فى سياق زمنى يتفق مع روح الواقع المعاش الذى يجب أن ينادى بدور مجتمعى للمؤمن والمواطن .

ويعتبر لاهوت التحرير اطروحة فكرية قادرة على استيعاب التغيرات العالمية المتسارعة والبحث عن سبل جديدة لتفسير النصوص الدينية لصالح الفقراء والمظلومين ويدعو أبناء الكنيسة للاندماج فى المجتمع وإعادة لعب الدور التاريخى الذى مارسه الأقباط فى تطور وتقدم الوطن من أجل تحقيق مستقبل أفضل للجميع .

وبصفة عامة يكتسب لاهوت التحرير أهميته بكونه احتجاجا على واقع مترد ويحاول تغييره .وفى الحالة المصرية يبدأ بزيادة وعى الأقباط وأهمية الانتماء للوطن وحثهم على الانخراط فى الحياة العامة إن النص الدينى يثبت أن الله يرفض السلبية والظلم لأن قبولها يؤدى إلى استمرار المعاناة والظلم الاجتماعى .

تجدر الإشارة إن دولا عديدة عرفت ظاهرة لاهوت التحرير وطبقته حسب ظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتعد تجربة لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية نموذجا حيا وفعالا لدور الكنيسة فى التصدى للظلم الاجتماعى والدفاع عن المقهورين والفقراء عن طريق إعادة قراءة وتأويل النص الدينى ليصبح أكثر إدراكا للمشكلات الجديدة التى تعانى منها شعوب أمريكا اللاتينية .

وقد وصف الكاتب سمير مرقص لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية بأن أنصاره دعوا لإعادة تفسير نصوص الكتاب المقدس والكلمات الإلهية وتأويلها من وجهة نظر الفقراء بما يتناسب مع الواقع المعاصر أخذين فى الاعتبار الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والروحية أى أن التأويل على حد قوله. تأويل تحريري يعمل على اكتشاف الطاقة التغييرية للنصوص الكتابية لتوجه الإنسان للانعتاق من واقع القهر الذى يعيشه وإحداث التغيير الشامل لهذا الواقع.

وبالمثل تبلور لاهوت التحرير الأسود فى أفريقيا من خلال كتابات الأب " ديزموند توتو "التى نقلها للعربية الأب وليم سيدهم اليسوعى الذى أكد فيه أن المسيح يحمل البشارة للبشرية كلها وجاء فقيرا مظلوما من أجل الفقراء وهو نفس الظلم الذى أفرزته أنظمة مارست سياسات التفريق العنصرى " الابارتيد . "

واستعان الأسيويون بلاهوت التحرير لكى يعبروا عن التزاوج بين المسيحية والثقافة الأسيوية المتأثرة بديانات وضعية منتشرة مثل الهندوكية والبوذية انطلاقا من حقيقة حب الله لكل البشر وسعيه لتخليص الإنسان فى كل زمان ومكان .

يستطيع لاهوت التحرير المسيحى المصرى كسر الصورة النمطية السلبية التى تكونت عن الأقباط التى اسهمت بصورة ما فى توليد الخوف والتوجس من الآخر عن طريق تقديم المسيح المخلص الذى يدعو إلى للتفاعل والتعايش مع الآخر .

ومن ناحية أخرى يزيد لاهوت التحرير بهذا الشكل من تفهم الشخص لدينه على حد قول المفكر الدكتور وليم سليمان قلادة فى كتابه "مبدأ المواطنة "حيث ينكب الشخص دارسا النص الدينى ليفهمه ويعرضه بأسلوب مقبول ومقنع مما يعطيه عمقا وتعبيرا للعقيدة لم يكونا واضحين أمامه من قبل حين لم يقف هذا الشخص موقف الآخر من العقيدة .

وأكد الدكتور كمال أبو المجد المفكر الإسلامى هذا المعنى عندما أشاد فى احتفال للمجلس الملى بمناسبة مرور عام على انتصار أكتوبر ١٩٧٣ إلى وجود

مسافة تفصل بين ما يدعو إليه الدين أو العقيدة وبين ممارسة المتدين لدينه ويفيد الحوار فى تضييق هذه المسافة لأنه يكشف لصاحب الدين النقص الذى يشوب ممارسته.

ويدعو الباحث سليمان شفيق فى ورقة بحثية بعنوان "نحو لاهوت " تحرير عربى مصرى "إلى التعددية الدينية واحترام ثقافة الديانات الأخرى مع احتفاظ كل دين بعقيدته الخلاصية والوقوف إلى جانب المظلومين والفقراء ويقدم لاهوت التحرير ممارسة حياتية وليس مجرد قراءات وصلوات طقوسية .

أثبتت التجارب التاريخية أن الصراعات المريرة التى نشبت بين علماء اللاهوت ورجال العلم الذين رغبوا فى تخفيف عذابات البشر كان النص فيها حليفا للعلم منذ كوبرنيكوس ونخشى ان لم يظهر لاهوت تحرير مسيحى مصرى أن يتحقق تحذير الكاتب سلامة موسى الذى ورد فى كتابه حرية الفكر عندما قال "أن حياة الإنسان دائمة التطور بالانتقال من حال إلى حال وتناقض العقائد مع الحياة ورقى الإنسان إلا إذا أتيح لها علماء يقومون بتفسيرها بحيث لا تناقض روح الزمن أما إذا لم يتح ذلك فإنه يجب عندئذ إما أن يجمد الوطن ويموت وإما أن تخلع هذه العقائد عنه . "

نحو تمصير لاهوت التحرير (٦)
جورج رياض

ساهمت حركة لاهوت التحرير فى الارتقاء بالفكر فى قارة أمريكا الجنوبية ولاشك أن استفادة مجتمعنا من الفكرة اللاتينية المنشأ يتمثل فى تمصيرها بما يوائم المشكلات والتحديات التى تواجه بلادنا فنحن بحاجة إلى لاهوت تحرير يغير بعض الظواهر والقيم الراسخة فى الأذهان على مدار العقود وإلى الاقتناع بجدوى الحوار حول أى قضية دون استباقه بعبارة " محظور النقاش .. "نحتاج إلى تحرير فكرى يقود إلى تحول شامل فى المجتمع من حالة اللامبالاة والبلادة وإدمان المسكنات إلى الحداثة ومواكبة العصر فى مختلف المجالات .

إن مجتمعنا بحاجة إلى لاهوت يناصر المظلومين والمقهورين ..بحاجة إلى لاهوت تحرير يدعم حق الإنسان فى حرية التعبير والاعتقاد ..نحتاج إلى تصحيح مفهوم الانتماء للوطن من انتماء شكلى إلى آخر راسخ يستند إلى حب الوطن والخوف عليه والمشاركة الفعالة فى تقرير مصيره وكذلك الإيمان بقيمة الديمقراطية وقدرتها فى التعبير عن المواطنين.

نحتاج إلى لاهوت يحررنا من الفكر الظلامى الذى يعتمد على الغيبيات والخرافات إلى فكر جديد قادر على التطوير والإبداع يحتاج المجتمع إلى التحرر من سيطرة الفكر الدينى المتطرف الذى يسعى للهجوم على كل شىء جميل تبقى لنا وإلى النظر لتجارب المجتمعات الأخرى التى فشلت بسبب هيمنة هذا التيار على نواحى الحياة المختلفة .

نحتاج نحن الأقباط إلى التحرر من الأفكار التى تدعو إلى الفرقة والانعزال عن المجتمع ومع كامل نضالنا ضد بعض أشكال التمييز فى حقوق المواطنة إلا أن هذا لا يعنى البعد عن المشاركة الفعالة فى المجتمع ولابد من تغيير الفكر الخاطئ الذى يرفض وجود علاقات طبيعية وتكوين صداقات متفاعلة بين الأقباط والمسلمين حيث ثبت بالدليل القاطع مدى ضرر هذا السلوك والذى قد يكون من مبررات عدم وجود تمثيل قبطى حقيقى فى أى انتخابات .

نحن بحاجة إلى لاهوت تحرير يتحدث عن واقع القهر السياسى والاجتماعى والاستغلال الاقتصادى فهذا الظلم والقهر ليس قدرا ينبغى لنا أن نحافظ عليه ..نحتاج إلى مجتمع يؤمن بتحديث التعليم وتطوير أساليبه بدلا من الارتكان إلى الأشكال العتيقة التى تعتمد على الحفظ والتلقين .

وقد يعتقد البعض أن حديثا عن تغيير وتحول يقود إلى الحداثة نوع من التفاؤل غير الواقعى أو مجرد جملة خيالية مثل غيرها من الشعارات المطاطة والعبارات الحالمة التى نسمعها ونقرأها نهارا وليلا ولكن هل كان متوقعا أن يتحول المجتمع الأوربى الغربى من الظلام والتخلف الشديدين إلى تحديث وقيادة الحضارة البشرية أو أن يحدث تحول جذرى فى اليابان مثلما حدث بعد الحرب العالمية الثانية ..وهل توقع أحد أن النظام العراقى الذى مارس شتى الطرق لتجميل نفسه أمام شعبه وأمام الشعوب الأخرى حتى يبقى أطول فترة ممكنة سيسقط بين لحظة وأخرى أو أن دولة مثل إيران - رسخ حكامها منذ قرابة ربع قرن مبادئ وأسس نظام دينى متشدد - تشهد مظاهرات حاشدة من أغلب المواطنين لرفض النظام ورموزه .

إن العلم والتاريخ البشريين يقولان إن الثبات على حال هو الاستثناء وأن التغيير والديناميكية هما القاعدة الأساسية مهما حاول مريدو الثبات تخدير الناس بالمسكنات أملا فى الاحتفاظ بمواقعهم وإبقاء الأوضاع كما هى عليه.

لاهوت الحياة (٧)
هليى نجيب

تعرفنا على فكرة لاهوت التحرير من خلال كتاب « نحو لاهوت تحرير مصرى عربى» وقد شعرت بمدى سمو فكرته ورقيها ووجدت مدى جدواها فى هذا المجتمع الذى تشوبه العنصرية والأقليات ولكن لاهوت التحرير وحد الجميع من مختلف الأديان والانتماءات ويحمل على النهوض بفكر المجتمع ومن أجمل الأشياء فى لاهوت التحرير أنه لاهوت حياة يمارس دونه الإعداد أو التخطيط له فهو لا إرادى مثل التنفس فقد جاء لاهوت التحرير ليجدد كل لمظلوم ومستعبد وضعيف جاء لينادى بجدية الفكر والحركة والهوية .

يعد لاهوت التحرير الأمل أن يجعل قوة الفرد هى الإيمان بالله وإقامة علاقة شخصية معه فهى قوة محررة للفرد وذلك لأن لاهوت التحرير هو لاهوت حياة لا يقتصر فقط على الجانب الدينى فى حياة الفرد بل يشمل جميع أنواع الحياة .

فمثلا جاء لاهوت التحرير أملا للمحتاجين والفقراء جاء للضعفاء والمقهورين لقد جاء لاهوت التحرير ليؤكد أن الإنسان لم يولد منفردا ومنعزلا فى عالم لا يعى ولا يهتم بأحد سوى نفسه بل هو فرد وعضو ينتمى لعائلة بشرية يؤثر فيها ويتأثر بها لقد جاء لاهوت التحرير ليؤكد وصف العائلة البشرية بالأوركسترا السيمفونى حيث إذ غاب أحد العازفين اختلت النغمة واللحن كل ذلك من خلال ربط الطقوس بالواقع النظرى بالعملى .

إن فكرة لاهوت التحرير هى أن جميع الأديان لها أجل واحد سواء كانت هذه الأديان سماوية أو وضعية وأن اختلفت الطقوس فالجميع يعبد إله واحد حتى مهما اختلفت طرق التواصل معه أو الوصول إليه وبذلك نصل إلى أن لاهوت التحرير ليس فكرة تخص أو تهتم بأصحاب أو معتنقى ديانة دون أخرى بل هو يختم لكل الأديان وجوهرها ويهدف إلى العودة إلى أصل الأديان والتعامل مع الواقع من خلال ما تكتسبه من تعاليم الأديان .فقد قال روميرو :من يصلى قداس الأحد ويرضى بظلم طوال الأسبوع فهذا لا يرضى الرب .

معنى ذلك أن تعليم الدين لا يقتصر أو يقف عند أسوار الكنيسة أو المسجد أو المعبد بل هى مبدأ تعامل وأساس.

وبذلك يهدف لاهوت التحرير إلى إقامة علاقة شخصية مع الله وهو سر قوته وهى القوة المحررة له فجميع الأديان مصدرها ومشرعها واحد هو الله كذلك يهدف لاهوت التحرير أيضا إلى التحرر من فكرة التمركز حول العقيدة الواحدة والتعامل معها على أنها الحقيقة الواحدة دون غيرها .ومن هنا يلزم التأكيد على أجد أفكار لاهوت التحرير وهى فكرة قبول الآخر والتعامل معه

بشكل سوى دون النظر إلى أى اعتبارات سياسية أو دينية أو أى انتصارات أخرى والتعامل مع بنى العائلة البشرية بشكل موحد وذلك بإيمانه بأن قبوله للآخر لا يعطينى حق تعديله

أو تغييره طالما قبلته على ذلك .

لاهوت التحرير ليس دعوة إلى الخروج عن النص الدينى

أو التصرف عنه بل هو دعوة للتعامل مع كل الأديان ونصوصها من خلال روح النص وليس حرفية النص وتفسير النص الدينى وفقا لما هو مطابق للواقع وصالح له فمثلا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يصلح من حروب لأجل نشر الدعوة والرسالة وغيرها لا يصلح الآن لماذا لأن السائد الآن هو السلام والتعامل بالاتفاقيات الدولية والمعاهدات وذلك نظرا لاختلاف الظروف والزمن أيضا بعد مجئ المسيح الكثير من الموازين والتفاسير اختلفت فبعدما كان الناموس يحض على الأخذ بالثأر العين بالعين والسن بالسن جاء المسيح ليقول:من لطمك على خدك الأيمن حول له الآخر أيضا "ومن هنا يلزم أيضا التأكيد أنه بعد مجئ المسيح تساوى الفعل وفكرة الفعل .

يهتم لاهوت التحرير أيضا بكل ما هو موجود على الساحة السياسية من قضايا وصراعات مثل القضية الفلسطينية فهى قضية شعب بلا أرض والوطن شعب مشتت كذلك ما يحدث الآن بالأراضى العراقية من تقسيم ونهب لخيراتها وثرواتها .كذلك العنصرية والتفرقة بين الأجناس والانتهاكات القائمة على جميع المستويات فلا توجد أدنى اعتبارات لا لدين أو لقرارات مؤسسات المجتمع الدولى التى هى كل واجبها هو تقديم السلام ودعمه فأنا لا أعتقد أن المسيح لو كان بيننا الآن مثلا لم يكن يرضيه ما يحدث من ظلم لشعب وأطفال العراق.

ولذلك ففى رأيى أن لاهوت التحرير فرصة وطوق نجاة يجب ألا يضيع من بين أيدينا فهو الحل لكل هذه المشاكل التى تعيش فيها من ظلم وتفرقة وغيره من خلال تجربتى الذاتية وتعاملى بمادئ وأسس لاهوت التحرير على مستوى حياتى تعلمت كيف أسلم ذاتى وكل ما فى حياتى ليد الله التى أثق كثيرا وكم يحبنى الله وعظيم هو عمله فلاهوت التحرير أعطانى الفرصة للتأكد من أن الدين جاء لمصلحتى وليس ضدى فتعاملت مع روح النص وتركت حرفيته وسلفيته فوجدت كم يحبنى الله ومن أهم الأشياء التى تدربت عليها من خلال لاهوت التحرير فكرة "التسامح "التى تحتاج لاحتواء الآخر والتماهى معه لاجل التسامح معه والصلاة له .

فى نهاية القول تجدر الإشارة إلى القيمة الكبيرة لكتاب "نحو لاهوت تحرير مصرى عربى "للأب وليم سيدهم اليسوعى والذى قدمه الشيخ

الجليل جمال البنا فإنى أحيى كل منهما على تعاونهما فى ظهور هذا الكتاب القيم .

ومن هنا تجدر الإشارة لدور الأب وليم سيدهم الكبير فى تمسكه بالفكرة والدفاع عنها فهو راعى ومؤسس لاهوت التحرير فى مصر حاملين الراية مثل جوتيريز وروميرو هؤلاء الذين دفعوا حياتهم ثمنا لفكرة كثيرا ما ناضلوا من أجلها من أجل توصليها والعمل بها والتأكيد على أن جميع البشر هم إخوة فى عائلة بشرية يعبدون إله واحدا وهو سبب حياتهم جميعا متقبلين بعضهم البعض دون أى حواجز أو اتجاهات أو انتماءات كذلك التأكيد على العودة إلى روح المؤسسة الدينية وروح النص والدين لأن ذلك هو الأصل بعيدا عن كل ما هو قائم من حرفية وسلفية النص .

هنا يلزم التأكيد على أن لاهوت التحرير هو لاهوت يسير مع فالفرد يمارسه بشكل فطرى وطبيعى دون تخطيط أو إعداد .

ثلاثية لاهوت التحرير (٨)
مينرفا سعد

ما أريد أن ابدأ به هو مدى احتياجنا إلى لاهوت تحرير حقيقى يحررنا من اللون والبشرة والفقر والتخلف والسيطرة كما حررنا مسبقا من الخطية.

أما بالنسبة للاهوت التحرير فهو تيار جديد يحاول أن يجعل من الإيمان بالله والعلاقة به مصدر قوة محررة للإنسان وذلك فى إطار الدين المسيحى الذى لم يرسم علاقة الإنسان بالله فقط وإنما بالإنسان الآخر. أولا :من الخلاص الفردى إلى الخلاص الجماعي:

عندما جاء المسيح ليتم عملية الفداء ويحررنا من الخطيئة إنما جاء للبشرية كلها (يهودا وأمما) لم يأتى ليحرر اليهود فقط ولم يدع إلى إيمانه إلى أمة أو شعب بعينه وإنما قال لتلاميذه (اذهبوا وتلمذوا فى جميع الأمم). فالخلاص الذى أعطاه لنا المسيح خلاص للعالم كله ولكنى اعترف فى ذات الوقت أن لنا نظرة محدودة تتلخص فى الخلاص الفردى وتبرير الإنسان لذاته وأكبر شيء نمتلكه فى هذه النظرة هى الخلاص لديننا وكأن الحق ملكية خاصة امتلكها أنا أو جماعة - رغم أننى أرجع هذه النظرة فى مجتمعاتنا النامية إلى الأمية وليس التدين .

فعندما يربط الإنسان بين الطقوس الخاصة به والأحداث الجارية فى العالم فإنه يحول خلاصه الفردى إلى خلاص جماعى فالمؤمن الذى ينتقد الظروف السياسية ويحاول تصحيحها ويشارك فى مجتمعه لا يقل عن المؤمن الذى يحضر القداس الإلهى .

فإذا ردد مقولة أوسكار روميرو "أن الإيمان الذى يكتفى بحضور قداس الأحد ويقبل الظلم طوال الأسبوع لا يرضى به الرب ."

فأنى أتعجب من فرد فى دولة عالم ثالث يسعى نحو خلاصه الفردى فى ظل عدم وجود وانتهاك الحريات والاستغلال الاقتصادى والقهر السياسى وهنا يتدخل لاهوت التحرير قائلا إن كفاح الإنسان لينال حريته وليفتخر بإنسانيته جزء لا يتجزأ من خلاصه .

فإن المسيح جاء واحد منا فصار حيا بجسده ودمه وقلبه يدعى جائعا عطشانا عار مريضا ولا مأوى له قد كان تحت وطأة القوانين السياسية كان عاملا من الطبقة العامة إنسان افترى عليه وعومل كمجرم وقع ضحية التعصب والنفاق السياسى للكهنة .

كما قال بيريز هذا هو المسيح الذى يفتح عقولنا لنفهم الأسباب الحقيقية الظاهرة والخفية التى تعمل على تجريد الإنسان من إنسانيته هو الذى يقترح علينا نموذجا مختلفا للمجتمع الإنسانى مجتمعا يتمحور حول النمو الحقيقى والشامل للإنسان .

البداية من الأسرة من له حق إصدار القرار من له حق الاعتراض المطلق للسلطة والهيمنة

ثم المدرسة لا حوار لا احترام لشخصية الطالب منذ أن كان طفلا – ما يقوله المدرس هو الصواب وهو الذى يطبق. ولا نجد الكنيسة تشذ عن القاعدة كثيرا .

كيف يمكن الآن أن أطالب من المصرى (والمصرى المسيحى خاصة) أن يكون مدافعا عن حقوق الإنسان فى حين أنه لا يحظى بأى منهما منذ ولادته .ولو كان لى أن أتكلم قليلا عن حقوق المسيحى المصرى فابتدأ بهمومه داخل الكنيسة أولا حيث التلقين الدراسى فى المدارس .

ثانيا التربية المبنية على السمع والطاعة للمثاليات الرهبانية والتى تعمق الشعور بالازدواجية بين متطلبات الكنيسة متطلبات العالم .

أما عن همومها خارج الكنيسة فإنه أمام ضغط جماعات الأخوان المسلمين وخاصة فى الفترة فى الثمانينات وأوائل التسعينات فقد شعر الأقباط أنهم دخلاء على مجتمع إسلامى صرف فقد زاد هذا من عزلتهم وتقوقعهم فالتجأوا للكنيسة لتكون وطنا كاملا يمثل العبادة والنوادى الاجتماعية والمدرسة والعيادة والرحلات أى قد انسحب أغلب المسيحيين من الحياة العامة – رغم أنى أنقد هذه السلبية – ولكن مع احترامى ماذا بعد التصفيات الجسدية للآخر الدينى فهل من مناخ يساعد على احترام الآخر الدينى ! الحق فى الاختلاف كان مرفوضا فى ظل هذه الحقبة.

وأما عن النقطة التالية والتى أشعر أنها الخنجر السام فى قلب الكنيسة المصرية هو أن الكنائس المصرية تكفر بعضها البعض !!!لا تعليق

ثانيا: التعددية وقبول الآخر شرط ضرورى للخلاص فنحن فى مصر والعالم العربى لا توجد غير الديانات التوحيدية التى تعترف بإله واحد وهى اليهودية المسيحية والإسلام .لا مجال لمعرفة الديانات الوضعية غير الكتابية الأخرى.

حتى عصر العولمة والكوكبة لا يزل عالمنا العربى يكفر العالم وخاصة الكتلة الصينية ويقول الديانة الوثنية والشرك بالله حتى الآن فى مدارسنا نكرر ألفاظ لا دينية الهندوسية الوثنية فى حين أن تكون على سلطة سياسية فى دولة ما عربية تسعى لعقد صفقات صناعية مع هذه الدولة .كيف أتعامل مع الآخر المختلف عن دينى دون أن أجرح مشاعره أو أحط من قدره .

فهل ينكر أحد أن يأتى غدا وتكون الصين أكبر دولة من حيث عدد السكان الذى يدين معظم سكانها بالهندوسية قد أعلنت أنها دولة مسيحية أو دولة إسلامية هل يعنى هذا رغم كل ما فيه من ايجابيات - إننا لا نستطيع التعامل مع أناس مختلفين عنا. هل لابد أن أستوعبه فى كل شىء حتى الدين ألا تكفى إنسانيتنا لتستوعبنا نحن الأثنين فى حضنها .

دعونا نرجع المشكلة إلى أصلها... الخطأ فينا! إذ لم نعتد على تعددية الآراء أو على اختلاف أو حتى إبداء الرأى .حتى عندما كبرنا لا نستطيع استعاب المختلف عنا دينيا أو سياسيا أو اقتصاديا أو عقائديا .

غالبية الأسر المصرية ينقصها الوعى وهنا تقع المشكلة على الإعلام حتى أستطيع أن أربى نشأ يحترم الآخر المختلف عنى تنشئته على التعددية والانفتاح حتى أحصنه معنويا فى وجه تحديات العصر .

فلو أخذنا الفيلسوف المسلم ابن رشد كمثالا على هذا فقد استطاع ابن رشد بعلمه الواسع أن يعالج النص الدينى بقدر من التسامح والمنهجية العلمية فى عصره فلم تأت ساعة فرط فيها ابن رشد على هويته العربية الإسلامية ولكنه استطاع التواصل فى الغرب وترك أثر فيهم عقلانية ابن رشد فالدين حق والعقل حق ولا يتناقد الحق مع الحق فالحقبة واحدة هو الله وغايتها واحدة .

ولنأت لنموذج آخر وهو الأب متى المسكين الذى استطاع أن يجدد الحياة الرهبانية المسيحية فى مصر فى القرن الـ ٢٠ فكانت أول انتاجاته مجلة مدارس الأحد والتى يحذر فيها المسيحيين المصريين من أتباع المناهج الغربية وحثهم على التمسك بالمبادئ الشرقية كما دعا إلى ترجمة تقاليد الآباء والأولين والتى لا يعترف بها كثيرا فى الغرب إلى العديد من اللغات .

١٩٦٧ قدم كتابين يظهران مدى انتمائه لمصرهما ما وراء خط النار وميناء وصحراء ومن ناحية أخرى خشى الأب متى من أن تشوه رسالة المسيحية من خلال البحث عن القوة الزمنية فلا يرفض أن تتحدر الكنيسة من المستوى الروحى إلى المستوى السياسى فتلجأ إلى السلطة لفرض العقيدة.

وإذ أتحدث عن مصر وحقوق المصرى أو حقوق القبطى فإنى أريد أن أشير إلى التيارات الحزبية فى مصر وتأثيرها على الحقوق.

أولا التيار الليبرالى والذى حاول أعمال العقل فى النص الدينى كان من رواده طه حسين وقاسم أمين .إلا أنه لم يخلق قاعدة جماهيرية فقد مس هذا التيار فقط مثقفى مصر ولم يصمد أمام الجهل والتخلف فى العادات والتقاليد ولم يستطع الوقوف أمام السطوة الدينية .

ثانيا :استغل التيار الإسلامى النزعة الدينية عند المصرى فى حشد الناس واستخدم النصوص الدينية حرفيا مع شعب ٩٠٪ منه أميون.

رفضوا الجيش والمدرسة والمصنع رفضوا الآخر الدينى اسلموا المؤسسات الحديثة سادت النزعات المتطرفة.

ثالثا التيار اليسارى كان فى البداية يرفض الدين واعتبره حجر عثرة أمام التحديث نشر الفكر الاشتراكى حتى ١٩٥٢ ولكن أمام سطوة التيار الدينى ابتدأ التيار اليسارى فى أخذ الدين فى الاعتبار .

أما بالنسبة للتيار القومى فهو متأرجح بين الأخذ بالحداثة وبين الحفاظ على الهوية العربية .

(ثالثا لاهوت التحرير وفلسطين)

الفاتيكان لم تعترف بإسرائيل رسميا البابا شنودة الثالث قال إنه لن يدخل القدس إلا مع شيخ الأزهر .البابا يوحنا عين شخصية فلسطينية عربية بطريركا للكاثوليك اللاتين .

هذا هو موقف الكنيسة الرسمى من قضية فلسطين ولكن كيف يستطيع لاهوت التحرير أن ينقذ الفلسطينيين من كل ما يكبدهم من ظلم وقهر وعدوان وعدم احترام لإنسانيتهم والتضامن معهم أهم شىء لأنهم بشر لهم إنسانيتهم وهذا واجب كل مسيحى .

فكم عيد ميلاد قد انطفت فرحته وبهجته فى المدينة التى شهدت مولد المسيح وكم عيد قيامة أصبحت تقتصر احتفاليته على الكنيسة ولا يشعر به الشعب كيف تعيش فرحة قيامة المسيح منتصرا على أوجاع والآلام الموت ومازالت فلسطين محتلة فان لاهوت التحرير يطالبنا بـ:

١ـ احترام إنسانية الإنسان فى كل بقاع الأرض.

٢- محاولة فهم الأخر المختلف دينيا واستيعابه.
٣- فهم روح النص حسب طبيعة العصر.
٤- رفض الظلم والقهر والسلبية.

مستقبل لاهوت التحرير :فى رأى الشخصى عن لاهوت التحرير أعتقد أنها فكرة جديدة فى مجتمعنا رغم أنها تمسه بكل جوانبه بل بالحقيقة تتكلم فى أكثر القضايا خطورة فى أيامنا المعاصرة ولكن أقول أنها لن تستوعب بسهولة نتيجة سلبيتنا الدائمة فى تقوقعنا حول الذات والميل إلى الأقليات والعائلات بدلا من الميل نحو الوطنية فالقومية وكذلك إن مجتمعنا يعتمد على قادة الرأى بصورة كبيرة وخاصة رجال الدين منهم والذى أرى أنهم من الصعب تبنى أفكار لاهوت التحرير بسهولة فهى قادرة على الصمود أمام هذه التحديات .

فالرغبة فى اقتصاد حر سياسة نزيهة حقوق الإنسان حريات صحفية كلها أمنيات كل شعب الحق فى التحرير من كل قيود لون البشرة أو الانتماء.

الفخر بأنى إنسان "لا أشعر بأنى ملتزم أن أقول أسف لأنى انتمى لشعب عالم ثالث أو دولة نامية هذا ليس خطئ وإنما هو ليس خطأ اطلاقا.

وأنى أؤكد أنه لابد من التشجيع على المشاركة فى الحياة السياسية فهذه السلبية التى يعانيها المصريون عامة والأقباط خاصة.

والتأكيد أيضا أن ليست المسيحية هى قبول جسد الرب ودمه فى سر الافخارستيا يوم القداس وحسب إذ كنت تريد أن تخضع للإهانة فلماذا تتناول من جسد الرب ودمه لماذا تطلب منه القوة فى حين أنك تقبل الضعف وترضى به.

أيضا مع التركيز على قبول الأخر الدينى واحترامه فإن الله قد أعطى الإنسان الحرية الكاملة .فلماذا لا تعطيها أنت لأخيك الإنسان .فهو حر فى معتقداته وسياسته واقتصاده وتقاليده.

التأكيد على مرونة قبول التفسير العصرى للكتاب والأديان فكل عصر يتسم بصفاته ولن نستطيع فرض عصر ماض على عصر حاض

الاشتباك مع الحياة
يوسف رامز(٨)

لاهوت التحرير مبدأ يصعب التحدث عنه وتجربة تضيق الكلمات إن أرادت الشعور بها فعندما أتحدث عن لاهوت التحرير لست أتحدث عن مبدأ أو فلسفة أو دين اعتنقه أو أؤمن به لكنى أتحدث عن ذات حيه عاشرتها وحييت معها .

لاهوت التحرير هو الاشتباك مع الحياة :عندما ينتقل الدين ويكف عن وضع تصورات للعالم إلى الاشتباك مع العالم وعندما تنبع التجربة من الألم ليس الألم المنكسر فى الوجودية بل الألم المتصالح "الألم كرسالة "وعندما تتحرك الطبقات المقهورة لا من أجل التحرير لذاته بل من أجل التحرير فى ذاته ..يولد لاهوت التحرير الذى عرفته وعشت به وعاش في وحررنا .وعبر السطور التالية أحاول أن أضع "لاهوت التحرير "فى مجابهة العقل البديهى فى مجابهة الوجودية المنهزمة فى مجابهة الماركسية أن تم تشويهها فلقد حان الوقت ليتحرر لاهوت التحرير من كل ما يكبله وليحرر معه أسمى المبادئ التى عرفتها تلك البشرية المليئة اضطرابا .

لاهوت التحرير رسالة المقهور :هناك مقولة تقول "إن الإنسان ما إن بدأ ينظر إلى الكون من حوله وما إن بدأ يضع تصوراته عن الوجود فلقد بدأ يفكر فى الدين "إلا أنه عبر لاهوت التحرير فإن الإنسان لا يبدأ فى التفكير بالدين عندما يضع تصوراته عن الوجود لكنه الدين يبدأ عندما يشتبك مع الحياة وبذلك يقف لاهوت التحرير فى مجابهة العقل البديهى ويرفض تلك التفسيرات التى صنعت من الدين أداة لتقديس الأمر الواقع وروح التخاذل وحولت الدين من رسالة للتحرير إلى أداة للتغييب عبر التأويلات والتفسيرات الشائعة التى ما إن عبرت عن مصلحة ما فهى تعبر عن مصلحة الطبقة الأقوى المستغلة ولاهوت التحرير هو التعبير عن مصلحة الأغلبية المقهورة فى التحرر من سلسلة القهر المركز هو إعادة تأويل النص الدينى بما يتعايش مع الزمان والمكان عبر آليات التجسد والتراكم من أجل التغيير والتصدى السلمى للقاهر من خلال الحب الشامل لتحريره من فعل الظلم .

لاهوت التحرير رسالة الألم :ولاهوت التحرير الذى عرفته هو صرخة الألم فى وجه القهر بحثا لا عن التحرير وحسب بل عن الحق فى الحياة وبين الوجودية ولاهوت التحرير وإن بدت المسافة صغيرة للغاية فإنها فى جوهرها مغايرة وما أبعد المسافة بين الألم المنكسر يدعو للتحرر من الألم وبين الألم المتصالح الذى يعرف ذاته بوصفه رسالة ونموذجا فى تحمل الألم أكثر من الآخرين وإننا عبر آلامنا سنعرف القاهر بظلمة وهذا وعبر حبنا له بالتصدى لفعل ظلمه سوف يتألم وألمه يحرره .ليست آلامنا لأن الله يختبرنا أو لأنه يريد ذلك .

كما تقول التفسيرات الكلاسيكية الشائعة – فهى لم تعد صالحة فلا يوجد ألم فى عالم به إله قدير آلامنا إن لم تصبح أداة لتحرير القاهر من فعل ظلمه فهى آلام لا علاقة له بها بل هى تعبير عن تخاذلنا وظلمنا لأنفسنا ولسنا لأنفسنا بل إننا جميعا خلفاء وأبناء الله .ولا يمكن أن نقبل ظلم أنفسنا لانفسنا

هكذا عرفت لاهوت التحرير وعرفت فيه الألم رسالة فلن نتصدى للظالم بمبادلته الظلم والعنف فليس هنالك سبب واحد يمكن أن يدفعنى لفقد احترامي لذاتي والانجراف فى الألم المتبادل ولن نقبل الألم عبر منظومة من الماذوشية الدينية نتلذذ فيها بالألم من أجل احتمال الألم بل نقبل وحسب الألم كوسيلة لتحرير الظالم الذى علمنا الحب الشامل للاهوت التحرير أن نحبه وبذلك نسعى لتغيره للانتقام منه أى نعرف الألم الهادف فى مجابهة الألم العدمى الهارب أو الألم العبثى المغيب عن صرخات الإنسان وتعثراته فى رحلة بحثه عن المطلق بل فى رحلة كل إنسان - قاهرا أو مقهورا - نحو الإطلاق بحثه نحو التماهى مع لله.

من لاهوت التحرير نحو لاهوت الحياة

عندما عرفت لاهوت التحرير عرفته يتبع المنهج الماركسى فى التحليل الاجتماعى وإن كانت الماركسية هى أحد أسمى المبادئ التى عرفتها البشرية فلاهوت التحرير إذ يعى جيدا درس التجسد فى ثقافة الوعى الشعبى لشعوب ولدت متدينة وآمنت بالله مع الرضاعة إيمانا عنصريا لا يبحث عن التحرير من أجل التحرير بل يبحث عن التحرير فى رسالة التحرير التى أمن بها المجتمع سعيا نحو الحق فى الحياة وبذلك تستمر صيرورة انتقال لاهوت التحرير إلى نهر لاهوت الحياة وأعتقد أن الفخ الذى يتربص بكل فلسفة تحرير هو الانزلاق فى السعى نحو التحرير لذاته عوضا عن التحرير فى ذاته كدرب للحصول على الحق فى الحياة . "

الإنسان قبل الأديان:

وفى لاهوت التحرير عرفت الأديان من أجل الإنسان وليس الإنسان من أجل تحقيق النموذج الدينى الإنسان بوصفه تجربة روحية وليس نموذجا - فرسالة الله للإنسان ليست من أجل أن تقيد الإنسان بل هى بعثا لتحريره وليست لوضع الإنسان تحت إمرة القوة المتمثلة فى رجال الدين بل هى سعي نحو الله القوة المحررة للإنسان من القهر المركب، أى نرددها مع المسيح " السبت من أجل الإنسان ...لا الإنسان من أجل السبت "فما الطقس والترتيبات الدينية إلا التزام حال من الإنسان بالجهاد ضد واقعة المظلم التزاما لا يعرف الحيرة فلم يعد ممكنا أن نقبل تفسيرات وتأويلات وضعت أمامي المكاتب المكيفة أو من بطون الصحراء ..والغريب أنها تتفق فى النتيجة إن اختلفت المنطلقات بل حان الوقت لتتحدث الجماهير من داخل الحياة وتضع تصوراتها فى ظل الضغوط اليومية وتحت نير التحديات السياسية الداخلية والخارجية ومن بين مخابئ القهر الاجتماعى لابد أن ينبع الخطاب الدينى سعيا نحو الدين قوة دافعة للانتماء لهذه الأرض وليس لأرض الميعاد

للبحث عن المواطنة الأرضية جنبا إلى جنب مع المواطنة السمائية ..فمن قلب الصحراء لا يمكن أن يقود المتصوفة العالم الذى سبق وأن رفضوه وتركوه بل يكفى أن يرفعوا صلوات كثيرة من أجله !!ومن فوق المكاتب المكيفة لا يمكن أن نسمع ظفرات المقهورين والمهمشين وأصحاب الأجساد المشدودة نحو السماء لا يمكن أن يقود الكادحون فى حقول الحياة من أجل الحق فى الحياة

ولا يتطور عن هذه الرؤية للحياة فى لاهوت التحرير أن ترفض الطبقة المستغلة الطبقة القاهرة لها أو أن يرفض الجماهير أصحاب الخطاب النخبوى ثائرين فى صراع طبقات ينتهى بتحول الطبقات التى كانت مقهورة إلى طبقات أخرى قاهرة كضحية قتلت ضحيتها بل إن لاهوت التحرير يعلمنا أن نبدأ أنه "الحب "الحب الشامل للقاهر والحب التفضيلى للمقهور فى ظل رؤية لاهوت التحرير للخطية بوصفها خطية جماعية وليست فردية وحسب فإن قبول القهر المتبادل أو الظلم المتبادل أو مجابهة العنف بالعنف خطية جماعية حتى وأن كانت موجهه من المقهور إلى القاهر فهو - أى المقهور - فى لحظة انتقامه يتحول إلى قاهر وتفرغ حلقة الصراع بلا نهاية..

بل إن لاهوت التحرير هو فى استيعاب الآخر الإنسان ليتكامل أعضاء الأسرة البشرية الواحدة بعيدا عن الشعور بامتلاك الحقيقة الواحدة بل عبر استيعاب أن الله هو المطلق الوحيد والبحث عنه يبقى دائما نسبيا نستوعب الآخر كما هو دون السعى لهضمه أو محو خصوصيته ومن خلال التجسد فى الوحى الشعبى والإيمان بالثورة التركمية بمفهومها الأفقى وعبر الحب الشامل للقاهر والحب التفضيلى للمهمش والمظلوم من خلال قبول رسالة الألم الإيجابى والتحرر الساعى الحق فى الحياة ومن قوة الله المحرر والدين المشتبك مع الحياة دين الشعب فى داخل الحياة وليس تفسيرات ورؤى الصحراويين أو النخبويين ٠، عبر كل هذا وبذلك – على الأقل – يمكن أن تحيا جمعتنا البشرية جديرة بالإنسان الذى هو ابن الله وخليفته على الأرض

١- نشر فى جريدة التجمع

٢- جريدة وطنى ٢٢/ ٥/ ٢٠٠٣

٣- جريدة وطنى ٦/ ٧/ ٢٠٠٣

٤- نشر فى جريدة وطنى ٣/ ٨/.٢٠٠٣

٥- جريدة وطنى ٧/ ٦/ ٢٠٠٣

٦- نشر بجريدة وطنى ١٤/ ٩/ ٢٠٠٣

٧- نشر فى جريدة التجمع ٩/ ٩/ ٢٠٠٣

٨ - نشر فى جريدة التجمع ٢٣/ ٩/ ٢٠٠٣

المشاركون فى الندوة

أ . أبو العلا الماضى
كاتب ومفكر

أ . أحمد بهاء الدين شعبان
كاتب وسياسى - مهندس

د . أنور مغيث
كاتب

أ . جمال البنا
كاتب ومفكر

د . حسن حنفى
أستاذ فلسفة - كاتب

د حيدر إبراهيم
كاتب ومفكر سياسى

الأخ . دانى يونس
راهب يسوعى

الأخ. رائد شكرى
راهب يسوعى

أ . ريتا أيوبباحثه بمعهد الدراسات المسيحية والإسلامية - لبنان

أ . سمير مرقص
هيئة "كير "القاهرة

أ سليمان شفيق
صحفى وكاتب

أ .د شبل بدران
أستاذ أصول التربية - كلية التربية جامعة الإسكندرية

أ .د . عاصم الدسوقى
أستاذ التاريخ المعاصر - كلية الآداب

أ . عيدروس القصير
باحث ومفكر

أ .عبد الدايم
سيناريست

الأخ . فايز سعد
مسئول مركز الجزويت الثقافى والمركز المصرى لبحوث ودراسات البحر المتوسط للتنمية

أ . فريدة النقاش
صحفيه وكاتبه

الأب. كرستيان فان نيسبان
راهب يسوعى . أستاذ فلسفة بكلية العلوم الإنسانية واللاهوت . المعادى القاهرة

أ.د . كمال نجيب
أستاذ المناهج وطرق التدريس - كلية التربية جامعة الإسكندرية

أ لونا فرحات
معهد الدراسات المسيحية والإسلامية - لبنان

د . ماجى عبد المسيح
أستاذ لاهوت - كندا

الأب. مجدى زكى
من الآباء «البرادو» مدرس

الأب. نادر ميشيل
مدرسة العائلة المقدسة . الفجالة . كاتب . أستاذ بمعهد السكاكينى

الأب. وليم سيدهم
راهب يسوعى وكاتب - مدرس فلسفة

د . يسرى مصطفى
صحفى -باحث حقوق الإنسان

أ . يوسف رامز
صحفى

المحتويات

منافذ بيع مكتبة الاسرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب
مكتبة المعرض الدائم :
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق
مبني الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة الحسين :
مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين
القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة مركز الكتاب الدولى
٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ساقية عبدالمنعم الصاوى:
الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو من
أبو الفدا القاهرة

مكتبة ٢٦ يوليو
١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة المبتديان :
١٣ ش المبتديان - السيدة زينب
أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة شريف :
٣٦ ش شريف - القاهرة
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة ١٥ مايو :
مدينة ١٥ مايو - حلوان
خلف مبنى الجهاز
ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة عرابى :
٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الجيزة :
١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة
ت: ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة :

بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى
الجيزة

مكتبة رادوبيس :

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون :

ش جمال الدين الأفغانى من شارع
محطة المساحة - الهرم
مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة
ت: ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة الإسكندرية :

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية
ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية :

التمليك - المرحلة الخامسة
عمارة ٦ مدخل (أ) - الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس :

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة
الجامعة الجديدة - الإسماعيلية
ت: ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بور فؤاد :

بجوار مدخل الجامعة
ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان :

السوق السياحى - أسوان
ت: ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط :

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط
ت: ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٠

مكتبة المنيا :

١٦ ش بن خصيب - المنيا
ت: ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة) :

مبنى كلية الآداب - جامعة المنيا

المنيا

مكتبة طنطا :

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير

طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى :

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا

مكتبة دمنهور :

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتبة المنصورة :

٥ ش الثورة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف :

مبنى كلية الهندسة الالكترونية

جامعة منوف

دار مصر المحروسة

طبعة خاصة بمكتبة الأسرة ٢٠٠٨



على الرغم من التطور التكنولوجى المذهل الذى يحدث فى عالمنا اليوم من تقديم وسائل حديثة للبحث والتعرُّف على الحقائق المختلفة، فإنَّ الكتاب لايزال يتربع على عرشه، فهو يرتبط بعادة أصيلة هى عادة القراءة، والتى تُعدُّ غذاء الروح ومتعة النفس والعقل، ويداعب خاطرى دائمًا مشهد رأيته مئات المرات فى زياراتى للمكتبات، وهو طفل أو طفلة تحتضن بين ذراعيها كتابًا... هذا المشهد فى حياتنا يؤكد الصلة الروحية الوثيقة بين الطفل والكتاب وبين فكر المبدع وعقل القارئ، وبين ريشة الفنان وروح الطفل.

إنه سحر الكتاب الذى عرفه الإنسان المصرى القديم منذ آلاف السنين، وعاشت وتعايشت معه ملايين البشر من مختلف ربوع الدنيا عبر العصور.

سوزان مبارك



الهيئة المصرية العامة للكتاب



القراءة للجميع
2008 - 2009

ISBN# 9789774203546



٢ جنيه



مكتبة الأسرة ٢٠٠٨